جمهورية السودان
وزارة التربية والتعليم

القضية الفلسطينية

لطلاب وطالبات المدارس الثانوية

تأليف
لجنة من الأساتذة

عز الدين الحافظ — ضرار صالح ضرار — علي محمد علي

القضية الفلسطينية .. لطلاب وطالبات المدارس الثانوية ١٩٦٨



الثمن ٢٥ قرشاً

جمهورية السودان
وزارة التربية والتعليم



القضية الفلسطينية

لطلاب وطالبات المدارس الثانوية

تأليف
لجنة من الأساتذة

عز الدين الحافظ   ضرار صالح ضرار   علي محمد علي



الناشرون : مكتب النشر - الخرطوم



خريطة فلسطين السياسية

المقدمـــة

لقــد ظلت فلسطين منذ ألوف السنين أرضا عربية يسكنها العرب. أما الاسرائيليون (اليهود) فقد كانوا طارئين عليها ولم يشكلوا فى يوم من الايام فى تاريخها الطويل أكثرية بين سكانها بل ولم يقطنوا البلاد باستمرار حيث كانوا يخرجون أو يطردون منها ثم يعودون اليها ليطردوا مرة أخرى.

لــذلك فقد استمرت فلسطين دولة عربية تنعم بخيراتها حتى نهاية القرن التاسع عشر حينما أطلت الاطماع الاستعمارية برأسها وأخذ اليهود يتسربون اليها بشتى الطرق والوسائل وأحس اليهود برغبة الغرب فى الاستيلاء عليها أو قل أحس الغرب بحاجته إلى من يستخدمهم لنيل غرضه وهكذا التقت أطماع الصهيونية وأطماع الاستعمار الغربي وتوحد هدفهما لتقطيــع أوصال الامة العربية .

وبالرغــم من أن الصهيونية قد ظهرت كفكرة عابرة إلا أنها بمرور الزمن أصبحت حركة منظمة. وقد عمدت هذه الحركة منذ البداية للحصول على تأييد دولى لتحقيق أغراضها الهادفة إلى استيطان اليهود فى فلسطين وجعلها وطنا قوميا لهم. فقد ورد ضمن قرارات المؤتمر الصهيوني الاول الذى عقد فى بازل سنة ١٨٩٧ ما يلى : —

« القيــام بمساع لدى مختلف الحكومات للحصول على موافقتهــا على أهداف الحركة الصهيونية ».

أخــذت الحركة الصهيونية منذ ذلك التاريخ تستخدم شتى الاساليب للسيطرة على الرأى العام العالمى وعلى محركى السياسة فى العالم الغربى وفى الولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة: فكان صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ من بريطانيا والذى يعتبر أول خطوة عملية نحو تحقيق أطماع الصهيونيــة.

يلي ذلك في الاهمية قرار تقسيم فلسطين الصادر في الامم المتحدة سنة ١٩٤٨ والذى كان بإملاء من أمريكا وتحت ضغط الدبلوماسية الامريكية بزعامة الرئيس ترومان .

وقد تعرضت الامة العربية في فلسطين وفي العالم العربي إلى اعتداءات الصهيونية المتكررة تساندها دول الغرب في جميع المعارك التي خاضها العرب من أجل تحرير فلسطين في أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و١٩٦٧ على التوالي .

وكانت معركة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ امتحانا عسيرا للامة العربية. واتضح بعد هذه المعركة بمالا يدع مجالا لاى شك بأن قضية فلسطين لم تعد تهم الفلسطينيين وحدهم بل أصبحت قضية مصير تهم الشعوب الاسلامية والعربية كلها لأنها تهدد تراثها ووجودها ومستقبلها .

لذلك رأت وزارة التربية والتعليم أن من واجبها أن تبصر شباب الامة السودانية بجذور هذه القضية الفلسطينية وأبعادها فقامت بوضع هذا الكتيب عن القضية الفلسطينية ليكون في متناول كل طالب وطالبة في المدارس الثانوية لجمهورية السودان .

هذا ونأمل أن يحقق هذا الجهد المتواضع الفائدة المرجوة .

« والله الموفق »

العرب في فلسطين منذ أقدم العصور

« فلسطين » موضوع هذا الكتيب تقع فى الشمال الغربي للجزيرة العربية وعلى المنطقة الساحلية الشرقية للبحر الابيض المتوسط وهى مستطيلة الشكل تمتد من لبنان شمالا إلى خليج العقبة جنوبا ويحدها من الغرب البحر الابيض المتوسط وصحراء سيناء. أما جهة الشرق فيفصلها عن سوريا والاردن كل من نهر ألاردن وبحيرة طبرية و البحر الميت. فهى بهذا الموقع تلتقى عندها قارات العالم القديم الثلاث آسيا وافريقيا واوربا وهى لذلك نقطة إتصال بين الشرق والغرب فكانت مسرحا لنشاط تجارى ضخم كما كانت أيضا مسرحا لاحداث تاريخية هامة على مر العصور.

تعرضت فلسطين فى منتصف القرن الثلاثين قبل الميلاد سنة (٢٥٠٠ ق.م.) إلى هجرة الكنعانيين العرب اليها والكنعانيون ساميون فى الاصل وجاءوا إلى فلسطين من جزيرة العرب التى يعتبرها المؤرخون مهداً للجنس السامى ومصدرا لعدد من الموجات السامية المهاجرة. وكان من أسباب تلك الهجرات الجدب فى الجزيرة العربية والسعى إلى مواطن الكلأ والماء خارجها . وكان المهاجرون يقصدون بطبيعة الحال الاراضى الخصبة الواقعة شمالى الجزيرة وهى بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين.

استقر الكنعانيون فى الجنوب الغربى من بلاد الشام وهو الجزء الذى أصبح يعرف بأرض كنعان والذى عرف فيما بعد بفلسطين. والكنعانيون ينتسبون إلى جدهم «كنعان » شأنهم شأن العرب القحطانيين الذين ينتسبون إلى قحطان والعدنانيين الذين ينتسبون إلى عدنان. والمؤرخون العرب الثقات يؤكدون عربية الكنعانيين على أن هؤلاء المؤرخين يقولون بأن الكنعانيين ينتمون إلى العرب البائدة. وهكذا وجد العرب فى هجرة الكنعانيين طريقهم إلى«فلسطين منذ أقدم العصور.»

استوطن الكنعانيون فى « أرض كنعان » مدة تقدر بألف وخمسمائة عام وكانوا قوما أهل حضارة ومدنية قاموا بتأسيس معظم مدن هذه المنطقة مثل أريحا ويافا وعكا ويبوس المعروفة بالقدس الآن وشكيم المعروفة الآن بنابلس وغيرها من المدن. ويحدثنا المؤرخون بأن الكنعانيين عرفوا الكتابة كما عرفوا التجارة والصناعة وبناء البيوت المتقنة ويحدثنا التوراة بأنهم جعلوا من أرض كنعان بلادا تدر اللبن والعسل. وقد تأثر بالكنعانيين من جاءوا بعدهم وخاصة العبرانيون .

العبرانيـــون والفلسطينيون

كانـــت هجرة العبرانيين من الجزيرة العربية واحدة من الهجرات السامية التى قصدت أطرا ف الجزيرة العربية الشمالية الخصبة ومن هناك اتجه العبرانيون جهة الغرب إلى أرض كنعان أى إلى الجزء الذى عرف فيما بعد بفلسطين.

وهناك رأى يقول بأن العبرانيين استقروا في بلدة أور الكلدانية الواقعة جنوبي العراق ومنها هاجر ابراهيم وقومه بسبب القحط إلى جنوبي الشام فى الجزء الذى عرف ببلاد كنعان. ويقدر المؤرخون بأن ابراهيم هبط فـــى منطقة الخليل حوالى سنة ١٨٠٠ ق.م. حيث استقر وأنجب من الابناء اسحق وأنجب الاخير يعقوب المعروف باسرائيل وإلى اسرائيل هذا ينتسب اليهود. والجدير بالذ كر أنهم عرفوا بالعبرانيين لعبورهم نهر الاردن.

ويحدثنا المؤرخون بأن بلاد كنعان قد أصابها جدب شديد فى منتصف القرن السابع عشرقبل الميلاد (حوالى سنة١٦٥٦ق.م) وقد دفعت هذه الظروف يعقوب (اسرائيل) للهجرة إلى مصر وفى مصر عاش بنو اسرائيل فترة مـــن الوقت كانوا فيها آمنين مطمئنين ولكن لم ترق لهم الحياة فيها خاصة فى عهد رمسيس الثانى الذى كان مغرما ببناء الأهرامات والقصور والهياكـــل.

فكر الاسرائيليون فى الهجرة وقادهم موسى متوجها إلى أرض كنعان عبر الصحراء حوالى سنة ١٢٩٠ ق.م. ويحدثنا القرآ ن بأنهم أصيبوا بالجوع والعطش فى الصحراء وأن الله قد أنزل عليهم المن والسلوى ولكن هذا لم يشبع جوعهم ولم يرو ظمأهم فحاول موسى أن يقف على أحوال بلاد كنعان ليقود قومه اليها وأتته الأخبار بأنها بلاد تفيض لبنا وعسلا ولكن قومـــه العبرانيين كانوا أضعف حالا من الكنعانيين لذلك ظلوا تائهين فى الصحراء

حتى مات موسى وخلفه يوشع الذى استطاع أن يقود العبرانيين إلى أرض كنعان حوالى سنة ١١٨٦ ق. م.

وكان العبرانيون قساة فى معاملة الأهليين عندما دخلوا أرض كنعان. ويحدثنا التوراة سفر يوشع بأعمالهم الوحشية عندما دخلوا بلدة أريحا الكنعانية فيقول « صعد اليهود إلى المدينة وأخذوها وأهلكوا كل من فى المدينة من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى الغنم والبقر والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . »

بهذه الطريقة احتل العبرانيون معظم أراضى الكنعانيين باستثناء (يبوس) التى أصبحت تعرف باورشليم عند العبرانيين وبالقدس مؤخرا . وباستثناء الجزء الجنوبى الغربى الذى سيطرت عليه قبائل ايجية تعرف بالفلسطينيين.

والفلسطينيون فى الأصل ينتمون إلى قبائل كانت تسكن فى جزر بحر ايجة مثل جزيرة كريت وقد أغارت عليهم قبائل يونانية اضطرتهم للهجرة فقصد هؤلاء الفلسطينيون مصر ولكن المصريين صدوهم عن بلادهم لذلك اتجهوا إلى شرقى البحر الابيض المتوسط واستقروا فى الجزء الجنوبى من بلاد كنعان وأخضعوا مدينتى عسقلان وغزة. ومنذ ذلك التاريخ أخذت منطقة سكنى هذه القبائل الفلسطينية الأيجية الأصل تعرف (بفلسطين) التى هى جزء بلاد الشام كما عرفت فى الماضى والتى تشمل لبنان وسوريا وفلسطين حسب التقسيم الجديد الذى أعقب الحرب العالمية الاولى .

تركنا العبرانيين وقد دخلوا بلاد كنعان بقيادة يوشع وأعقبه فى قيادته كل من شمسون ثم شاؤول وخلف الأخير داؤد وهو رجل من أسباط العبرانيين الشمالية وحكم ما بين سنتي (١٠٠٠ — ٩٦٠) ق.م. وقد تمكن الملك داؤد من توسيع رقعة مملكته وبسط سلطانه على جميع العبرانيين واحتل مدينة يبوس الكنعانية وسماها اورشليم وجعلها عاصمة له وقد فرض داؤد ضرائب

باهظة على قومه وشرع فى بناء الهيكل المعظم لليهود ولكنه مات قبل إكماله ودخل أيضا فى معارك مع الفلسطينيين وهزمهم وسيطر على معظم أراضى كنعان ما عدا المنطقة الساحلية الممتدة من يافا إلى رفح وكانت هذه المنطقة فى يد المصريين . أما الفلسطينيون فلم يبق لهم من أثر فى التاريخ إلا اسم « فلسطين » الذى ظل باقيا إلى اليوم.

فـــترة الملك سليمان

(٩٦٠ ـ ٩٣٥) ق.م

ورث الملك سليمان ملك أبيه داؤد سنة ٩٦٠ ق.م. واستطاع أن يزيد رقعة مملكته ويشيد قصرا كبيرا ويبنى فى أحـــد جوانبه الهيكل اليهودى المقدس ويجعل هذا الهيكل مركزا للعبادة يؤدى اليهود شعائرهم حولــه ويقدمون قرابينهم.

ودفاعا عن مملكته بنى الملك سليمان القلاع وربط أجزاء المملكـــة بالطرق بغرض الدفاع والتجارة كما شيد المخازن لحفظ الغلال. ولكن كانت هذه الانجازات على حساب شعبه الذى أرهقه بالضرائب الباهظة. وقد نتجت سياسة الضغط هذه عن انتشار التذمر والثورات فأضعفت حكمه ولكن مع ضعفه هذا فان فترة حكمه تعتبر أكثر عهود حكم اليهود أو العبرانيين قوة وازدهارا .

واذا أضفنا فترة حكم سليمان وهى ثلاثة وثلاثين عاما إلى فترة سلفه داؤد وهى نحو الأربعين سنة فاننا نجد أن سيطرة اليهود على فلسطين فـــى أوج منعتهم لم تكن أكثر من ثلاثة وسبعين عاما .

ماذا بعد الملك سليمان :

مات الملك سليمان سنة ٩٢٧ ق.م. وتبع موته انقسام فى مملكته.وبدأ

الانقسام أسباط الشمال عندما أرسلوا وفدا منهم يستفسر عن السياسة التى سيسير عليها خلف سليمان. ولما عرفوا أنه سيتبع نهج والده تمردوا عليه وأعلنوا استقلالهم وإمعانا فى الانقسام بنوا هيكلا خاصا بهم.

ونتج عن هذا الانقسام قيام مملكتين: مملكة فى الشمال ويتزعمها أسباط الشمال وعرفت بمملكة اسرائيل نسبة إلى اسرائيل أبى الأسباط. وجعلوا سبطية عاصمة لها وكانت هذه العاصمة تعرف أيضا بالسامرة.

أما المملكة الثانية فكانت فى الجنوب وتعرف بمملكة يهوذا (ومن هذه الكلمة جاءت كلمة يهود) وكانت أورشليم (القدس) هى العاصمة لهذه المملكة.

وكانت مملكة اسرائيل تمتاز على رصيفتها مملكة يهوذا بخصوبة أرضها واشتغال اهلها بالزراعة والتجارة ولانها أكثر اتصالا بجاراتها. أما مملكة يهوذا فكانت منطقتها جبلية ومعظم سكانها رعاة.

ولم تعش هاتان المملكتان فى سلام بل كثيرا ما حدث صدام مسلح بينهما. هذا بالاضافة إلى ما اعتراهما من اضطرابات فى الداخل وانتهى أمرهما بزوال استقلالهما على يد الغزاة وبناة الامبراطوريات: فقد تصدى المصريون أولا لمملكة اسرائيل وبسطوا نفوذهم عليها وتبعهم الآراميون ثم الأشوريون.

والأشوريون كانوا فى الاصل من الجزيرة العربية وقد نزحوا إلى أطراف العراق الشمالية ومن العراق قاموا بحركة توسعية شملت أرض كنعان ووجدوا مملكة اسرائيل تعانى من التفكك والانقسام فاقتحموها وسقطت فى ايديهم حوالى سنة ٧٢٢ ق.م. وأسروا سكانها وشتتوهم فى أرجاء امبراطوريتهم المختلفة وضاع كيان الشعب الاسرائيلى كدولة.

وقد لاقت مملكة يهوذا نفس المصير الذى لاقته مملكة اسرائيل ففى

سنة ٥٨٦ ق م. أغار الكلدانيون بقيادة نبوخد نصر على مملكة يهوذا. وقام نبوخد نصر بتحطيم الهيكل اليهودى الكبير وأخذ فريقا من السكان إلى بابل قسرا وفر فريق منهم إلى مصر ولم يبق فى فلسطين إلا المستضعفون من اليهود.

لقـــد تابعنا نشأة المملكة اليهودية فى عهد داؤد وسليمان ثم انقسامها إلى مملكتى اسرائيل ويهوذا ثم انهيار المملكتين على أيدى الاشوريين والكلدانيين وتعتبر هذه الحقبة هى الفترة الوحيدة القصيرة فى تاريخ اليهود التى سيطروا فيها على جـــزء من فلسطين وليس على فلسطين كلها . لذلك يذهب معظم من كتبوا فى تاريخ هذه المنطقة إلى القول بأن قيام وسقوط المملكة اليهودية لم يكن إلا حدثا طارئا فى تاريخ مصر والشام .

اليهود بعد إنهيار مملكتهم:

لـــم تعد لليهود أهمية فى فلسطين بعد غزو الكلدانيين وبعد أن نقل منهم عدد كبير إلى بابل. وظل اليهود على هذه الحال حتى أعاد منهم كورش الفارسى سنة ٥٢٩ ق.م عددا كبيرا إلى القدس حيث وجدوا البلاد مقفرة والهيكل خرابا. وقد بذلوا بعض الجهد لتعمير البلاد وقاموا بتجديد هيكلهم المقدس وعاد معظم من كان منهم فى مصر ولكن مع ذلك لم يتمكنوا من بناء كيان سياسى جديد فى فلسطين.

وعندما بدأ الاسكندر المقدونى زحفه تجاه الامبراطورية الفارسية استطاع فى سنة ٣٣٣ ق.م. احتلال فلسطين وأقام فيها مستعمرات أغريقية بين التجمعات اليهودية وقد تأثر اليهود بالاغريق فى هذه الفترة لغة وزيا وثقافة.

وقـــد أعقب موت الاسكندر صراع بين خلفائه انتهى بسيطرة البطالمة على مصر والسلوقيين على سوريا وأصبحت فلسطين جزءا من المملكة السلوقية فى آخر القرن الثانى قبل الميلاد.

وقــد شهدت فترة السلوقيين صراعا عنيفا بين العناصر اليهودية والاغريق خصوصا بعد أن بدأت الثقافة الاغريقية تطغى على التراث اليهودى وبدأ اليهود مقاومة مكشوفة للاغريق إلا أن انطيوخوس ملك السلوقيين وجه ضربته لليهود فعطل شعائرهم الدينية وحرق التوراة وأمر بنهب هيكلهــم المقدس.

الرومــان :

وفى سنة ٦٤ ق.م. احتل الرومان فلسطين بقيادة بومبى (Pompey) كما سيطروا على بقية بلاد الشام وضيقوا على اليهود وواجهوا ثوراتهم بحزم.

وقــد شهد أول العهد الرومانى ظهور السيد المسيح الذى اجتمعت حوله الجماهير المحرومة الثائرة على الاغنياء ورجال الدين الثائرين عــلى التعصب الدينى وكان المسيح يبشرهم بالمحبة والرخاء فى العالم الآخر. ولم تصادف دعوته هوى فى نفس اليهود فقبضوا عليه وقضى مجمع اليهود الكبير بقتله إلا أن حركة المسيح أصبحت قوية تهدد الحكام الرومان أنفسهم .

ومن ناحية أخرى اشتد الصراع بين اليهود والرومان واستطاع القائد الرومانى تيطس فى سنة ٧٠م. دخول القدس وتدميرها كما قام بتدمير الهيكل اليهودى وساق ساكنى القدس عبيدا وأعدم كبار كهنتها واستبدل اســم القدس بأيلياء وحرمها على اليهود ومنعهم الدخول فيها إلا فى اليوم الذى تم فيه تخريب الهيكل المقدس. فقد سمح لهم بالذهاب فى ذلك اليوم للبكاء.

وكانت سنة ١٣٥ م. نهاية الصراع بين الرومان واليهود ففى هذا العام تم الشتات اليهودى العظيم وانتشروا فى مصر وسوريا والعراق واليمن وشمال افريقيا واوربا. وخلت فلسطين من اليهود وانمحت آثارهم فيها وأصبح سكان القدس من اليونان والرومان المسيحيين. ودام احتلال الرومان لفلسطين حوالى ٦٧٧ سنة وذلك فى الفترة ما بين سنة ٦٣ ق.م. إلى سنة ٦١٤ م.

وقد شهدت ٣٩٢ م. انقسام الامبراطورية الرومانية إلى قسمين: الشرقية وعاصمتها بيزنطة والامبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما. بعد هذا الانقسام أصبحت فلسطين تحت سيطرة الدولة البيزنطية. وفى فلسطين قام البيزنطيون ببناء كنيسة القيامة فى القدس وكنيسة المهد فى بيت لحم وهكذا أصبحت المسيحية الطابع الدينى الغالب فى فلسطين.

بعد ذلك تأثرت فلسطين بالصراع الذى كان قائما بين البيزنطيين والفرس ودارت على أرضها المعارك بين الفرس والبيزنطيين وتمكن الفرس فى سنة ٦١٤م. من الاستيلاء على فلسطين وعاملوا المسيحيين فيها معاملة قاسية وخربوا كنيسة القيامة ونهبوا كنوزها. إلا أن سيطرة الفرس لم تظل طويلا واستطاع البيزنطيون أن يعيدوها فى سنة ٦٢٨ م. إلى حظيرة امبراطوريتهم واستمرت فلسطين منطقة نفوذ بيزنطية طابعها المسيحية حتى الفتح العربى الاسلامى.

الفتح العربي الاسلامى :

قبل ان نتعرض لفتح العرب المسلمين لفلسطين سنقف قليلا مع اليهود وموقفهم من الاسلام عند ظهوره فى الجزيرة العربية.

التقى الرسول بجماعات اليهود فى يثرب وتودد اليهم ليكسب تأييدهم ويجعلهم يؤمنون برسالته فأمنهم على أموالهم وأنفسهم وجعل لهم نصيبا من الغنائم إن هم قاتلوا مع المسلمين على أن يسهموا مع المسلمين فى النفقة على الحروب.

لم تكن علاقة اليهود مع الرسول سيئة فى أيامه الاولى فالاسلام اعترف بأنبيائهم وهو دين توحيد كدينهم. ثم إن الرسول أباح للمسلمين طعام اليهود وأجاز التزوج من بناتهم واتخذ بعد هجرته إلى المدينة بيت

المقدس قبلة للمسلمين وشجع المسلمين على صيـــام يوم عاشوراء كما كان اليهود يفعلون .

لـــكن الخلاف بدأ بين الرسول واليهود عندما دعاهم للدخول فـــى الاسلام ولـكن لم يجد منهم إلا الرفض وتغيرت سياسة الرسول نحوهـم فتحولت قبلة المسلمين من المسجد الاقصى إلى المسجد الحرام وأهمل صيام يوم عاشوراء وفرض على المسلمين صيام رمضان ولم يرض ذلك اليهود وأخذوا يتآمرون على الرسول وعمدوا إلى إضعاف الايمان فى نفوس المسلمين وزعزعة الثقة بالاسلام زاعمين أن ما جاء به الاسلام تحريف لبعض ما جاء فى التوراة .

سلك الرسول مع اليهود طريق المجادلة والاقناع ولـكن دون جدوى إذ أخذوا يتآمرون للقضاء عليه ويتعاونون مع أعدائه لذلك استلزم واجب الدفاع عن النفس أن يتخلص منهم.

كانـــت أولى الطوائف اليهودية التى تخلص منها الرسول هم بنو قنيقاع لأنهم نقضوا ما بينهم وبين الرسول من عهد فأجلاهم من يثرب بعد انتصاره فى موقعة بدر. وتبعهم يهود بنى النضير الذين امتنعوا عن مساعدته فى موقعة أحد. أما الطائفة الثالثة فهم بنو قريظة الذين تآمروا مع قريش وحلفائها فى غزوة الاحزاب فحاصرهم الرسول حتى استسلموا وأوقعت عليهم أحكام رادعة لخيانتهم العهد. وبذلك انتهت آخر الطوائف اليهودية في المدينة.

بعـــد ذلك تمركز نشاط اليهود فى خيبر شمالى يثرب وأخذوا يحرضون قبائل قريش وغطفان وغيرها على محاربة الرسول فخرج اليهم الرسول وحاصرهم حتى طلبوا الصلح ففعل فأعطوه نصف أرض فدك.

وبعد أن تخلص المسلمون من خطر اليهود عاملهم الرسول بروح

التسامح وأوصى عامله عليهم معاذ بن جبل «بأن لا يفتن اليهود عن يهوديتهم».

ومما يشهد للمسلمين بتسامحهم ما ينقله أهل الأخبار أنه كان من الغنائم التى غنمها المسلمون فى غزوة خيبر صحائف متعددة من التوراة فلما جاء اليهود يطلبونها أمر الرسول بتسليمها اليهم فلم يمس الرسول صحفهم المقدسة بسوء.

ويذكرنا هذا الحادث بما فعله الرومان حين تغلبوا على اورشليم سنة ٧٠ق.م. وأحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم. ويذكرنا أيضا ما فعله المتعصبون من النصارى فى حروب اضطهاد اليهود فى الاندلس عندما أحرقوا صحف التوراة.

وانتهت قصة اليهود فى جزيرة العرب بإجلائهم منها أيام عمر بن الخطاب.

أما فلسطين فقد استمرت خاضعة للبيزنطيين المسيحيين حتى الفتح العربى الاسلامى الذى بدأه أبو بكر الصديق وأتمه الخليفة عمر بن الخطاب فى سنة ٦٣٨م. وعندئذ أعطى عمر بن الخطاب المسيحيين فى القدس «الامان فى أنفسهم ودينهم وكنائسهم وصلبانهم واشترط عليهم ألا يسكن معهم فى القدس يهودى واحد بناء على طلب البطريك المسيحى وهذا الشرط جعل الطابع العربى غالبا فى فلسطين وتعرب سكانها سواء أكانوا مسيحيين أو مسلمين. وهكذا عادت بلاد كنعان «فلسطين» مرة أخرى عربية واستمر الوضع فيها على هذا النحو حتى آخر القرن الحادى عشر عندما تعرضت إلى غارات الصليبيين الاوربيين . وقد تمكن هؤلاء من إقامة إمارات لاتينية كان نفوذها محصورا فى المناطق الساحلية وعجزت تماما عن أن تمحو طابع فلسطين العربى.

كان العالم الاسلامى يعانى من التفكك والانقسام عندما غزا الصليبيون فلسطين ولكن القائد صلاح الدين استطاع أن يوحد المسلمين ويقودهم إلى النصر فى آخر القرن الثانى عشر الميلادى ويستعيد معظم أراضى فلسطين من أيدى الصليبيين. وقد تم إجلاء الصليبيين نهائيا من فلسطين فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى.

بعد ذلك تعاقبت على حكم فلسطين دويلات إسلامية مختلفة حتى أوائل القرن السادس عشر عندما دارت على أرضها معركة بين المماليك الذين كانوا يحكمون مصر وسوريا والاتراك العثمانيين. واستطاع الاتراك العثمانيون بقيادة سليم الاول السيطرة على فلسطين سنة ١٥١٦م واستمرت تحت الحكم التركى العثمانى حتى نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨م.

إن قصة فلسطين كما بيناها منذ مجىء الكنعانيين اليها فى منتصف القرن الثلاثين قبل الميلاد وحتى الانتداب البريطانى بعد الحرب العالمية الاولى تؤكد الحق العربى وتدحض جميع المزاعم اليهودية فيها.

اليهود خارج فلسطين :

تقوم دعوى الصهيونيين على أنهم من نسل اسرائيل وأنهم كانوا يعيشون فى فلسطين وأنهم هاجروا إلى اجزاء العالم المختلفة وحافظوا على نقاء عنصرهم ودينهم ويدعون أيضا بأنهم شعب مشرد وهم بذلك يقصدون أن يكسبوا عطف ومساعدة العناصر غير اليهودية فى العالم.

هـــذه هى دعوى الصهيونيين وهى دعوى باطلة من الناحية التاريخية لأن الصهاينة لم يكونوا أصلا من يهود فلسطين وإنما هم جماعات ينتمون إلى أجناس مختلفة اعتنقـــوا الدين اليهودى منـــذ زمن بعيـــد يقدر بخمسة وعشرين قرنا قبل ميلاد المسيح وبعده والمؤرخون متفقون على أن العناصر المختلفة التى اعتنقت اليهودية تنتسب إلى قطاعات بشرية متعددة تشمل معظم

الاجناس التي عرفها التاريخ. وأن هذه الجماعات اعتنقت اليهودية فى الفترة ما بين سنة ١٥٠٠ ق.م. وسنة ١٠٠٠ ب م. وما بعدها .

ويتفق المؤرخون على أن الديانة اليهودية بعد أن قوى مركزها فى الأرض المقدسة وجدت طريقها إلى مراكز الوثنية خاصة المناطق الساحلية فى شمال افريقيا واوربا. وفى هذه السواحل اتجه التبشير اليهودى غربا إلى اوربا الغربية وشرقا إلى جزيرة العرب والهند والصين وجنوبا إلى بلاد الحبشة. وتم تهويد أهل هذه المناطق قبل ميلاد المسيح وظهور الاسلام عن طريق المبشرين والعاملين بالتجارة والرحل والمنفيين. وكان القائمون بالتبشير عادة يختلطون بالسكان المحليين ويتزاوجون معهم وكان طبيعيا أن يختفى بالتدريج جميع آثار أصلهم العنصرى. ونتج عن ذلك أن نشأت جماعات مشتتة من العنصر اليهودى القديم بين شعوب آسيا وافريقيا واوربا ولم يبق لتلك الجماعات أى أثر من حيث العنصر.

ومن ناحية أخرى فقد انتشرت الديانة اليهودية بين عناصر غير سامية ففى افريقيا مثلا اعتنقت اليهودية قبائل فلاتاس فى الحبشة وكذلك المراكشيون والبربر فى شمال القارة وفى آسيا اعتنقها العنصر المغولى فى الصين وعنصر التامبليون فى الهند. وفى دربنر تهودت العناصر الداغستانية وهى فارسية الاصل كذلك تهود البخاريون وهم تركمان ومغول.

وفى ملتقى القارتين اعتنق اليهودية أتراك منطقة الخزر وكذلك البولنديون فى شرق اوربا . وفى اوربا الغربية تهودت أيضا بعض العناصر الفرنسية والالمانية والاسبانية واليونانية والانكليزية . كما وجدت اليهودية طريقها إلى العناصر الزنجية فى الولايات المتحدة الامريكية .

وهكذا نجد أن اليهودية كدين قد اعتنقتها عناصر وجماعات تنتمى إلى أجناس متفرقة شملت جميع قارات العالم. وأن معتنقى اليهودية فى هذه

البلاد المختلفة لهم دين متشابه وعقائد مشتركة ولكن من الخطأ القول بانهم يؤلفون عنصرا يهوديا واحدا كما يدعى مفكرو الحركة الصهيونية. ولا يوجد رابط واحد يربط بين هذه العناصر المشتتة فى أجزاء العالم المختلفة سوى العقيدة اليهودية المشتركة وشأنهم فى هذه الرابطة شأن الشعوب المسيحية فى العالم وكذلك الشعوب الاسلامية. وهذه الروابط العقائدية لم تدفع المسيحيين إلى القول بانهم من عنصر مسيحى ولم يدع المسلمون بانهم ينتمون إلى عنصر اسلامى.

فالعقيدة الدينية لم تكن يوما من الايام أساسا لتقرير الاصل العنصرى الامر الذى يقوض الأساس الذى تقوم عليه دعوى الصهيونية .

هل فلسطين يهودية أرضا وعقيدة :

تتحدث الصهيونية دائما عن « ارض الميعاد» أو عن الوطن القومى اليهودى كلما ارادت أن تتحدث عن سعيها لاستعمار فلسطين فهل كانت فلسطين ارضا يهودية كما يدعى هؤلاء اليهود.

إن الذى يتصفح محاضر المؤتمرات الصهيونية ومقرراتها وخططها ويقرأ عن نشاط قادة الحركة الصهيونية وعن أفكارهم واعمالهم يخلص إلى النتيجة الآتية وهى ان هناك عوامل تتحكم فى تفكيرهم فيما يتعلق بمساحة الارض الموعودة تتلخص فيما يأتى :

١ - إن اقامة دولة اسرائيل هى الحل المنشود « لمشكلة اليهود » فى العالم .

٢ - ان الدولة اليهودية فى إسرائيل هى تعبير عن القومية اليهودية وتجسيد لها ولما كان كل يهودى ينتمى اليها بحكم يهوديته فلا بد لها ان تكون من السعة بحيث تضم جميع أبناء الأمة اليهودية .

٣ - إن فلسطين هى ارض دولة إسرائيل التاريخية - الدينية . وإن فلسطين

ملك لليهود بحكم النشأة التاريخية للأمة اليهودية هناك ، وبحكم ارتباط الدين اليهودى بالارض المقدسة .

٤ — وان فلسطين هى ارض اليهود الموعودة فى الكتب المقدسة لدى اليهود والمسيحين ويجب أن تشمل جميع الاماكن التي تحرك فيها اليهود والأماكن التى أقامت فيها القبائل العبرية فى ماضى الحقب.

إذن فالصهيونية استندت فى مطالبها بفلسطين وتحديد امتدادها الجغرافى إلى الحجج التاريخية — الدينية وتأثرت بالنزعة القومية — العنصرية. لكنها فوق ذلك إنما جنحت نحو تبنى الآراء والمخططات الاستعمارية واعتمدت على ما لقيته من مؤازرة من بناة الامبراطوريات . وسنتعرض لبحث كل ذلك فيما بعد .

لقد كتب وايزمان فى مذكراته يقول :

«إننى اعلم بأن الله وعد أبناء اسرائيل بفلسطين ولكن لاأعرف الحدود التى رسمها. إننى اعتقد بأنها اوسع من الحدود المقترحة الآن وربما ضمت شرق الأردن فإذا حافظ الله على وعده لشعبه فى الوقت الذى يختاره فان واجبنا هو إنقاذ كل ما يمكننا انقاذه من بقايا إسرائيل.»

ويكتب فى مذكراته فيحدد الأرض المقدسة بقوله :

« إن الحدود التى نريد أن نتكلم عنها هى حدود فلسطين المستقبل إن الأرض اللازمة تشمل إرث قبائل إسرائيل الاثنتى عشرة ايام التوراة بالاضافة إلى الامتدادات الضرورية للحفاظ على وحدة الأرض وسلامتها ».

فهل كانت فلسطين أرضا يهودية :

لقد وجدنا فى التاريخ إن العرب او الكنعانيين كانوا يسكنون فلسطين منذ أقدم العصور ولهذا سميت بأرض كنعان وإن عددا من الأمم سبق وبسط

نفوذه على هذه البلاد وغزوا الكنعانيين. فقد بسط الفراعنة المصريون نفوذهم عليها وتلاهم الفلسطينيون والأشوريون والعبرانيون والفرس والاغريق والرومان ــ وإذن فقد كانت البلاد موضع شد وجذب من قبل الدول الطامعة فيها بسبب موقعها الجغرافى الممتاز.

وبالطبع فقد كان الإسرائيليون (اليهود) من بين الأمم الطارئة عليها ولم يشكلوا فى يوم من الأيام فى تاريخها الطويل أكثرية بين سكانها وإنهم لم يقطنوا باستمرار حيث كانوا يخرجون ويطردون منها ثم يعودون إليها ليطردوا منها من جديد. والمدة الوحيدة التى حكموا فيها أرض كنعان كانت نحو سبعين عاما فى عهد الملكين داؤد وسليمان ثم زالت تلك المملكة مملكة يهوذا ــ كما كانت تسمى من الوجود حوالى عام ٩٢٧ق.م. بان انقسمت على نفسها وشكلت مملكتين إحداهما فى الجنوب وسميت مملكة يهوذا ــ وشكلت باقى القبائل اليهودية مملكة إسرائيل فى الشمال.

ثم توالت الغزوات والفتوحات الأجنبية بعد ذلك فازالت كلتا المملكتين لضعفهما.

اما العرب فقد حكموها منذ عام ٦٣٤ م. حتى عام ١٩١٧ م. عندما حتلها الإنجليز وعلى ذلك فقد ظلت فلسطين عربية لحما ودما نحو ثلاثة عشر قرنا من الزمان .

المزاعم الدينية :

يزعم الصهاينة إنهم أصحاب حق فى فلسطين باعتبارها الأرض التى وعدهم الله بها فقد جاء فى التوراة ان الله قد وعد سيدنا إبراهيم وذريته من بعده أن يعطيه فلسطين لإقامة دولة فيها «لنسلك أعطى هذه الارض.... من نهر مصر إلى النهر الكبير.... نهر الفرات.»

ولعله من الأفضل أن نعرف شيئا عن التوراة قبل أن نناقش هذه المزاعم وغيرها.

التوراة هي إحدى الكتب السماوية وهي عبارة عن مجموعة أحكام اشترعها سيدنا موسى لقومه في صحراء سيناء إثر خروج العبرانيين (اليهود) من مصر وتشتمل على ما أوصى الله به موسى عليه السلام .

ومـــع أنها مما أنزل على سيدنا موسى عليه السلام الا أن الواجب علينا أن نذكر أن تعديلات وتحريفات كثيرة أُدخلت على شريعة موسى فـــي فلسطين في هذا الأثناء .

وإذن فالتوراة ليست كتابا واحدا بل هي مجموعة نصوص لعدة أقلام في مدى العصور الكثيرة. فهي أشبه بالنهر الذي يجري من المنبع إلى المصب بيد أنه يستقبل عددا من الأنهار الفرعية أثناء الطريق فتمتزج مياهه بمياههـــا.

وبذلك يصبح ماء النهر عند المصب هو التوراة التي بين ايدينا اليوم. فيها القديم جدا والمتوسط والحديث وفي كل صفحة من صفحاتها تلتقي عناصر متفاوته في القدم.

ولنعد الآن إلى الزعم السابق ــ ولو سلمنا جدلا بصحته باعتبار التوراة كتابا مقدسا من عند الله فاننا نلاحظ الآتي :

١ــ إن هذا الوعد الإلهي ليس موجها إلى اليهود فقط وإنما هو وعــد لسيدنا إبراهيم عليـــه السلام وذريته من بعده يتساوى في ذلك إسرائيل (يعقوب) وذريته وإسماعيل وذريته ايضـــا. ومعنى ذلك ان الوعد ليس مقصورا على بني إسرائيل وحدهم وإنما هـــو لسلالة إبراهيم على الإطلاق وقد ثبت أن أنبياء الديانات الثلاثة: موسى وعيسى ومحمد

صلوات الله عليهم كلهم يرجعون إلى جدهم الأكبر إبراهيم وبالتالى فكلهم أصحاب حق فى فلسطين وليس لليهود وحدهم هذا الحق .

٢- إن هذا الوعد قد تحقق فعلا بالنسبة لبنى إسرائيل فى عهد موسى عليه السلام حين أُخرج بنو إسرائيل من مصر إلى سيناء ثم إلى فلسطين حيث كونوا ما اسموه بدولة قائمة على أُسس دينية .

فوعد الله إذن قد تحقق على يد موسى وكان ذلك فى صورة « دولة دينية » فلما انحاز اليهود عن تعاليم الرب وعصوا ما أمرهم به موسى وفسدوا وضلوا تخلى الله عنهم وتركهم لبطش جيرانهم وأزال عنهم ما وهبه لهم من قبل.

٣- وقد تحقق وعد الله فى عصر آخر غير عصر موسى ونقصد به عصر الملكين داؤد وسليمان وهما من ملوك بنى إسرائيل وعلى ذلك يمكن القول بان وعد الله ان لم يكن قد تحقق فى عهد موسى فهو قد تحقق فى عهد سليمان فقد عرف عنه الحكمة والعقل ورجاحة التفكير .

٤- لم يكن وعد الله مقصورا على بنى إسرائيل وحدهم كما اسلفت وقد كان لإبراهيم ابن آخر هو إسماعيل - الجد الأكبر لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. فمن الجائز إذن ان نقول إن هذا الوعد ممكن تحقيقه فى بيت إسماعيل. بل يمكن أن نقول إن هذا الوعد لإبراهيم قد تحقق على يد سيدنا محمد (صلعم) حين جاء بالدعوة الإسلامية التى هى فى الحقيقة إستعادة لمبادىء الدعوتين اليهودية والمسيحية مع بعض الإختلافات اقتضها الظروف التى كانت سائدة وقت ظهورها .

وإذن فالمزاعم الدينية بان أرض فلسطين أرض الميعاد زعم لا يقوم على أدلة ثابتة.

بقى علينا أن نبحث عن المزاعم القومية .

المزاعم القومية :

يتحدث اليهود عن الوطن القومى اليهودى وعن حدوده وعن السعى إلى إعادة الشعب اليهودى إلى أرضه التاريخية لان الحياة فى المنفى اى خارج فلسطين مخالفة للدين اليهودى وللحياة القومية الطبيعية للشعب اليهودى .

فهل حقا هناك قومية يهودية كما هناك قومية عربية ؟

او بمعنى آخر هل يكون اليهود أُمة واحدة يشعر أَفرادها بالـــولاء لوطن واحد وبالولاء لبعضهم البعض.

إن الواقع لا يقر ذلك اذ ليس هناك اى رباط قائم ومستمر يجمـــع بين هذه الأمة التى تشتتت عبر العالم وعبر التاريـــخ.

ولـكى يكون بحثنا موضوعيا أَرى أَن نستعرض المقومات التى ترتكز عليها القومية ثم تطبيق تلك السمات على هذا الـكيان المزعوم لنرى مدى صحة هذه الدعوى.

إن القومية لدى أَية أُمة تعنى الوجود اللغوى والثقافى والتاريخى والاجتماعى للأمـة وإذن فمقومات القومية هى:

١ ــ التاريـخ المشترك.

٢ ــ التقاليد المشتركة.

٣ ــ اللغة المشتركة.

٤ ــ المصالح المشتركة .

٥ ــ الأرض.

فلنستعرض هذه المقومات لدى اليهود لنرى مدى صحتها.

١ ــ التاريخ المشترك:

فالمعروف لدينا أن اليهود قد فقدوا مملكتهم فى أَرض كنعان (فلسطين) منذ أَكثر من الف سنة . وانهم أُخرجوا من فلسطين. ولم يبق بها إلا أَفراد قلائل. اما البقية فقد تشتت فى أَنحاء المعمورة وعاشت جسما غريبا بين الدول ولم تستطع الاندماج فى البيئات التى عاشت فيها ــ ولذلك أَصبحت مضطهدة ومنبوذة بل كثيرا ما كانوا يطردون من أَرض إلى أُخرى .

وإذن فالتاريخ المزعوم هو فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وسبعين عاما هى فترة ملك داؤد وسليمان ويحددها بعض المؤرخين بالفترة ما بين عام ١٠٠٠ ق.م. وعام ٩٢٧ ق.م. وبعدها انقسمت الدولة إلى مملكتين يهوذا وإسرائيل ثم تم فناؤها ولم تلبث القبائل أَن تاهت فى جوف التاريخ وتشتت فى مختلف الشعوب كما قلنا سابقا ــ بل ومن السخرية أَن نقول إن اليهود الذين عاشوا فى إنجلترا منذ عشرات القرون يؤلفون تاريخا مشتركا مع اليهود الذين عاشوا فى روسيا وفى دولة البلقان مع الذين عاشوا فى الجزيرة العربية وشرقى آسيا.

٢ ــ التقاليد و٣ ــ الثقافة المشتركة :

ويكفى الرد عليها بما يتعرض له المجتمع اليهودى اليوم من متناقضات وتفرقة طائفية بين اليهود الغربيين الذين لم يستطيعوا حتى اليوم وبعد مرور تسعة عشر عاما على وجودهم فيها أَن يندمجوا مع اليهود الشرقيين الذين هاجروا اليها فى نفس الوقت لبعد الشقة بين تقاليد وثقافة هؤلاء واولئك .

٤ ــ اللغة المشتركة :

إن اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين المحتلة ينتمون إلى اكثر من ٦٠ دولة مختلفة وإن السكان يتحدثون باكثر من ٨٠ لغة مختلفة تقف

عقبة فى سبيل اندماجهم. لذلك فان اللغة المشتركة وهى العبرية لا يتكلم بها أكثر من ٤٪ من مجموع سكان يهود العالم وإذا كانت اللغة هى وسيلة الثقافة وإذا لم يكن لليهود جميعا لغة خاصة مستعملة فليست لهم بالتالى ثقافة خاصة.

٥ ــ الأرض المشتركة :

من السخف أن نقول إن الارض التى شهدت حضارات متعاقبة منذ خمس آلاف سنة إلى اليوم تظل حكرا لليهود ولان القبائل العبرانية اقامت فيها مملكة لم تدم على مر التاريخ كله قرنا كاملا لذلك فمن الغريب أن يقال عن اليهود الذين انقطعت صلتهم بفلسطين منذ أكثر من الفى عام إن لهم حقوقا تاريخية او قانونية فى تلك البلاد وتنكر فى نفس الوقت حقوق العرب الذين استوطنوا بصفة مستمرة دائمة منذ أكثر من الفى عام . ومن الغريب أن يقال ايضا إن الصلة الروحية لم تنقطع أبدا بين اليهود وفلسطين طوال هذه الآلاف من السنين ذلك لأن الصلة الروحية التى تربط مسلمى الاتحاد السوفيتى بمكة لا تجعل لهم حقوقا قانونية فى الحجاز وكذلك الصلة الروحية التى تربط مسيحى امريكا وانجلترا بالفاتيكان لا تجعل لهم حقوقا قانونية فى روما.

إن فلسطين بالذات هى منطقة ذكريات بالنسبة للأديان السماوية الثلاثة ــ فالبصرة هى مسقط رأس السيد المسيح كما أن المقدسات المسيحية فى فلسطين عامة وفى القدس خاصة تعد بالمئات والمسجد الأقصى كان مسرحا للإسراء وهو اول القبلتين عند المسلمين وتعج القدس وحدها بالعشرات من الأماكن المقدسة عند المسلمين.

فلماذا يصر الصهاينة على أن ذكرياتهم الدينية الاولى تعطيهم دون

سواهم حق الاستيلاء على فلسطين وتعجب لو علمت انه لم يبق من مقدساتهم فى القدس على قلتها سوى حائط المبكى وبضع كنائس حديثة العهد .

الدولة اليهودية قائمة على العنصرية :

إن المتتبع لسير التاريخ يجد أن اليهود هم أساتذة التعصب والسياسة العنصرية منذ أن وجدوا ويجمع المؤرخون على أن اليهود هم اول المتعصبين فى التاريخ.

يسمى اليهود أنفسهم بشعب الله المختار ويرجعون أصول هذا الاختيار إلى التوراة.

تقول التوراة « قال الرب لإبرام (وهو إبراهيم) إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريد . فاجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. »

فهذا الأمر الخطير جدا بترك الأرض والأب والعشيرة والهجرة إلى المجهول ثم الوعد بأن يجعل الله لإبراهيم أمة عظيمة مباركة ومباركة جميع من حولها لا يذكر التوراة له سببا. قلب التوراة من أولها إلى آخرها فأنت لن تجد فيها تعليلا لهذا الأمر والوعد بل على العكس أنت تجد إن كل ما حصل فى التاريخ مبنى بناء سببيا مباشرا على هذا الأمر والعهد فهذا التفضيل هو الذى اتخذه اليهود أساسا للانفرادية عن سائر البشر.

وفعلا كان. فقد بنى اليهود عليه نظرية تفوقهم على البشر وانفراديتهم عن الناس وافضليتهم على جميع المخلوقات فى نظر الخالق. وعليه وقفوا تكوينهم أمة فريدة تقف من الامم موقف المختار الذى يتمتع بحقوق ليست لغيره . وهم يعترفون بل يفتخرون بأنهم أبناء إبراهيم الذى اختير وفضل على العالمين.

فالاختيار فى نظرهم لا للرجل فحسب بل لأبنائه وسلالته. وهم يعلنون ان الاختيار لا يخضع للتعليل فاصطفاء الإله لإبراهيم أمر عرفى تلقائى قام بـه الإله لسر فى نفسه بل أكثر من هذا أن اليهود يقولون بأن التفضيل هو عقد دخل فيه الإله فهو ملزم له إلى الأبد. وإن افضلية اليهود ازلية لن تتغير. واليهود يسمون أنفسهم (شعب الميثاق) إشارة إلى هذا العقد الإلهى المقطوع إلى إبراهيم وذريته وما دام هذا الاختيار أزلى غير قابل للنقض فسواء التزم اليهود بالقانون والشرع أو لم يلتزموا فان ذلك لا يغير هذا. ان التوراة تردد مرارا إن اختيار الله لبنى إسرائيل ليس بسبب اخلاقيتهم (تمسكهم بالفضائل والتزامهم تعاليم التوراة أو بسبب توحيدهم) إن ما جاء فى التوراة صريح لا يترك مجالا للشك. وهو أى قول التوراة حين تحذر اليهود من أن ينسبوا اختيارهم إلى أى شيء خلقى ويؤكد إن الرب او الإله ويسمونه (يهوه) قد اختارهم بالرغم من عدم اخلاقيتهم تقول التوراة، وهذا مثل من كثير «اسمع يا إسرائيل (وإسرائيل هو الاسم الذى يطلق على ذرية إبراهيم وإسحق ويعقوب)وقد اعطاه (يهوه) ليعقوب» أنت اليوم عابر الأردن لـكى تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة محصنة إلى السماء وقوما عظاما وطوالا. بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف فى وجه بنى عناق فاعلم اليوم ان الرب الهك هو العابر أمامك نارا آكلة وهو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم ويهلـكهم سريعا كما كلمك الرب لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا : لأجل يرى ادخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض... ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل ... لـكى يفى بالـكلام الذى أقسم الرب عليه لابائك إبراهيم وإسحق ويعقوب. فاعلم انه ليس لأجل برك يعطيك الرب الهك هذه الأرض الجيدة تمتلـكها لأنك شعب صلب الرقبة». فلا يجوز إذن لليهود تبرير اختيارهم على أى أساس خلقى.

أثر دولة داؤد على الدين اليهودى وربط الدين بالدولة

تقول التوراة « وقد قال لك الرب (الخطاب لداؤد) انت ترعى شعب إسرائيل وأنت تكون رئيسا على إسرائيل » وتقول « الرب كلم داؤد قائلا إنى بيد داؤد عبدى اخلص شعبى إسرائيل » وتقول « الرب قد اختار صهيون (فلسطين). اشتهاها مسكنا له. هذه هى راحتى (انا الرب) الى الأبد. ههنا أَسكن لأنى اشتهيها. طعامها أُباركه بركة. مساكينها أشبع خبزا » وتقول التوراة فى النص الآتى إن يهوه (الإله) سيجازى بنى داؤد إذا خالفوا شريعته جزاء شخصيا — أَما المملكة الداؤدية فهو لن يصيبها بأذى مدى الدهر «ان ترك بنوه شريعتى ولم يسلكوا بأحكامى، إن نقضوا فرائضى ولم يحافظوا وصاياى افتقد بعضا معصيتهم وبضربات إثمهم. اما رحمتى فلا أَنزعها عنه ولا أَكذب من جهة أَمانتى. لا أَنقض عهدى ولا أُغير ما خرج من شفتى. مرة حلفت بقدسى إنى لا أَكذب لداؤد نسله إلى الدهر يكون كرسيه كالشمس أَمامى. مثل القمر يثبت إلى الدهر».

وقالت التوراة فى منتهى التعصب لداؤد ومملكته.

« فالآن أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا ياقضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة ، قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لانه عن قليل يتقد غضبه — طوبى لجميع المتكلين عليه ... »

بمثل هذه الادعاءات تكون الميثاق الداؤدى. وهو ميثاق ذو اتجاه واحد كميثاق إبراهيم بين يهوه (الإله) وداؤد وذريته وحول أُورشليم وملك داؤد فى أُورشليم.

هـــذه المقتطفات من التوراة هى جزء من كثير جعل الكهنة يقدسون الأدلة الداؤدية ويخلقون رابطة قوية بين الشعب اليهودى والكيان السياسى أو الدولة الداؤدية .

فقد كان مقصد السياسة أن يتم الربط بين الدين والدولة – وبذلك جعلوا التوراة تقول :

أولا – إن داؤد اختاره الإله وعينه ملكا على جميع « إسرائيل » أى فلسطين شمالها وجنوبها .

ثانيا – إن مملكة داؤد هى عنوان وركيزة تخليص يهوه لشعبه – فهى وفاء العهد الإبراهيمى المقطوع وتجسيمه .

ثالثا – إن اورشليم اختارها يهوه (الإله) بنفسه لتكون سكنا له فهى ليست عاصمة داؤد السياسية فحسب بل العاصمة الدينية التى لايمكن للإله أن يستقر أو يسكن أو يعبد إلا فيها.

رابعا – ان العهد الداؤدى والمملكة الداؤدية كلها أزلية – فمهما فعل الملوك ومهما تالبت الدول لن يتخلى يهوه عنها .

خامسا – ليس للأمم والملوك أن يقووا على هذه الدولة بل وعليهم جميعا أن يخضعوا لسلطانها . فداؤد هو « ابن الله » المصطفى المسيح.

ومع ذلك فلم تعش هذه الدولة الداؤدية العظيمة كثيرا ولم تر من سلالة داؤد إلا ابنه سليمان ثم انقسمت بعده على نفسها ودخلت فى نزاع وخصام مع جيرانها وحلفائها من القبائل ومع بعضهما البعض .

ثم جاء نبوخذ نصر البابلى وفتح أورشليم وأسر سكانها واحتلها – وهكذا تدهورت مملكة اليهود فى فلسطين وأخذت أحوالها تسير من سىء إلى أسوأ حتى تلاشت.

لذلك فقد اتضح لنا أن العهد الداؤدى كان فى نظر اليهودى العنصرى عصرا ذهبيا جعل اليهود يتطلعون إلى مجىء بطل يعيد لهم هذه المملكة لا بعملهم وكدهم بل بعمل خارج عنهم .

وسبب هذا ولا شك تألبهم لمملكة داؤد كما رأيت. فاذا كانت المملكة الداؤدية هى عمل الإله فلا شك إن الاله ليس بحاجة إلى نشاطهم وعملهم لإعادة بنائها فهو ينشئها للمرة الثانية كما انشأها فى المرة الأولى بفعل بطل واحد يأتى بأعماله بشكل معجزة لصفة ما فى نفسه .

ولم يكن تطلع اليهود إلى الدولة الداؤدية مجرد أَمل لحدوث شيء. بل تطلع إلى تحقيق مشيئة الله ما دامت الدولة هى مشيئة الإله فى الأرض . لذلك كان التطلع إلى تحقيق مشيئة الله تعبد وتدين. وهكذا أصبح شعورهم تجاه الدولة لا سياسيا بل دينيا .

فعظمة داؤد وعظمة مُلك داؤد عظمة دينية فهى عظمة يهوه — فيهوه هو الذى اختار وهو الذى انتصر وهو الذى اشتهى وهو الذى سكن فى أورشليم فالتطلع إلى اعادة كل هذا واجب دينى.

وعلينا أن نوضح الفارق بين تطلع اليهودى المعاصر إلى مملكة داؤد وتطلع المسلم مثلا إلى أى عصر ذهبى إسلامى فالمسلم يشعر بالعزة والفخر عند ما يقرأ آثار ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ويتمنى لو يعود ذلك العصر إلا أن هذا الشعور ليس كشعور اليهودى فقط — فشعور المسلم نحو أى عصر ذهبى شعور أدبى اجتماعى.

وشعور اليهودى نحو المملكة الداؤدية شعور دينى. فاليهودى عندما يقرأ هذه الدولة فى مجموعة الأسفار اليهودية لا يشعر بأنه يقرأ أدبا أو تاريخا أوفلسفة — هو لايقرأ إطلاقا — بل يتدين بقراءته . فهو فى قراءته لهذه النصوص يحقق أعمق المشاعر الدينية .

ويحدثنا أحد أسفار التوراة عن ثلاثة مواضيع الاول وصف معصية أُورشليم وظلمها والثانى التنبوء بأن العدو سيأتى فيدك أُورشليم ويسحقها سحقا ويبيد أهلها ما عدا قلة كى لا يباد العنصر اليهودى من وجه الأرض

أما الثالث فهو التنبوء والاشارة بأن يهوه (الإله) سيرسل فى القريب مخلصا من بيت داؤد يقوم بالمعجزات مؤيداً للمجد الداؤدى كله.

وعلينا أن نلاحظ أن العقل اليهودى ربط بين هذه الأحداث الثلاثة — فهو يؤمن بالعنصرية اليهودية قبل كل شيء وعليه يرى معصية أُورشليم بالدرجة الاولى كتحول من يهوه وعن مبادىء المملكة الداؤدية وهذا فى نظره يستحق عقاب يهوه وهو يرى أن يهوه سيعاقبه بإرسال أعداء أقوياء يحطمون مدنه وقراه ويسلبونه ماله. وبعد أن يأخذ هذا مجراه لن يكون يهوه قد نسى شعبه ولا قضى عليه وإنما لامه وأنبه فقط لنسيانه لإلهه ولمملكة داؤد. حينئذ سيرسل يهوه رجله أو ابنه البار فيعيد لصهيون مجدها التليد السالف. فأحداث التاريخ إذاً يراها اليهودى لاكأحداث تاريخ لها مسبباتها ومقوماتها ونتائجها التاريخية بل كأحداث غيبية إلهية تأتى وتروح لالمساسها بواقع الأمور بل كجزاء وعقاب لانه لم يمعن فى عنصريته ولم يحافظ فقط عليها ، لانه لم يمتثل لأمر يهوه بالمحافظة على العنصر اليهودى صافيا كاملا. أما الأحداث الطيبة فهو يراها لاكنتيجة حتمية لأعماله البارة — مهما كان البر عنده — بل كمكافأة يهوه له لانه حبيبه المختار — كتنفيذ لوعده أو عهده الذى قطعه على نفسه لإبراهيم وتحقيقا للقسم الذى أقسمه بأن يبقى على ذرية ابراهيم ونسل داؤد ومملكته .

ولكن كيف التوفيق بين الهلاك الذى سينزله يهوه بشعبه لانحرافه وتخلفه عن إرادته بأن يحفظ عنصره وبين الخلاص وإعادة المجد الذى لابد ليهوه أن يحققه ؟ فاذا كان الهلاك ضروريا لا يمكن أن يكون الخلاص ضروريا ؟ واذا كان الخلاص ضروريا ولابد منه فيجب الا يكون الهلاك ضروريا ؟ لقد حل العقل اليهودى هذه العقدة بحيلة بارعة جدا هى نظرية البقية .

ونظرية البقية تقول بانه مهما تحول الشعب اليهودى عن يهوديته ومهما عصى أوامر يهوه ومهما خالف فى طقوسه وعاداته وما رسمته له الدولة الداؤدية فإن بقية منه لن تتحول ولن تنحرف ولن تتخلف بل تبقى على إخلاصها وولائها وقد استها وطاعتها وخيريتها. وبديهى أن الغاية من هذه النظرية أى الهدف البعيد الذى تحققه هو التمكين من الإبقاء على الشعب اليهودى أى العنصرية. فهى إذاً اداة للعنصرية. وخدمة هذه النظرية للعقل هى أنها تزيل التناقض الحاصل بين ضرورة الهلاك وضرورة الخلاص . فطالما أن هناك بقية صالحة فالهلاك الكلى ليس ضروريا . ولكن الخلاص ليس للجميع لأن الحقيقة الواقعة هى أن ليس الجميع صالحين أى عنصريين. لهذا جاءت نظرية البقية تهدى الخلاص للذين تريد العنصرية اليهودية لهم الخلاص. كما دفعت بالهلاك إلى الذين كانت تريد لهم الهلاك. ومنذ بضع سنوات كرر بن غوريون دعوة اليهود إلى التشدد فى المحافظة على العرق اليهودى «نظيفا» من الاختلاط.... وقال إن الانصهار فى المجتمعات غير اليهودية هو بمثابة قبلة الموت لليهود.

وكان بن غوريون يخاطب ثلاث آلاف مندوبة للمنظمة الصهيونية النسائية اجتمعن أخيرا فى تل أبيب وقد جئن من أقطار متعددة.

وناشد بن غوريون المرأة اليهودية أينما كانت أن تعلم أولادها الحرص على عنصرية العرق اليهودى ، معلنا أن هذا العمل ضرورة لسلامة «إسرائيل» والمحافظة على اليهودية العالمية

وقد ساند دعوة بن غوريون إلى التعصب العنصرى قرارا اتخذته هيئة الحاخامين اليهود فى المنطقة المحتلة من فلسطين ، يقضى بمنع الزواج المختلط ، وعدم توقيع العقود الخاصة بذلك ، قبل التأكد أولا مما إذا كان العروسان منحدرين من آباء وجدود يهود حتى إذا لم يثبت هذا الأمر ، وجب

الامتناع عن إتمام الزواج. وقد اعتبر القرار المذكور عقابا للاشخاص اليهود الذين ولدوا من أمهات غير يهوديات، كما اعتبر إنذارا لليهود الذين يتزوجون من غير عرقهم.

إذن فالصهيونية هى الإيمان بالوحدة القومية لجميع اليهود الذين يتم تعريفهم على أساس السلالة المشتركة. وعلى ذلك فإن الدين أو اللغة لا يشكلان «الرابط القومى» المزعوم بين اليهود. ذلك لأن الصهيونيين المؤمنين بالدين اليهودى والممارسين لتعاليمه هم فى الواقع اقليه نسبية بينهم. واللغة العبرية لم يتم احياؤها إلا بعد ولادة الصهيونية. وتدل التشريعات التى سنت مؤخرا، وقرارات المحاكم فى الدولة الصهيونية، كما يدل الأدب السياسى للصهيونية منذ نشوئها على أن السلالة - أى الحقيقة البيولوجية المحضة، المبنية على الانحدار من يهود آخرين - هى التى تجعل الشخص «يهوديا» فى نظر الصهيونيين.

والسؤال الآن هل العلم يقر صحة هذه السلالة البيولوجية ذلك ما سنتعرض له فى نهاية هذا الفصل.

اليهود وتعاليم التلمود

ليس هناك من يشك فى أن الدولة اليهودية تقوم على عنصرية عرقية دينية. وقد وضح ذلك من نصوص التوراة كما أيده زعماؤهم وحكماؤهم.

الا أن الذى نود أن نتعرض له أن هذه العنصرية ليست بعنصرية لا أخلاقية فقط بل تجسيم لروح الشر والدمار للإنسانية جمعاء هى عنصرية خسيسة يتجلى فيها الكذب والغش والاحتيال والدس والفسق والفجور والانحلال بجانب الجبن والغدر والخيانة. هى صورة للانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية عنصرية تدعو لسلب العرض والمال جهرة وتعلى من قدر صاحبها بقدر ما يوغل فى الشر. وإذا تساءلت عن سندها وجدته فى كتاب مقدس لديهم. ويفخرون أن التمسك به شريعة ودين ذلك هو التلمود.

فما هو التلمود:

يعتبر التلمود تفسير للتوراة . فقد لجأ اليهود إلى تفسيرها حسب رغباتهم وشهواتهم وأهوائهم وتوسعوا فى شرحها وحولوها إلى تعاليم محددة واضحة ثابتة. فكانت تلك الشروح أصلا لما يسمونه بالتلمود وهم يقدسونه ويعتبرونه أهم من التوراة ويقولون فيه أن من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت وإنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود وتمسك بالتوراة فقط لأن اقوال علماء التلمود أفضل ماجاء فى شريعة موسى.

ويقولون إن مخافة الحاخامات هى من مخافة الله وإن من يقرأ التوراة دون أن يقرأ التلمود ليس له إله.

فما هى تلك التعاليم . لنعرض لك جزءا يسيرا منها.

١- تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه... وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح

لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات.

٢- يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم ... وإذا تسلط غير اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا ويقولوا ياللعار ويا للخراب.

٣- قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها وأن العهد مع المسيحى لا يكون عهدا صحيحا يلتزم بـه اليهودى ... وأن الواجب أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يظهرون العداوة ضد بنى إسرائيل.

٤- الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة .. فاذا ضرب اممى (غير إسرائيلى) إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت .

٥- لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض .

٦- الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب.

٧- الاجانب كالكلاب والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا للكلاب.. والكلب أفضل من الأجنبى لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس لـه أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحما.. بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منـه.

٨- الأمم الخارجة عن دين اليهود أشبه بالحمير ويعتبر اليهود بيوتهم أشبه بزرائب الحيوانات.

٩- خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان - فقط - ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم .

١٠- ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم .

١١- يحق لليهودى أن يغش الكفار.

١٢- محظور على اليهودى أن يحيى الكافر بالسلام إلا إذا خشى ضرره أو بطشه ... والنفاق جائز فى هذه الحالة .. ولا بأس من التظاهر بمحبة الكفار إذا خاف اليهودى أذاهم .

١٣- مصرح لليهودى أن يوجه السلام للكفار على شرط أن يهزأ بهم سرا .

١٤- بما أن اليهود يساوون أنفسهم مع العزة الإلهية فالدنيا وما فيها ملك لهم .. ويحق لهم التسلط على كل شىء فيها ... والسرقة مسموح بها من مال غير اليهودى ولا تعتبر هذه سرقة بل استرداد لمال اليهود.. الذى يحلله الدين اليهودى ويحلل سرقته ... وأموال غير اليهود مباحة لليهود ليأخذوا منها دون شغل أو تعب.

١٥- إذا جاء أمامك الأجنبى والإسرائيلى بدعوى... فإذا امكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحا فافعل ... واستعمل الغش والخداع فى حق الأجنبى حتى تجعل الحق لليهودى.

١٦- بأمر الله تأخذ الربا من غير اليهود وأن لا تقرضه الا تحت شروط ضخمة وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع أنه من الواجب علينا ضرره .

١٧- حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله .

١٨- إذا احتاج غير اليهودى الى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى حتى يعجز عن سداد ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله وأملاكه .

١٩- اقتل الصالح والمجد من غير اليهود.

٢٠- محرم على اليهودى أن ينجى أحدا من الأجانب من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها بل عليه أن يسدها بحجر.

٢١- قتل غير اليهودى من الأفعال التى يكافىء عليها الله ... وإذا لم يتمكن اليهودى من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب فى هلاكهم فى أى وقت وبأية طريقة ممكنة .

٢٢- الذى يخرج عن دين اليهود يقتل إلا إذا فعل ذلك ليغش غير اليهود ويوهمهم بأنه أصبح على دينهم .

٢٣- يجوز لليهودى أن يحلف إيمانا كاذبة وخاصة فى معاملاته مع غير اليهود.

٢٤- على اليهودى أن يقسم عشرين مرة كذبا ولا يعرض اليهودى للضرر.

٢٥- على كل يهودى أن يلعن المسيحيين وغيرهم كل يوم ثلاث مرات.

٢٦- كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام. فيجب على اليهود تخريبها.

٢٧- نحن شعب الله فى الأرض ... وقد فرقنا الله لمنفعتنا ... ذلك لأن الله سخر لنا الحيوان الانسانى.. وأهل كل الأمم والأجناس .. سخرهم لنا لاننا نحتاج إلى نوعين من الحيوانات نوع أخرس كالدواب والأنعام والطيور ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وغيرهم من أمم الشرق والغرب وسخر هؤلاء لخدمتنا وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونحركهم كما نشاء ونستغل علومهم وفنونهم لمنطقتنا. هذا هو منهج أخلاقهم فى التلمود. فهل كان اليهود فى فلسطين منذ أن احتلوها شيئا غير ذلك ! !

الصهيونية فى نظر العلم

من أكـــبر المفتريات عـــلى الحقيقة والعلـــم والتى أشاعها الصهيونيون وضللوا معها العقول زعمهم بأن اليهود فى جميع أنحاء العالم من أصل فلسطينى وإنهم حين يطالبون بفلسطين فإنما يطالبون ببلادهم التى نشأوا فيها ثم أُخرجوا منها .

وهذا الزعم لا يمكن تفنيده إلا بالوسائل العلمية التى تبحث فى أحوال الشعب والأجناس وتاريخها ونظرا لأن الاستعمار الصهيونى يحاول توسيع عدوانه على الشعب العربى بهذه الخرافة التى لا نصيب لها من الصحة ، فإن من الضرورى تفنيدها بالدليل العلمى الواضح ، ولذلك لم يكن بد من تخصيص فصل لمعالجة هذا الموضوع .

لقد انتشرت بين الناس تلك الخرافة التى تقول إن جميع اليهود فـــى العالم من نسل بنى اسرائيل ، وإنهم لذلك غرباء فى اوربا وإنهم شعب لاوطن له اليوم. والحقيقة التى لا سبيل إلى إنكارها هى أن يهود أوربا من أصل أوربى صميم وأنهم اعتنقوا الدين اليهودى على أيدى مبشرين من اليهود فى القرن الثالث قبل الميلاد وفيما تلاه من القرون. وقد كانت لهم مستعمرة واسعة فى حوض نهر الرين الشمالى والأوسط ، ومن هناك انتشروا فى وسط أوربا وفى شرقها وغربها .

والذين يزعمون أن اليهود جميعا من سلالة اسرائيل قلما يقفون لحظة واحدة لكى يذكروا أن هذا الوهم لو كان صحيحا لكان اليهود فى جميع أنحاء العالم متشابهين فى السحنة والمنظر والتقاطيع ، لان قانون الوراثة يقضى حتما بان الفروع تشبه الاصل وتتشابه فيما بينها تشابها شديدا. ولو نظرنا إلى اليهود فى مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر ذوى العيون الزرقاء والشعر الاصفر ، ورأينا بينهم السمر ذوى الشعر المجعد فى الحبشة والسود

فى جنوب الهند والصفر المغول فى الصين. ورأينا بينهم الطوال القامة والقصار وذوى الرؤوس الطويلة والعريضة ، ويوشك الا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما تجده بين الجماعات اليهودية فى مختلف القارات. وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها من سلالة جنسية واحدة.

فاليهود إذن ينتمون إلى عدد كبير من السلالات ، وهم يشبهون الجماعات التى يعيشون وسطها ومن أصدق الأدلة على ذلك ماحدث للألمان اليهود فى ظل الحكم النازى . فقد استطاع كثير منهم أن يثبتوا بواسطة الوثائق التى أتقنوا صنعها وتزييفها أنهم آريون حقا من أصل جرمانى صميم. فاقتنعت السلطات الألمانية بانهم آريون حقا وسجلت أسماءهم بأنهم آريون لم تجر فى عروقهم قطرة من دم سوى الدم الآرى أيا كان هذا الدم الآرى. ولوكان فى شكلهم أو مظهرهم شىء يدل على أنهم من عنصر دخيل لما صعب على أولى الامر من النازيين أن يهتدوا إلى الحقيقة .

إن مما لا شك فيه أن الصهيونيين – وأكثرهم من يهود أوربا – ليسوا من أهل فلسطين مطلقا بل هم من أصل جرمانى أو سلافى أو بلقانى ، وأن القول بأن يهود العالم مشتقون من تلك الطائفة الصغيرة العدد نسبيا والتى سكنت يوما ما فلسطين زعم ظاهر البطلان ، أثبت بطلانه عدد كبير من علماء الأجناس ومن بينهم بعض الباحثين من اليهود أنفسهم .

إن الدعوة الصهيونية لم تتورع عن طمس الحقائق وإفساد التاريخ ولكن هناك دراسات وأبحاثاً تاريخية واثنولوجية ترجع إلى عهد سابق لتلك الدعاوى وعلم الأجناس – على كل حال – علم يستند إلى المشاهدات المحسوسة المسجلة تسجيلا دقيقا ، وعلى مقاييس وملاحظات لا تحتمل الشك أو التأويل .

وهو يعتمد فوق كل شىء على قواعد الوراثة المقررة على أن الصفات

الجسدية للاجداد يتوارثها الأبناء والأحفاد وفقا لنظام مقرر ثابت تخضع له جميع الكائنات من نبات وحيوان وبشر، وليس مما يجوز فى أى عصر أن تظهر فى أى جنس من الأجناس صفة جديدة لم تكن من قبل شائعة بين أبناء ذلك الجنس. فاذا امتاز جنس بالشعر الفلفل ، استحال أن يظهر بينه أفراد شعرهم مسترسل . وبيض الوجوه لا يولد لهم أبناء سود .

وأهم الصفات التى يتخذها علماء الأجناس مقياسا للتمييز بين السلالات هى طائفة خاصة من الصفات الجسدية وأهمها شكل الشعر ولونه وشكل الرأس والوجه والانف ولون الشعر والعيون والبشرة وطول القامة .

لقد زعم عدد من الكتاب أن اليهود يمثلون جنسا نقيا لم يدخله غريب منذ أن نزل فلسطين أو نزح عنها إلى بلاد أخرى وأنه مثال نادر للصفاء الجنسى الذى لم يتكدر بالا متزاج بأى عنصر آخر ، وأنه لم يسمح للدم الأجنبى أن يختلط بدمه النقى . وأن الزواج بين اليهود ظل مقصورا على أفراد منهم دون سواهم كما كانت الديانة خاصة بهم لم يحاولوا نشرها بين غيرهم من الناس .

ونحن – فى العالم العربى – نعلم على كل حال أن الزعم بأن الدين اليهودى كان مقصورا على بنى اسرائيل زعم باطل فقد انتشر الدين اليهودى فى جهات مختلفة من الجزيرة العربية وفى القطر المصرى – قبل الإسلام بقرون عديدة ، وانتشر بوجه خاص فى بلاد اليمن . وفى القرآن الكريم إشارة صريحة إلى هذا فى سورة النحل فى الآيات الكريمة التى تروى قصة مملكة سبأ . وقد جاء فى ختامها « قالت رب أنى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين».

يذهب كثير من الكتاب إلى القول بأن الدين اليهودى مقصور على بنى اسرائيل لأنه ليس من الديانات التبشيرية العالمية. بل هو دين قومى اختص

به قوم من الأقوام دون سواهم. وهذا أيضا خرافة عجيبة. فاليهود قد بذلوا جهودا عظيمة فى التبشير بدينهم والعمل على نشره بين الأمم. فالنشاط التبشيرى اليهودى قد بدأ قبل ظهور المسيحية ببضعة قرون ولا شك أنه استمر بضعة قرون أخرى فى العهد المسيحى. ومعنى هذا أن اليهود قضوا بضعة عشر قرنا يعملون بجد ونشاط فى نشر دينهم بين شعوب وأمم لا تمت إلى بنى اسرائيل بصلة. هذه الشعوب قد اعتنقت الدين اليهودى وهى تعيش فى أوطانها على أيدى مبشرين ودعاة انتشروا فى مختلف الاقطار. وهؤلاء الدعاة أنفسهم ليسوا دائما من أصل فلسطينى بل قد يكونون ممن اعتنقوا الدين اليهودى وتحمسوا له وعملوا على نشره. وليس بصحيح أيضا ما يزعمه الكتاب بأن انتشار اليهـود فى العالم كان نتيجة لتشتتهم فى البلاد بسبب الاضطهاد. من الجائز أن يكون الاضطهاد قد ساعد على انتشار اليهود فـى مختلف الأقطار ولكن من البديهى أن هذه الاعمال التبشيرية الجديدة إنما كانت متابعة للجهود السابقة فى ميادين التبشير. ولهذا فمن الواجب أن نفرق بين الاسرائيليين من سكان فلسطين وبين اليهود الذين اعتنقوا الدين اليهـودى ولم يكونوا فى يوم من الايام من سكان فلسطين.

ومن الواجب أيضا على كل مفكر أن يفرق بين انتشار بنى اسرائيل وبين انتشار دينهم ذلك لان انتشار الدين اليهودي قد خلق أجيالا وطوائف من اليهود لاتمت إلى بنى اسرائيل بشىء سوى صلة العقيدة. أو بعبارة اخرى أن انتشار اليهودية قد قضى على بنى اسرائيل كسلالة جنسية متميزة لأننا لو فرضنا جدلا أن الذين حملوا الدين اليهـودى إلى الاقطار المختلفة كانوا من أصل فلسطينى فإنهم لم يكونوا سوى قطرة فى بحر من شعوب وسلالات لا يربطها بالاسرائيليين رابطة جنسية أو سلالية وفى هذا يقول الاستاذ أوجين بتلر استاذ علم الاجناس فى جامعة جنيف « إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى الجنس اليهودى».

ثم يقول فى مكان آخر «إن اليهود يؤلفون جماعة دينية اجتماعيـــة قوية جدا من غير شك، شديدة التماسك ولـكن العناصر التى تتألف منهـــا متنوعة تنوعا عظيما».

لا شك أن الدين اليهودى قد نشأ بين بنى اسرائيل فى أرض فلسطين وأنه انتشر منها فى جميع أنحاء العالم بواسطة الجهود التى بذلها أصحاب هذا الدين أول الامر – ولـكن المهم الذى لابد أن نعلمه ان اليهود فى ألمانيا والبلاد السلافية هم عبارة عن طوائف من الألمان والسلاف اعتنقوا الـدين اليهودى منذ القرن الثالث قبل الميلاد على أيدى اولئك المبشرين كما أن العقل لا يقبل أن يكون يهود اليمن ومصر وبلاد الحبشة – وكلها أقطار قد انتشر فيها الدين اليهودى فى ذلك الزمن البعيد نفسه – من أصل فلسطينى وقد أيد هذا الرأى ما كتبه علماء اليهود أنفسهم.

وقد جاء فى بحث الاستاذ أوجين بتلر عن اليهود مايلى :

«إن اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضم اليهم فى جميع العصور أشخاص من أجناس شتى، وهؤلاء المتهورون جاءوا من جميع الآفاق، فمنهم الأفلاشا سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذوو السحنة الجرمانية – ومنهم التامل – اليهود السود – من الهند ومنهم الخزر والمفروض أنهم من الجنس التركى.»

وهكذا يبدو لنا فى وضوح وجلاء أن يهود أوربا – وهم عماد الصهيونية ودعاتها – هم من أصل أوربى كما أن يهود اليمن من أصل يمنى ويهود الحبش من أصل حبشى، ومن الافتراء على الحقيقة أن يقال إن اليهود شعب لا وطن له، بل هم أعضاء فى شعوب كثيرة ولهم أوطان عديدة وإن اختلفوا فى الدين عن سائر السكان فيها.

أوربا وفلسطين

الأطماع الأوربيـــة :

يرجع تاريخ الأطماع الأوربية فى الشرق إلى عهد الإسكندر الأكبر حين زحف بجنوده من مقدونيا واستولى على امبراطورية عظيمة فى الشرق، كان من بينهاكثير من أجزاء الوطن العربى ومن ضمنها فلسطين. فلمـــا انقضت دولة الإسكندر وظهر الرومان جندوا الجيوش واحتلوا كثيرا مـن البلاد العربية إن لم تكن كلها فقـــد وصلت حدودهم إلى مشارف العراق والجزيرة العربية والاراضي السودانية كما ضمت اليها كل شمال أفريقيا .

وقام العرب بنهضتهم الدينية والعلمية وأسسوا امبراطورية واسعة الأرجاء ضمت اليها كثيرا من الأراضي التى كان يحتلها الرومان وأصبحت القبائل العربية منصهرة فى سكان البلاد المفتوحة ، وانتشرت اللغة العربية فيها.

بيد أن الامور لم تستتب للعرب فى ديارهم التى سكنوا فيها خاصة فلسطين لأن تحريرها من أيدى الامبراطورية الرومانية. جعل مكانتها السامية فى الدين المسيحى موضع اهتمام للأوربيين. وكانت فلسطين والقدس مفتوحة للمسيحيين من الاوربيين الذين يرغبون فى الحج، ولم يحدث أن وجدوا مضايقات من العرب المسلمين.

وشاهد القرن العاشر الميلادى بداية نشاط تجارى فى أوربا خاصة فى المدن الإيطالية مثل البندقية وجنوا وبيزا التى كانت تصل مراكبها البحريـة إلى الموانىء العربية بقصد التجارة وحمل التوابل خاصة وبيعها فى أوربـــا بأرباح وفيرة. واستمرت هذه التجارة نشطة كما كان الحج إلى القدس سهلا ومسموحا به حتى سقطت آسيا الصغرى والشام فى أيدى الأتراك السلاجقـة وأصبحت القدس فى أيديهم .

ولم يكن السلاجقة بنفس المستوى من حرية الفكر والتسامح الدينى فتضايق الحجاج الأوربيون فى بيت المقدس من وجودهم وأثاروا البابا شاكين إليه ما يلاقون من قلة التعاون مع السلاجقة .

رأى البابا أوربان الثانى أن الوقت قد حان لتوطيد أقدام الكنيسة الكاثوليكية فى البلاد الأوربية وتوحيد أوربا وذلك بإثارة الشعور الدينى فى النفوس وإشعال جذوة الحماس فى الأوربيين وجعلهم يحاربون المسلمين ويستولون على فلسطين والقدس وغيرها .

وكان البابا قد وصلته رسالة من الامبراطور البيزنطى الذى كانت عاصمته القسطنطينية وهو الكسيوس كومينوس يطلب منه أن يمده بجيوش المساعدة على طرد السلاجقة من أراضيه التى احتلوها وقد أشار الامبراطور إشارة خفية إلى أن مثل هذه المساعدة ستعمل على توحيد كنيسة القسطنطينية والكنيسة البابوية وأظهر البابا اهتماما بالغا بهذا التوحيد الذى سيكون نصرا عظيما للمسيحية المنقسمة على نفسها. وكان البيزنطيون قد لحقت بهم هزيمة نكراء فى موقعة نبزيكرت سنة ١٠٧١م. تلك الهزيمة التى ألحقتها بهم الجيوش السلجوقية .

واستجابة لطلب الامبراطور البيزنطى ورغبته فى تحقيق رغبات وأهداف الكنيسة الكاثوليكية ألقى البابا أوربان خطابا مثيرا فى كليرمون بفرنسا حض فيه المسيحيين الأوربيين على أن يقدموا أنفسهم بالجهاد الدينى ضد المسلمين وطاف الراهب بطرس على البلدان الأوربية وهو يدعوالأوربيين على أن يضحوا بكل شىء فى سبيل الاستيلاء على فلسطين.

لم يكن الامبراطور الكسيوس يفكر فى أن تحتل القوات الأوربية الأراضى التى كانت تابعة لهم ، وكان كل همه أن يحصل على المساعدات فى الرجال المحاربين والأموال ليطرد السلاجقة من آسيا الصغرى غير أن

الأوربيين كانوا يختلفون عنه فى التفكير فقد وعدتهم الكنيسة بالغفران إن هم جاهدوا فى سبيلها واستخلصوا القدس ، وكان هناك بعض الإقطاعيين من النبلاء الذين وضعوا الآمال العظام فى الحصول على إقطاعيات وممتلكات تساعدهم فى العيش الرغد ، وكان هناك التجار الإيطاليون من جنوا والبندقية وغيرها وقد وضعوا أنفسهم لمساعدة المجاهدين المسيحيين وحملهم إلى شواطىء بلاد الشام وفلسطين، وكان غرض هؤلاء التجار هـو أن تكون أراضى فلسطين والشام فى أيدى الاوربيين المسيحيين حتّى يتمكنوا مـن احتكار التجارة لأنفسهم دون مضايقة المسلمين من سلاجقة وعرب. ولقد شجع الملوك الأوربيون النبلاء الذين فى ممالكهم على الذهاب إلى الحروب الصليبية وذلك ليتخلصوا من مناوأتهم وقوتهم واشترك فى تلك الحرب أيضا كثير من الأفراد المغامرين الذين كانوا يتطلعون إلى مكاسب شخصية مادية ومن الجدير بالذكر أنه فى ذلك الوقت الذى كان الأوربيون يعدون العدة لغزو الشرق العربى المسلم كان المسلمون يحكمون أسبانيا الاوربيـة المسيحية ، وبدلا من أن يتجهوا إلى مساعدة الاسبان فى التخلص من الحكم الأموى المسلم، اتجهوا إلى فلسطين والشام ليحققوا أطماعهم الاقتصادية والتجارية والإقطاعية ويسيطروا على الطرق التجارية بين الشرق والغرب لا أن يخرجوا المسلمين من بلد أوربى مسيحى مثل إسبانيا .

الحرب الصليبية الأولي :

عندما خرجت جيوش الأوربيين فى عدد بلغ نحو مائة وخمسين ألف رجل كانوا قد وضعوا علامة الصليب فى صدورهم وأكتافهم ، ووصلوا إلى القسطنطينية حيث طلب الأمبراطور البيزنطى الكسيوس من زعماء الصليبيين أن يقسموا بأن ما يحتلونه من أراضيه التى استولى عليها السلاجقة ستعود اليه. ولما أقسموا قدم لهم ما يحتاجون من مؤن وغذاء ، فعبروا إلى آسيا الصغرى حيث اشتبكوا فى حرب مع السلاجقة الذين كانوا آنذاك

منقسمين ضعافا ، فاستولوا على آسيا الصغرى كما سقطت فى أيديهم الرها والموصل بشمال العراق وطرسوس وأنطاكية والمعرة وهى من البلاد العربية فى الشام. وواصلت جموعهم زحفها حتى بلغت الرملة فى فلسطين فسقطت فى أيديهم ، وتبعتها يافا التى لم تسلم من التخريب، ووصلوا أسوار بيت المقدس وحاصروها. وكانت مدينة بيت المقدس تابعة للمصريين فى عهد الحكم الفاطمى، وكانت بالمدينة حامية لحراستها غير أن الحصار الذى دوخ المدينة جعل الحامية المصرية وسكان المدينة يسلمون للصليبين، فما كان من الأوربيين الغازين إلا أن ذبحوا كل سكان المدينة ولقى أكثر من سبعين ألف نفس حتفهم على سيوف الصليبيين.

لقد كان انتصار الصليبين واضحا عند غزوهم للبلاد الاسلامية والعربية وكان أهم أسباب نجاحهم هو انقسام البلاد العربية الاسلامية فى ذلك الوقت. فقد كان الخليفة العباسى فى بغداد المستغفر بالله لاحول له ولا قوة وبالرغم من إلحاح الوفود التى وصلت من الشام الى بغداد طالبة العون من الخليفة إلا أنه لم يفعل شيئا فى سبيل استعادة الاراضى المسلوبة بسبب الضعف الذى لازم خلافته. وكانت بلاد الشام وآسيا الصغرى لاتجد الحاكم القوى الذى يوحد من جهادها وقيادتها ولذلك كان انقسام الأمة العربية آنذاك أكبر عامل فى نجاح الحملة الصليبية الأولى .

وكان من نتائج ذلك الغزو الصليبى أن احتل الصليبيون بعض المناطق العربية على شواطىء البحر الابيض المتوسط وجعلوا منها ممالك لهم ، وقد أصبحت القدس دولة صليبية تحت حكم غودفرى ولما مات صار أخوه بلدوين ملكا على القدس ، وجعل قبة الصخرة كنيسة وجعل من المسجد الأقصى بلاطا . واستمر فى فتوحاته وتوسعه حتى أسقط قبارية وعكا وأعمل السيف فى سكانها . وكان بوهميوند النورمانى قد جعل لنفسه إمارة

فى أنطاكية واستولى غيرهم على أراضى أخرى على الساحل وذلك بمساعدة أساطيل المدن الايطالية وهكذا نجد أن سواحل شرقى البحر الأبيض المتوسط أصبحت مغلقة على العرب المسلمين محكومة بالصليبيين الأوربيين وأخذ العرب فى الإفاقة من نومهم ، وأخذ المسلمون يعدون العدة لخلاص بلادهم من ذلك الاستعمار الأوربى الذى أراد أن يرسخ أقدامه فى موطن عربى هام من الناحية التجارية والدينية والحضارية .

الحرب الصليبية الثانية وظهور صلاح الدين الأيوبى :

لم يكتف الصليبيون بما حققوه من نصر فى بلاد سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، إذ أن اطماعهم اتسعت أكثر وأخذوا يعدون العدة لغزو مصر. وفى سنة ١١٦٩م وصل الصليبيون إلى دمياط وحاصروها ، فقام صلاح الدين الايوبى الذى كان وزيرا للخليفة الفاطمى آنذاك فى مصر ليهزم الصليبيين بعد معارك ضاربة وطردهم خارج العقبة ولما مات الخليفة الفاطمى أنهى صلاح الدين تلك الخلافات واعترف بالعباسيين خلفاء على مصر وبذلك قلل من الانقسام الذى كانت عليه البلاد العربية .

رأى صلاح الدين أنه إذا أراد أن يتخلص من الصليبيين فعليه أن يوحد سوريا ومصر ويطبق على الممالك الصليبية التى بينهما من الشمال والجنوب ، وبذلك يحقق للعرب الرغبة فى نيل الحرية لبلادهم.

وكان من أهم المخاطر التى قابلت البلاد العربية آنذاك ماقام به الملك أرناط الصليبى أمير حصن الكرك التابع لمملكة بيت المقدس ، فقد بنى هذا الأمير الصليبى سفنا حملها إلى خليج العقبة ، وحشد فيها قواته بغرض الاستيلاء على مكة والمدينة ومحو الآثار النبوية الإسلامية من الوجود.وأرسل بتلك السفن التى رست فى ميناء عيذاب السودانى وهناك قتلوا من وجدوا من المسلمين السودانيين وغيرهم وأحرقوا سفنهم، ثم اتجهوا إلى جدة

بغرض الهجوم على مكة والمدينة ، ولكن ما لبث أن قبض عليهم العادل أخو صلاح الدين ونائبه فى مصر ، وبذلك نجت البلاد الإسلامية المقدسة من سطوة الصليبيين. واستمر نشاط أرناط إذ استطاع أن يستولى على احدى القوافل الاسلامية المارة بالقرب منه بالرغم من الهدنة التى كانت قائمة بين الصليبيين والمسلمين، غير أن همة صلاح الدين التى لم تعرف الكلل جعلت صلاح الدين يتعقبه حتى التقى به وببقية جيوش الصليبيين فى واقعة حطين فى الرابع من يوليو سنة ١١٨٧، وكانت معركة ضارية انتهت بانتصار صلاح الدين وجيوشه الباسلة ، وتسليم كثير من أمراء الصليبيين ومن بينهم أرناط الذى لقى مصرعه جزاء عدم التزامه بالهدنة التى كانت قائمة بين الصليبيين والعرب .

بسقوط الجيوش الصليبية صريعة فى حطين استطاع صلاح الدين أن يتابع جهوده فينزل الضربات على بقية الإمارات الصليبية ، وسلمت القدس له فى سنة ١١٨٧، و وتهاوت غيرها من الإمارات الصليبية التى كانت كالشوك يحز فى جسْم العالم العربى والإسلامى.

الحرب الصليبية الثالثة :

كانت لانتصارات صلاح الدين أصداء مدوية فى أوربا، فقد رأى الملوك الأوربيون أن نفوذ أوربا السياسى والاقتصادى والروحى قد انهار فى الشرق العربى وخاصة فى فلسطين بعد تحرير بيت المقدس على أيدى صلاح الدين. فتزعم حركة الغزو الجديدة ملوك أوربا مثل فريدريك بارباروسا ملك ألمانيا، ورتشارد قلب الاسد ملك انجلترا، وفليب أوغسطس ملك فرنسا ، وزحفوا بجيوشهم يريدون صلاح الدين.

أما فى هذه المرة فإن الامبراطور البيزنطى لم يشترك معهم فى هذه الحملة لأنه خاف من الخطر الأوربى أكثر مما خاف من الخطر العربى أو

الإسلامى، بل إنه عقد محالفة مع صلاح الدين .

وكان على صلاح الدين أن يلتقى بالغزاة الصليبيين وقد غرق الملك الألمانى فردريك باربا روسا ولم يمكث الملك الفرنسى كثيرا فى ميادين القتال إذ رجع إلى بلاده ، أما رتشارد الانجليزى فقد استمرت الحرب بينه وبين صلاح الدين فترة من الوقت رأى خلالها ريتشارد أنه لم يستطع أن يحقق انتصارا ساحقا بالرغم من الدماء العربية التى سفكها فى أوقات الهدنة وذلك عن غدر وخيانة عندما استولى على مدينة عكا بعد أن طلبت الحامية العربية أن تترك وشأنها على أن تدفع فدية للملك رتشارد مقدارها مائتى ألف دينار وقد قبل ريتشارد هذا الشرط، فسلمت حامية المدينة ، وبدلا من أن يفى رتشارد بالوعد الذى قطعه على نفسه أمر بأن يذبح كل الأسرى العرب متغاضيا عن كلمة الشرف التى أعطاها، فقتل أكثر من ألفين وسبعمائة عربى ولقد كان عمله هذا مناقضا لتلك الأعمال الباهرة التى كان يقوم بها صلاح الدين الذى أطلق سراح ثلاثة آلاف أسير دون فدية ، وأطلق ألفا لأن البطريق توسط لديه وأطلق ألفا آخر لشفاعة أخيه لهم، وأطلق الألف الثالثة لكى لا يكون أقل كرما من الذين تشفعوا عنده. وهكذا كان الفرق بين سماحة العربى وبربرية الأوربى.

عقد ريتشارد فى آخر الأمر صلحا مع صلاح الدين كانت أهم بنوده أن استولى الصليبيون على أجزاء كثيرة من المدن العربية على سواحل البحر الأبيض المتوسط وبقيت بيت المقدس فى يد صلاح الدين على أن يسمح للمسيحيين الأوربيين وغيرهم بالحج اليها.

وهكذا أظهر الصليبيون فى هذه الحرب أيضا أنهم يفضلون امتلاك الأجزاء التى تفيد مصالحهم الاقتصادية أكثر من الأغراض الدينية التى حرضت على قيام الحروب الصليبية. وكانت هذه الحرب آخر الحروب

الصليبية جدية وأثرا. وقد بقيت بعض أجزاء البلاد العربية فى أيدى غزاة أجانب وهى المناطق الساحليه ، وكان هذا يحتم على العرب أن يتحدوا لطرد الصليبيين عندما تحين الفرصة ، والا إصبحت تلك الإمارات الصليبية قواعد للعدوان يستطيعون منها أن يهددوا كل الشرق العربى سواء العراق أو سوريا أو الأردن أومصر أو فلسطين والجزيرة العربية أو السودان كما حدث عندما أبحرت سفن أرناط إلى عيذاب وجدة فى محاولة لتخريب المسجد الحرام ومن الجدير بالذكر أن جيوش صلاح الدين كان بها عدد كبير من السودانيين الذين اشتركوا فى المعارك ضد الصليبيين.

الحروب الصليبية التالية :

بعد وفاة البطل صلاح الدين الأيوبى نشط الأوربيون مرة ثانية فى محاولة غزو الوطن العربى ولكن كانت أهواؤهم وأطماعهم الاقتصادية تسيطر عليهم أكثر من دياناتهم. وقد قامت حملة صليبية لغزو مصر التى شعر الأوربيون أنها مصدر القوة فى منطقة الشرق العربى، ولكن بدلا من أن تسير الحملة إلى مصر استطاع التجار الايطاليون من البندقية أن يغروا زعماء الحملة ويوجهوا نشاطهم إلى القسطنطينية المسيحية أما الملك فردريك الثانى امبراطور ألمانيا فإنه خرج تحت ضغط متواصل من البابا لكى يقوم بحملة صليبية على المسلمين. ولم يبد فردريك ارتياحا لتلك الحملة ولكنه خرج إليها فى عدد من جنوده، ونزل إلى سواحل الشام حيث جرت المفاوضات بينه وبين ممثلى الملك الكامل فى سنة ١٢٢٩م وهناك وصل إلى اتفاق مع المسلمين يتنازل بموجبه السلطان الكامل عن بيت المقدس وبيت لحم والناصرة على أن يترك للمسلمين المسجد الاقصى فقط من القدس، وبعض المدن. ثم عاد فردريك إلى بلاده دون قتال مع المسلمين ليجد أنه قد أثار سخط البابا عليه بسبب اتفاقه ومهادنته للمسلمين بقدر ماكره المسلمون موافقة

الكامل على هذه المهادنة الشائنة التى سلبتهم أجزاء من وطنهم. وكان الكامل يأمل أن يساعده فردريك فى التخلص من أعدائه الايوبيين.

لم تستمر القدس طويلا فى أيدى الصليبيين لأنه فى سنة ١٢٤٤م تقدم بعض الأتراك من أواسط آسيا بعد زحزحتهم جموع جنكزخان حتى وصلوا الى فلسطين وهناك استولى هؤلاء الاتراك على بيت المقدس وأنهوا بذلك الحكم الصليبى فيها.

أثار تحرير القدس ثائرة أوربا وتحفظها وبدأت الحملات الدعائية تصدر مطالبة بحملة صليبية للاستيلاء على القدس.

وكان بطل الصليبيين فى هذه الحملة وقائدهم هو الملك الفرنسى لويس التاسع أو كما كان يعرف بلويس القديس. وخرج لويس بجيوش فرنسية من بلاده قاصدا الشرق العربى، وبدلا من أن يهبط الجيش الفرنسى فى سواحل فلسطين نزل بالقرب من دمياط ثم استولى على تلك المدينة المصرية وأخذ الفرنسيون يعدون العدة للاستيلاء على بقية أجزاء مصر بعد أن رفضوا أى صلح بينهم وبين المصريين. وتقدمت جيوش الفرنسيين صاعدة نحو القاهرة، وشعر المصريون بالخطر المحدق بهم، فاستماتوا فى القتال ذوداً عن وطنهم وجعلوا يقتلون ويأسرون فرسان الفرنجة وجنودهم فى القنوات والترع الكثيرة التى كانوا يحاولون خوضها للوصول إلى القاهرة، وما لبث أن وقع الملك لويس التاسع نفسه فى الأسر، وفت فى عضد الصليبيين، وأخذ لويس يبحث لنفسه عن طريق للخلاص من الأسر وانتهت الحملة أخيراً بأن دفع الملك لويس فدية لنفسه لإطلاق سراحه وكان ذلك فى سنة ١٢٥٠م، وأخلت الجيوش الفرنسية المهزومة أرض مصر، وعادت حملتها الصليبية إلى أوربا بعد أن جاهد العرب خير جهاد فى حماية أوطانهم.

ولم تكن هذه الحملة الصليبية هى الأولى من نوعها على مصر، ولكنها

كانت تأكيدا للعرب على أن الأوربيين ينظرون إلى مصر بأنها هى المركز الرئيسى للكفاح العربى المسلم ، وكانوا يرون أن ينزلوا بها الضربة القاضية حتى تقل المقاومة فى أراضى الشام وفلسطين ويتم لهم احتلال تلك البلاد أيضا

أما لويس التاسع فإنه بعد أن عاد إلى فرنسا قرر الخروج إلى حرب صليبية ثانية كما توهم وغزا تونس فى سنة ١٢٧٠م، ولكنه لقى حتفه هناك.

تقلص النفوذ الصليبى:

استمرت الاطماع الأوربية فى الشرق العربى تنتظر الفرصة السانحة للنهب من أجزاء تلك الأراضى وكان العرب والمسلمون فى تلك المنطقة فى يقظة تامة وعلى استعداد لرد العدوان.

وكان أكبر ما يشغل بال الحكام المسلمين فى الشرق الاوسط وجود الدويلات الصليبية فى وسطهم حتى أصبحوا يشعرون بثقل وطأتها، وبعدم الاطمئنان على استقرارهم فى الوطن العربى.

ولما كان الحكم الايوبى فى مصر قد بدأ يضعف بسبب الاختلافات وصغر سن الولاة ، بدأت قوة جديدة تظهر فى مصر هى قوة المماليك، وتخلصت هذه القوة من بقايا السلاطين الأيوبيين فى سنه ١٢٥٠م. وقامت فى أعقابها سلطنة المماليك .

الظاهر بيبرس ١٢٦٠ – ١٢٧٧ :

فى سنة ١٢٦٠م تولى الظاهر بيبرس السلطنة المملوكية فى مصر، وكان هو السلطان الرابع فى سلسلة المماليك، وقد اشترك بيبرس فى الحرب ضد لويس التاسع كما كان من أظهر القواد المماليك الذين حاربوا المغول فى واقعة عين جالوت، وهزموا الجيوش المغولية، وأوقفوا زحفها على الشام ومصر بعد أن كانت قد استولت على العراق .

وكان بيبرس على درجة عظيمة من حسن التنظيم والكفاءة الإدارية. وقد وضع نصب عينيه أن يقفوَ خطوات صلاح الدين الايوبى فى حربه ضد الصليبيين وكان الموقف فى الشرق الأوسط فى أيام الظاهر بيبرس أشبه مايكون بالحالة التى كان عليها أيام صلاح الدين من حيث سيطرة الصليبيين على كثير من المناطق العربية.

وكانت الفترة التى تقلد فيها بيبرس الحكم من سنة ١٢٦٠ إلى ١٢٧٧م فترة كلها صراع مع الولايات الصليبية وقاد فى غضونها حملات لم تعرف الفتور والضعف. وقد ظهر له خطر الصليبيين مجسما عندما حاولوا أن يتحالفوا مع خلفاء هولاكو التترى، إذ كانت بعض الجموع التترية تميل إلى المسيحية، وبدأ الاتصال بينهم وبين الصليبيين الأمر الذى كان سيسبب خطرا عظيما على المسلمين إن لم يتخذوا خطوات جريئة فى صد العدوان قبل أن يصبح عدوانا ثنائيا متحالفا.

أخذ بيبرس فى تنظيم حملات متعددة بين سنة ١٢٦٣ – ١٢٧١، وكلها كانت تهدف إلى إسقاط الدويلات الصليبية الرابطة فى قلب الوطن العربى. وقد نجح فى إسقاط عدد كبير من الحصون الصليبية فى سوريا، كما أنه احتل الكرك فى سنة ١٢٦٣، وتبع ذلك استيلاؤه على قيسارية في سنة ١٢٦٥، وحاصروا سوف ٤٠ يوما ثم سلمت اليه، أما يافا فقد احتلها فى سنة ١٢٦٨ وسقطت أنطاكية فى ٢١ مايو ١٢٦٨. وبسقوط أنطاكية شعرت الحاميات الصليبية فى الحصون الصغيرة المجاورة بحرج موقفها، فأخلتها وهجرتها. وما لبث حصن الأكراد الخطير الذى كان فيه الفرسان الصليبيون أن سقط هو أيضا فى عام ١٢٧١م. وهكذا اضمحل شأن الولايات الصليبية ولم يعد فى إمكانها البقاء شوكة فى جنب الوطن العربى.

وكان الظاهر بيبرس طيلة كفاحه ضد الاستعمار الاوربى فى ذلك

الحين يدافع فى نفس الوقت عن الوطن العربى ضد إغارات المغول التى لم تتوقف بعد على مشارف الدولة المملوكية على الحدود العراقية .

السلطان قلاوون ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠ :

اهتم السلطان قلاوون بإزالة آثار العدوان الصليبى على الوطن العربى، وقام بذلك بهمة تماثل همة بيبرس خاصة وأن الطريق قد أصبح أكثر سهولة فعمد إلى محاصرة طرسوس وأخضعها فى ٢٥ مايو ١٢٨٥م كما أعد العدة لمهاجمة طرابلس التى كانت من أمنع الحصون الصليبية وأقواها، وبعد قتال مرير استولى عليها فى أبريل ١٢٨٩م. وكان سقوط طرابلس فى يد العرب ذا أثر كبير فى تحطيم الروح المعنوية فى الحصون المجاورة التى ما لبثت أن استسلمت.

لما مات قلاوون خلفه ابنه الأشرف فى (١٢٩٠–١٢٩٣)م وكان عليه أن يستمر فى ضرب الجيوب الاستعمارية فى أرض الوطن العربى، وتحرير كل أجزائه من الصليبيين. وكانت أهم المدن التى فى أيديهم عكا التى كانت منيعة بفضل حصونها غير أن كلا من قلاوون وابنه الأشرف كان قد أعد للأمر عدته ، فاستعمل الأشرف ٩٢ منجنيقا لضرب المدينة وأسوارها بالحجارة، وبعد حصار دام أكثر من شهر استطاع المسلمون أن يفتحوا طرابلس، وبعد قتال ضار تم الاستيلاء عليها ، كما أصبح من السهل الاستيلاء على عدة مدن أخرى سقطت الواحدة بعد الأخرى فى نفس السنة وتلك المدن هى صور وصيدا وبيروت وأنطرسوس وبذلك تم تحرير البلاد العربية من براثن الاستعمار الغربى الأوربى الذى بدأ عدوانه بحجة الاستيلاء على بيت المقـــدس.

ماذا تعنى الحروب الصليبية للعرب والمسلمين :

لقد كانت الحروب الصليبية سلسلة من المذابح البشرية اختارتها أوربا

لتحقيق أغراض مختلفة بدأت بدعوى أنها دينية وما لبثت أن أصبحت استعمارية موغلة فى ذلك. ولعل من أسوإ نتائج تلك الحروب أنها خلقت عداوة شديدة فى قلوب الاوربيين نحو المسلمين كما أثر فشلهم فى تلك الحروب على نظرتهم نحو العرب، واستمر الحقد متمكنا فى صدورهم بالرغم من السنين الطويلة التى مضت على تلك الحروب.

ويجب ألا يغيب عن البال أن علاقتهم باليهود ليست مثل علاقتهم بالعرب فلم تكن لليهود فى يوم من الأيام دولة. وجد الأوربيون أنفسهم فى صراع معها، بينما كان العرب والمسلمون فى عصور التاريخ قوة دولية عالمية تمكنت من طرد الحشود الصليبية لعدة قرون وكان لعدم الاحتكاك الدموى بين الأوربيين وبين دولة يهودية أثره فى خلو علاقاتهم من عداوة تقليدية تاريخية بينما كان العرب والمسلمون فى صراع مستمر مع الغرب منذ ظهور الاسلام.

ومن الملاحظ أيضا أن النواحى الاقتصادية كانت هى التى تدفع بالحروب الصليبية وتوجهها حسب المصلحة الاقتصادية ، فقد كان تجار المدن الايطالية وهم أصحاب السفن يكتفون بالاستيلاء على السواحل الشامية ثم تلت ذلك محاولة السيطرة على مصر التى كانت أهم ملتقى للطرق التجارية بين الشرق والغرب، وكانت رغبة هؤلاء التجار فى السيطرة على مصر لهذه الأغراض واضحة، خاصة الملك لويس التاسع الفرنسى الذى رأيناه يحاول الاستيلاء على مصر أولا ، فلما أخفق هاجم تونس، وترك فلسطين وبيت المقدس جانبا.

ولهذا فإننا نستنتج ونحن مصيبون أن مصالح الاستعمار الأوربى تتخذ من الدين ذ ريعة لتحقيق مطامعها الاقتصادية .

بالاضافة إلى ذلك فإننا نجد محاولة سيطرة الكنيسة الغربية على الشرق

العربى أقوى بكثير من محاولة الكنيسة البيزنطية آنذاك ومازال العداء الأوربى المسيحى للعرب قويا مع أننا لا نجد تلك المشاعر بين المسيحيين الأرثوذكس والمسلمين. إن مسيحيى غرب اوربا ربطوا الدين بمصالحهم الاستعمارية وهددوا الشرق العربى بكل معتقداته.

أما البحر الأحمر والتجارة التى تسير فيه فقد كانت منذ العهد اليونانى والرومانى من أهم مناطق النفوذ الأوربى وماكانت الحروب الصليبية إلا امتدادا لتلك المطامع الأوربية القديمة ، كما أن اوربا الحديثة تجد فى البحر الأحمر موقعا هاما لطرق الملاحة القصيرة ولذلك فإنها ستستمر فى المحاولة للسيطرة عليها. وكان الملك سليمان عليه السلام قد بنى أسطولا فى خليج العقبة للوصول إلى اليمن والحبشة ولما استولى الصليبيون على فلسطين بنى رينو سفنا حملها رجاله من داخل فلسطين إلى العقبة على الجمال، ثم هدد بها ميناء السودان آنذاك وهى عيذاب وهاجمها كما هاجم جدة ، وتوغلت جنوده فى الجزيرة العربية تريد أن تستولى على المسجد الحرام وتخربه لو لا أن هزمهم العرب.

إن البحر الاحمر يجب أن يبقى عربيا خالصا حتى لا تهدد البلاد العربية دولة عدوانية مثل إسرائيل حديثا والصليبيين قديما وإن أى منفذ يجده الأعداء نحو هذا البحر سيستفيدون منه فى توجيه الضغط على البلاد العربية ومحاولة إيجاد حالة عدم استقرار فى هذه المنطقة .



هكذا يرسم الصهيونيون شعاراتهم المعبرة عن مطامعهم على مسجد الصخرة المشرفة بالقدس

نشأة الصهيونية

الصهيونية فكرة يهودية ذات هدف ديني وسياسي معا وهي مأخوذة من كلمة (صهيون) أحد الجبال التي تقوم عليها مدينة القدس وهدف الصهيونية هو العمل على تحقيق الطموح الديني اليهودي في الاستيلاء على فلسطين وإقامة الدولة اليهودية فيها وإعادة بناء معبدهم الديني (المسمى هيكل سليمان) مكان المسجد الأقصى المبارك وممارسة العبادة الدينية فيه.

وقد جاء في دوائر المعارف البريطانية (انسيكولوبيديا برتا نيكا) طبعة ١٩٢٦ المجلد ٢٧ ـ ٢٨ صفحة ٦٨٦ ـ ٩٨٧ تحت كلمة (الصهيونيـة) ما نصه: «إن اليهود يتطلعون إلى اقتداء (إسرائيل) واجتماع الشعب في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية وبناء الهيكل وإقامة عرش داؤد في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داؤد» وجاء في دائرة المعارف اليهودية (جويش انسيكولوبيديا) المطبوعة باللغة الانجليزية تحت كلمة (الصهيونية) «أن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم وأن يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل (أي مكان المسجد الأقصى) ويقيموا ملكهم هناك».

وقد أعلن الزعيم اليهودي (كلوزنر) رئيس جمعية الدفاع عن المبكى في جريدة (بالستاين ويكلي) اليهودية في اغسطس ١٩٢٩م قوله «المسجد الأقصى القائم على قدس الاقداس في الهيكل إنما هو لليهود».

وجاء في كتاب (مطامع اليهود) المطبوع سنة ١٩٤٨م ما نصه «صرح رئيس حاخامي اليهود في فلسطين بان عاصمة الدولة اليهودية لن تكون تل أبيب بل ستكون القدس لأن فيها هيكل سليمان ولأن الصهيونية حركة سياسية ودينية معا وأن شبان اليهود سيضحون بحياتهم لاسترداد مكانهم

المقدس الهيكل (مكان المسجد الأقصى) وأعلن بن غوريون رئيس وزرائهم في تصريح له (إنه لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل).

حاخام رومانيا يطلب إباحة المسجد الأقصى لليهود :

بل وقد تلقى سماحة السيد محمد أمين الحسيني بصفته مفتي فلسطين الأكبر ورئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى كتابا من حاخام اليهود في رومانيا (ابراهام روزلمباخ) بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٣٠ يلح فيه على ضرورة إباحة المسجد الأقصى لليهود ليقيموا فيه الشعائر الدينية اليهودية وقد كتب الحاخام المذكور بمثل ذلك إلى السكرتير العام البريطاني لحكومة فلسطين في ذلك الوقت.

تصريح خطير لزعيم يهودي ووزير بريطاني سابق :

كذلك صرح السير الفرد موند الزعيم اليهودي والوزير البريطاني السابق الذي أصبح فيما بعد (لورد ملشت) تصريحا خطيرا قال فيه (إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريبا جدا وإنني سأكرس ما بقي من أيام حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى).

ومنذ نصف قرن صرح اسرائيل رانجويل أحد كبار اليهود (ان فلسطين وطن بلا سكان فيجب أن يعطى لشعب بلا وطن،) أي (لليهود) وقال إن الواجب على اليهود في المستقبل أن يضيقوا الخناق على عرب فلسطين حتى يضطروهم إلى الخروج منها. فالفكرة الصهيونية تقوم على أساس دعوة يهود العالم المشتتين في سائر أقطار الأرض للعودة إلى فلسطين بعد تشتتهم وخراب هيكل عبادتهم وإعادة بناء هذا الهيكل في مكان المسجد الأقصى المبارك. وهذا لا يتم إلا باستيلائهم بالقوة على بيت المقدس وتقويض أركان المسجد الأقصى وطرد الشعب العربي الفلسطيني وتشريده أو إبادته..

لقد ظل اليهود يعتنقون هذه الفكرة ويعيشون فى هذا الخيال أجيالا طويلة منذ تدمير هيكلهم ونفيهم من القدس على يد القائد الرومانى (طيطس) إلى أن ظهرت الفكرة الصهيونية فى القرن الماضى.

مراحل الصهيونية :

مرت الصهيونية بمرحلتين هامتين

١ ـ المرحلة الأولى ـ الصهيونية كفكرة

٢ ـ المرحلة الثانية ـ الصهيونية السياسية

إن أول الصيحات التى سجلها التاريخ كتاب أرسله يهودى فرنسى فى عام ١٧٩٨م (وقت حملة نابليون على الشرق الأوسط) ناشد فيه أبناء دينه أن يؤلفوا مجلسا أعلى مقره باريس تمثل فيه فروع الطائفة فى جميع أنحاء العالم على أن يرفع هذا المجلس طلبا إلى الحكومة الفرنسية بإرجاع جميع اليهود إلى سماء وطنهم ثم وصف هذا الوطن بالعبارة التالية

«وهذا القطر الذى نريد أن نحتله يشتمل على مصر السفلى (الوجه البحرى) ويمتد شرقا إلى الجهات المتاخمة وينتهى بخط يمتد من بلدة عكا إلى البحر الميت وموقع القطر أنفع المواقع فى العالم.

وسيمكننا من السيطرة على ملاحة البحر الأحمر وعلى تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقية الشرقية والجنوبية وكذلك سيسهل لنا تجارة إيران وآسيا نظرا لقربه من مدينتى دمشق وحلب كما سيسهل الاتصال بواسطة البحر الأبيض المتوسط بالبلاد والممالك الأوربية. وهكذا تكون بلادنا بفضل موقعها الممتاز فى قلب العالم العربى المستودع الأكبر للمنتجات العالمية الثمينة».

ثم يوضح الكاتب بعد ذلك المزايا التى تجنيها حكومة فرنسا من احتلال

اليهود لذلك القطر والثمن الذى يجب أن يدفع للباب العالى فى مقابل الاستيلاء عليـــه .

لذلك فعندما قام نابليون بتجهيز حملته الشهيرة على الشرق فى عام ١٧٩٨ فكر فى استغلال اليهود وتسخيرهم من أجل الوصول إلى تحقيق أهداف فرنسا فى السيطرة على فلسطين وما جاورها من البلدان العربية فأخذ يقوم بالدعاية فى الأوساط اليهودية زاعما أنه سيعيد الشعب اليهودى إلى القدس ويعيد بناء هيكل سليمان إذا ما مد اليهود له يد العون فى حملته هذه. وأصدر لهم بيانا مشهورا فى ذلك. وقد رأى نفر من منقذى يهود فرنسا فى ذلك فرصة سانحة. فاقترحوا على الحكومة الفرنسية بالإضافة إلى اعادة اليهود إلى فلسطين مساعدتهم فى إنشاء دولة لهم تضم دلتا النيل وجميع الأراضى الممتدة من عكا شمالا إلى البحر الأحمر جنوبا إلى البحر الميت شرقا ومقابل ذلك يمنح اليهود الحكومة الفرنسية جميع الضمانات المالية . ويقتسمون مع تجار فرنسا وحدهم كامل تجارة الهند.

ولـكن جميع جهود نابليون فى السيطرة على فلسطين فشلت فارتد عن أسوار عكا عام ١٧٩٩ وهو يردد جملته المشهورة « لو فتحت عكا لفتحت الشرق » وهذا يبين لنا سير الحركة الصهيونية والحركة الاستعمارية جنبا إلى جنب رفيقين متلازمين. وفى عام ١٨٨٠ تأسست فى فرنسا حركة « الاتحاد الإسرائيلى العالمى» ظاهرها رفع المستوى المعنوى والثقافى لليهود وخاصة فى الشرق وشمال أفريقيا. وأبدت فرنسا عطفا ظاهرا عليها. ودعمتها بقوة حتى استطاعت هذه الحركة شراء بعض الأراضى فى فلسطين وإقامة بعض المشروعات عليها ، كما أنها أنشأت أول مدرسة زراعية فى فلسطين هى (مكفا اسرائيل) التى لاتبعد من مدينة يافا بأكثر من أربعة كيلومترات.

كما أخذت بريطانيا بعد القضاء على نابليون تنافس فرنسا فى الوصول

إلى فلسطين.

وكذلك من روسيا انطلقت الشرارة الأولى للصهيونية فقد كان اليهود يحجون إلى فلسطين سيرا على الأقدام ولكن روسيا القيصرية كانت تقاوم أى مشروع يرمى إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين وذلك بسبب تمسكها الشديد بالتقاليد المسيحية الأرثوذكسية. وقد كانت هذه المقاومة عاملا كبيرا فى تأخير صدور وعد بلفور إلى ما بعد انهيار الحكم القيصرى مباشرة.

إلا أن الأوضاع فى روسيا فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ساعدت الحركة الصهيونية بطريق غير مباشر ذلك لأنه عقب اغتيال قيصر روسيا «إسكندر الثانى» قامت الحكومة بذبح اليهود واضطهادهم مما اضطرهم للهجرة إلى غرب اوربا حيث أسسوا جمعيتين إحداهما جمعية حب صهيون وكانت مهمة هذه الجمعية إحياء اللغة العبرية وشراء الأراضى بفلسطين وتدريب الشباب اليهودى وتهجيره اليها – وتعتبر هذه البذور السياسية الأولى للصهيونية .

ويعتبر عام ١٨٨١ بدء الهجرة اليهودية إلى فلسطين فقد شهد ميناء حيفا خلال هذا العام نزول ثلاثة آلاف يهودى. وقد كان أثرياء اليهود يمدون هذه الجمعية بالعون المادى وخاصة البارون رتشيلد اليهودى الفرنسى. وهكذا أخذت المستعمرات اليهودية فى الانتشار فى داخل فلسطين.

رواد الحركة الصهيونية من اليهود :

كان كثير من زعماء اليهود ومفكريهم يؤلفون الكتب فى القرن التاسع عشر ويؤكدون أن الدول الاستعمارية لن تتمكن من الاستيلاء على البلاد العربية التابعة للسلطنة العثمانية مالم تتمكن من توطين اليهود فى فلسطين ومن أشهر هؤلاء :

الحاخام زفى كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤)

ولد كاليشر فى عام ١٧٩٥ فى وقت طغى فيه المفهوم القومى على أى مفهوم آخر فى أوربا. ولعله كان أمراً طبيعيا أن تظهر بوادر الفكر الصهيونية عند كاليشر وهو فى الواحدة والاربعين من عمره فى عام ١٨٣٦. ففى ذلك العام أكد كاليشر على أن بداية الخلاص ستكون بفعل الجهد الانسانى وبمساعدة الحكومات من أجل جمع اليهود المبعثرين فى جميع أنحاء الأرض ، فى الأرض المقدسة .

وبعد ستة وعشرين عاما نشر الحاخام كاليشر مؤلفه الصهيونى الهام « البحث عن صهيون» كانت النقطة البارزة فى هذا المؤلف رد كاليشر على أنصار الحل المنادى بالتدين كأسلوب لحل المشكلة اليهودية. فقد أكد كاليشر على أن « بداية الخلاص ـ لن يكون على أيدى « المسيح المنتظر » وعلى عكس ذلك فانه سيبتدىء بإيقاظ رغبة المحسنين فى المساعدة. ويكسب موافقة الأمم المختلفة على جمع بعض المشردين من أهالى إسرائيل ، فى الأرض المقدسة وقد آمن كاليشر بأن العمل فى الأرض المقدسة هو بحد ذاته جهد مقـــدس ودعا اليهود إلى استيطان فلسطين لأنه بدون ذلك لن يبدأ تجمعهم فى الأرض المقدسة . ولكى يشجع عملية الاستيطان تلك اقترح كاليشر إقامة منظمة تتولى تحقيق ذلك بحيث تكون مسئوليتها «شراء المزارع والحقول وحرثها».

وباختصار فإن أهم ما قدمه كاليشر للفكر الصهيونى كان تركيزه على القومية اليهودية ودعوته إلى استيطان فلسطين وهجومه على حل «التدين» الذى نادى به بعض اليهود.

البارون دى هيرش (الألمانى) : (١٨١٢ ـ ١٨٧٥)م

أسس جمعية الاستعمار اليهودى فى لندن وأخذ يهتم بتهجير اليهود إلى الأرجنتين وقد ألف كتابا أسماه (روما ـ أورشليم) مقارنا أورشليم بروما

وداعيا إلى أن تتحرر أورشليم كمـــا تحررت روما مثيرا بذلك عاطفة الجماهير اليهودية للهجرة إلى فلسطين ومبينا أن تركيا والبلاد العربية أصبحت في وضع يجعل تحقيق إيجاد وطن قومي لليهود فى فلسطين من اليسر بمكان، وأكد فى كتابه هذا ضرورة إحياء التراث اليهودى القومى فكان والحالة هذه نقطة انطلاق فكرى للحركة الصهيونية .

موزس هيس (١٨١٢ – ١٨٧٥)

ولد موزس هيس فى العام ١٨١٢م فى وقت كانت الحركة القومية فيه تحتل مركز الصدارة فى أوربا. وبعد تحول فكرى أصبح هيس عميق الاقتناع بأن عالم المستقبل يجب أن ينظم كسيمفونية متناسقة على أسس الثقافات القومية. وكانت مساهمته الأهم تتلخص فى الطريقة التى ربط بها مصير شعبه .« بالسيمفونية المتناسقة » التى تصورها .

ومؤلف هيس الكلاسيكى هو « روما والقدس» الذى نشره فى عام ١٨٦٢ وحاول هيس فى هذا الكتاب إثبات أن الاتجاه الداعى إلى ذوبان اليهود فى المجتمعات الاوربية لايشكل حلاعمليا للمسألة اليهودية. وقد أشار إلى ما أسماه « جهل رعاع آسيا وأوربا وبدائيتهم». بحيث هم دائما على استعداد لتصديق كل ما يقال عن اليهود وأضاف هيس أن الشعب اليهودى شعب « بائس مطعون به ، محتقر ومبعثر» وإن (العرق) اليهودى هو واحد من أقدم الأعراق الانسانية وأن اليهود استطاعوا الحفاظ على وحدتهم بالرغم من اختلاف البيئات بحيث « حفظ الجنس اليهودى صفاءه عبر القرون»! !

وقد آمن هيس بأن الاصلاح وتغيير الدين والتعليم والاستنارة فشلت جميعها فى جعل المجتمع الاوربى يغير من نظرته إلى اليهود وأن الذوبان فى المجتمعات الأوربية لايشكل حلا أفضل من الحلول السابقة الأخرى لأن اليهود المقيمين فى وسط الأمم الأخرى لا يمكن أن يلتحموا عضويا بهذه

المجتمعات لهذه الاعتبارات كلها أكد هيس على أنه ليس من حل حقيقى للمسألة اليهودية « طالما أن اليهودى لازال ينكر قوميته ».

ولأن هيس كان عميق الاقتناع بأن المستقبل هو مستقبل الامم وبسبب إيمانه بوجود قومية يهودية « بدون الايمان بها ماكانت اليهودية لتدوم» انتهى إلى القول بأن « النهضة القومية وحدها هى القادرة على وهب عبقرية اليهودى الدينية الحياة من جديد» ولان هيس كان عظيم الايمان بمساعدة فرنسا لليهود فقد دعا أبناء شعبه إلى إقامة المستعمرات فى الارض المقدسة على أمل أن تساعد فرنسا فى تحقيق هذا المشروع.

ليون بنسكر (١٨٢١ - ١٨٩١)

لم يكن بنسكر أكثر اليهود الروس ذوبانا فى المجتمع الروسى فحسب بل كان أيضا أكثرهم حماسا لجعل اللغة الروسية والثقافة الروسية تطغيان على حياة اليهود الداخلية وعلى ديانتهم أيضا. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك إلى الحد الذى جعل منه شخصا نشيطا فى أعمال « جمعية نشر الثقافة » بين يهود روسيا وكان ذلك كله ناجما عن إيمان بنسكر بأن النظام الروسى سيطور نفسه إلى ملكية دستورية تعيش فى ظلالها كل الشعوب فى مساواة تامة.

إلا أن انفجار أعمال العنف فى عام ١٨٨١ التى وجهت ضد اليهود جعلت بنسكر يترك الجمعية معلنا أنه لابد من إيجاد حلول جديدة وطرق جديدة ولم يكد ينقضى عام على ذلك حتى وضع بنسكر آراء ه فى نداء وجهه إلى اليهود بعنوان « التحرر الذاتى». كان نداء بنسكر بالأساس هجوما على أولئك الذين بنوا آمالهم على تحرير الحكومات الأوربية لذاتها وتغييرها لأساليب معاملتها لليهود وأكد بنسكر على أن اللاسامية جعلت إمكانية تمتع اليهود بحقوق الأقلية فى أى مكان إمكانية ضعيفة. وقد وصف اليهود قائلا: « إنهم الشعب المختار للكرة من قبل العالم » وأضاف أن اليهود اينما كانوا

ينظر اليهم على أنهم غرباء ولذا يحتقرون. وأعلن بنسكر أنه لا تحرر اليهود المدنى ولا تحررهم السياسى كان كافيا لرفعهم فى أعين الشعوب الأوربية ولذلك فإن التحرر الحقيقى يكمن فى خلق قومية يهودية للشعب اليهودى بحيث يعيش ذلك الشعب على أرض واحدة محددة.

وكان بنسكر مقتنعا أن اليهود كانوا يفقدون ما كانت جميع الأمم تمتلكه وعنى بذلك الأرض حيث يعيش شعب ما تحت حكم واحد وأضاف بنسكر أن التجربة إن علمته شيئا فهو أن اليهود يجب أن يكون لهم مأوى إن لم يكن لهم بلد خاص بهم

ويتضح أن بنسكر قد عالج فى كتابه فكرة الدولة اليهودية وهو أول كتاب فيه دعوة إلى عقد مؤتمر يهودى.

ولم تقتصر مساهمة بنسكر فى الحركة الصهيونية على مساهمته فى الدائرة الفكرية فقد قدم عددا من الاقتراحات العملية والتنظيمية اقترح بموجبها إقامة منظمة مركزية تكون نواتها « الجمعيات القائمة فعلا » وطالب بعقد مؤتمر قومى ينبثق عنه مكتب مركزى وإن تعذر ذلك تنشأ هيئة تتولى القيام بالأغراض ذاتها وتقيم هذه الهيئة بالاشتراك مع عدد من الممولين اليهود شركة مساهمة مهمتها شراء قطعة أرض يمكن مع الوقت استيطانها من قبل عدة ملايين من اليهود.

وباختصار فإن أهم ما قدمه بنسكر يكمن فى دعوته إلى تحرر اليهود الذاتى والسريع وهجومه على أولئك الذين دعوا إلى الاعتماد على تغيير الحكومات الأوربية لأساليبها ونظرتها لليهود.

ونحن نلاحظ أن مثل هذه الدعوة الفكرية النظرية بدأت تجول فى خواطر القوم عاكسة الأفكار التى بدأت تتحرك فى أذهان ساسة الدول

الغربية وتستأثر باهتمامهم من حيث اقتسام البلاد العربية فيما بينها، فى الوقت الذى يلفظ فيه الرجل المريض (تركيا) أنفاسه .

اشرغنزيرغ الأوكرانى (١٨٥٦ – ١٩٢٧)

الذى دعا إلى إحداث ثورة تراثية فى الحياة اليهودية واعتبار ذلك ضرورة لازمة وكان مهتماً « بالنوعية» مفضلا إياها على « الكمية.»

وبذلك كانت دعوته هذه ترمى إلى العمل على مستوى عال وأصبحت حافزا رئيسيا للقائمين بالحركة الصهيونية.

ثيودور هيرتسل (١٨٦٠– ١٩٠٤)

ولد هيرتسل فى بودابست بالمجر ودرس القانون فى فينا عاصمة النمسا وقد برز اسمه فيها بعد أن قدم إلى مسارح المدينة عشر مسرحيات هزلية : ثم رحل إلى باريس حيث أخذ يعمل مراسلا صحفيا لإحدى صحف فينا. وكان يعيش مندمجا فى المجتمع الأوربى المحيط به وأثناء عمله بالصحافة كان فى شبه انقطاع كلى عن الثقافة واللغة والدين اليهودى إلا أن اللاسامية واجهته حين كان يدرس بالجامعة وواجهته مجددا فى باريس حيث كان يعمل مراسلا للصحيفة النمسوية. كما أنه تأثر كثيرا ببعض المؤلفات التى كانت تحارب السامية .

ويعتبر هيرتسل أول من بدأ الحركة الصهيونية كحركة سياسية حين قام عام ١٨٩٦ بنشر كتابه « الدولة اليهودية » باللغة الألمانية ويعتبر بعضهم يوم صدور هذا الكتاب هو يوم ميلاد الحركة الصهيونية العالمية التى وضعت نصب عينيها إقامة دولة يهودية.

وهذا الكتاب فى الأصل رسالة وجهها إلى ادموند روتشيلد وعموم أفراد هذه الأسرة اليهودية الثرية التى كانت مشاريعها التجارية منتشرة فـــى

أنحاء المعمورة ملتمسا منهم إنقاذ الشعب اليهودى المضطهد على أيدى العالم المسيحى ما وسعهم ذلك .

وكان الرجل فى مطلع شبابه ينادى باندماج اليهود مع غيرهم من المواطنين معتقدا أن هذا العمل هو السبيل الوحيد للقضاء على ما كانوا يلقونه من اضطهاد ، بلغت به فكرة الاندماج حدا جعلته ينادى كحل سياسى جذرى للمشكلة ان ينتصر اليهود. كما بلغ به الخيال درجة جعلته يتمنى أخذ أطفال اليهود إلى روما لتعميدهم فى الكنيسة بين يدى البابا وجعلهم مسيحيين وفى هذا وضع حد للحياة اليهودية بالنسبة للأجيال القادمة.

ولكن فكرته هذه ما لبثت أن تطورت بفضل الطرق المختلفة والجهود الكبيرة التى كان الاستعمار دائبا فى بذلها ـ إلى الدعوة لانشاء « الدولة اليهودية» وهو عنوان كتابه. وقد كان هذا الكتاب حجر الزاوية فى تحقيق الحلم الذى كان يدغدغ مخيلة هيرتسل. وبلغ به خصب خياله أن شرح شكل الدولة اليهودية وتفاصيل الحياة فيها مقارنا بين أن تكون ملكية أو جمهورية ومنتهيا إلى اختيار الجمهورية وحتى شئون العمل وساعاته والعمال وواجباتهم قتلها بحثا فى كتابه هذا كما أتى على تعيين لغة الدولة وعلمها. وكأنه أمام دولة حقيقية. وإنه لخيال عجيب أن يضع قواعد دولة يهودية فى إقليم عربى كان خاضعا للدولة العثمانية وليس فيه من اليهود أكثر من ٩ آلاف يهودى. وبلغ ذروة الاعتداد والغرور فى قوله « إننا حين نضع قواعد الدولة اليهودية ونتمكن من إنشائها وننتهى من ذلك عندها سيجد العالم نفسه أمام حدث تاريخى قد يستطيع ان يتحرر بتحررنا ويغنى بغنائنا ويسمو بسمونا الخ....» أى إنه جعل حرية العالم وازدهاره منوطان بحرية اليهود وازدهارهم. فهل بعد هذا من غرور؟!

بعد تأليفه هذا الكتاب انتقل إلى مرحلة عملية تعمل على عقد المؤتمر

الصهيونى الأول فى بال بسويسرة فى اغسطس ١٨٩٧ وقد قال فى خطاب الافتتاح « إننا هنا لنضع حجر الأساس فى بناء البيت الذى سوف تأوى اليه الأمة اليهودية .»

إن الفكرة الرئيسية التى يعالجها هيرتسل فى كتابه « الدولة اليهودية» هى تطوير فكرة «استعادة الدولة اليهودية ».

بدأ هيرتسل بحثه بالقول إن المسألة اليهودية لازالت قائمة. وإنها ستنشأ فى كل مكان يعيش فيه اليهود بأعداد كبيرة وأكثر من ذلك فإن المسألة اليهودية ستنتشر مع الهجرة اليهودية إلى أماكن أخرى يهاجر إليها الهاربون من اليهود هذا هو واقع الحال وسيبقى كذلك فى كل مكان حتى فى أكثر البلدان تقدما ولذلك فلا الاعتماد على الحكومات المتحررة، ولا الهجرة اليهودية فى مناطق تسودها اللاسامية يمكن أن يقدم حلا نهائيا للمسألة اليهودية إن هجرة اليهود — حسب اعتقاد هيرتسل — المفترض فيها أن تكون حلا لمشاكلهم ، تغدو عاملا إضافيا يزيد من بؤس اليهود وتغذى تيار اللاسامية. ولهذا فان المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية بل هى مسألة قومية. واليهود برأى هيرتسل يشكلون شعبا واحدا بحيث أن الاضطهاد والمذابح المتعددة التى تعرضوا لها على مدى القرون لم تنجح فى إبادتهم «إن اليهودية القومية المتميزة لدى اليهود لا تستطيع ولا يمكن ويجب الا تموت.»

وأعلن هيرتسل أن اللاسامية فى العصور الوسطى كانت حصيلة للتحامل الدينى الأوربى ضد اليهود أو حين فشل اليهود فى الانصهار فى عصر الاستنارة كانت الموجة الجديدة من اللاسامية. والمخرج الوحيد لهم من مشاكلهم ومعاناتهم لا يمكن أن يكون إلا عبر توكيد اليهود على قوميتهم وعبر سعيهم لإقامة دولتهم. ومن أجل هذا دعا هيرتسل إلى إقامة مؤسستين. — جمعية اليهود وشركة يهودية.

أبرز الجهود الصهيونية العملية :

إن ظاهرة اللاسامية وهى ظاهرة سلبية فى حياة اليهود، والفكرة الصهيونية وهى ظاهرة إيجابية لديهم كونتا ذراعين لقوة واحدة كان لها مثلها ودورها فى رسم مستقبل يهود العالم.

(١) جمعيات إحياء صهيون :

إن الهدف المشترك لهذه الجمعيات هو دعم حركة الاستيطان اليهودى فى فلسطين عبر تشجيع الهجرة إلى الأراضى المقدسة وعبر تقديم المساعدة المالية والمعنوية وكانت حصيلة ذلك كله إقامة المستعمرات الصهيونية الأولى فى فلسطين فى مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر.

وغالبا ما يدور الحديث فى داخل الجمعيات حول مسألة الاستيطان فى فلسطين «كمسألة ملحة وعملية بالإضافة إلى حث هذه الجمعيات لليهود على دراسة اللغة العبرية كلغة حية».

(٢) المؤتمر الصهيونى الأول :

كان للمؤتمر الصهيونى الاول مغزى أساسى فى تاريخ الصهيونية فقد حضر المؤتمر ٢٠٤ مشترك (ولم يكونوا ممثلين منتخبين) من معظم أنحاء العالم لأول مرة فى التاريخ اليهودى وبحثوا مشاكلهم ووضعوا ما ارتأوه حلولا لهذه المشاكل.

أما الإنجازان الأكثر أهمية للمؤتمر فكانا:

(أ) وضع البرنامج الصهيونى المعروف ببرنامج بال.

(ب) إقامة المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ البرنامج الموضوع.

وكان قرار المؤتمر الرئيسى على النحو التالى:

« إن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين يضمنه

القانون الدولى العام».

ولتحقيق هذا الهدف حدد المؤتمر الخطوات الأربع التالية:

(١) تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود فى فلسطين وفقا لخطوط مناسبة.

(٢) تنظيم اليهود وربطهم عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلى والعالمى كل منها حسب قوانين البلد المعنى.

(٣) تقوية الحس والوعى القومى اليهودى وتعزيزهما.

(٤) اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول حيث يكون ذلك ضروريا لتحقيق هدف الصهيونية.

بالأضافة إلى الانجازين المشار اليهما من قبل فإن مجرد جمع ذلك العدد من الصهيونيين للتداول فى أفضل الوسائل لتحقيق هدف واحد ، كان فى حد ذاته إنجازا يجب ألا نقلل من أهميته.

وأما بالنسبة لهيرتسل فقد كان للمؤتمر معنى خاص. يقول هيرتسل « إذا ما أردت تلخيص معنى مؤتمر بال. وهو ما لن أفعله علنا. فإننى أقول « فى بال أقمت الدولة اليهودية» وإذا ما قلت هذا القول اليوم بصوت عال فسأقابل بسخرية العالم. ولكن من المحتمل بعد خمسة أعوام وبالتأكيد بعد خمسين عاما ، سيرى الدولة كل إنسان ».

وفى الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ أى بعد ما يقرب من خمسين عاما أعلنت دولة اسرائيل.

الوسائل التى اتبعتها الصهيونية لخلق الوطن القومى اليهودى:

إن الحركة الصهيونية بعد أن حددت أهداف مؤتمر بال راحت تضع برنامجا عمليا. وقد دعا هذا البرنامج إلى العمل على ثلاثة خطوط أو وسائل

هى: (١) التنظيم (٢) الاستعمار (٣) الدبلوماسية

وهنا تبدأ المرحلة الثانية من الصهيونية وهى مرحلة الصهيونية السياسية.

التنظيم :

لقد أعطت الجهود التنظيمية مرتبة الاولوية ذلك أن الحركة الصهيونية كانت بحاجة إلى جهاز شبيه بأجهزة الدول للقيام بأعباء ومهام بنيان الوطن القومى اليهودى. لقد أدرك جميع الزعماء الصهيونيون ضرورة قيام تنظيم مركزى ودائم. كما أدركوا أنه بدون تنظيم كهذا فإن « برنامج بال» سيبقى حبرا على ورق ولن يرى النور. و أكثر من ذلك فإن توزع اليهود وبعثرتهم دون أى جسم يجمعهم ويوحد طاقاتهم، أدى إلى ضياع الكثير من جهودهم هذا بالإضافة إلى أنه سيكون لقيام منظمة قوية دور هام فى تنمية الشعور القومى لدى اليهود، وتحويلهم إلى قوة سياسية لها ثقلها الضاغط. بالإضافة إلى الدور الذى يجب أن يلعبه التنظيم على صعيد تشجيع الهجرة إلى فلسطين والإقامة فيها. كما أنه أى التنظيم سيقوم بجمع المال اللازم لتغطية مصاريف النشاطات الصهيونية .

الصعوبات أمـــام قيام المنظمة :

بالرغم من الأسباب الملحة والهامة التى جعلت من مسألة قيام المنظمة المركزية مسألة على جانب كبير من الأهمية ، فإن إنشاء تلك المنظمة واجهته عقبات خمس وقفت فى وجه كل محاولة لإقامة تلك المنظمة وترسيخ أقدامها بسرعة وهذه العقبات هى:

(١) انعدام الخبرة لدى هيرتسل ورفاقه ضاعف من صعوبة خلق هذه المنظمة ذلك لأن الاعمال التى ستناط بهذه المنظمة العالمية كانت كثيرة ومتباينة.

(٢) أما العقبة الثانية فترجع إلى أن المؤتمر الصهيونى الاول وإن كان قادرا

على إصدار القرارات إلا أنه كان لا يملك القوة المادية ــ المال ــ وهو ضرورى لبناء المنظمة وترسيخها.

(٣) الصعوبة الثالثة ناجمة عن توزع اليهود فى العالم وهذا التوزع أدى إلى صعوبات إدارية كثيرة سواء على صعيد التوجيه أو الادارة أو تنسيق العمل بين الوحدات المختلفة.

(٤) وأدت الصعوبة الثالثة إلى صعوبة رابعة فتوزع اليهود الجغرافى جعل كل مجموعة منهم تعيش ضمن دول متعددة فى نظمها فبينما نجد دولة تسمح لليهود بالانضمام إلى تنظيم يتعدى إطار البلد الواحد نجد عددا من الدول لا يسمح بانضمام كهذا ـ مما شكل فى كثير من الأحيان ــ حاجزا دون انضمام يهود بعض الأقطار ومساهمتهم الفعلية فى نشاط المنظمة الصهيونية.

(٥) أما الصعوبة الخامسة فناجمة عن معارضة مقاومة العديد من الدول والشعوب وغالبية اليهود أنفسهم للأفكار والمخططات الصهيونية .

بنــاء الجهاز الإدارى للمنظمة :

بسبب الحاجة الملحة وبالرغم من الصعوبات القائمة فى وجه قيام المنظمة الصهيونية العمالية، أصدر المؤتمر الصهيونى عدة قرارات لها علاقة بالتكوين التنظيمى للمؤسسة ويمكن استخلاص الهيكل التكوينى من هذاه القرارات

(أ) الأجهزة المركزية

بتأليف الجهاز المركزى للمنظمة من ستة أجسام أهمها:

(١) المؤتمر الصهيونى:

وهو السلطة العليا فى الحركة الصهيونية يجتمع مرة كل عام فى الساعة والمكان الذى تدعو اليه اللجنة التنفيذية. وعدد أعضاء المؤتمر يعتمد على

عدد الأعضاء الذين يدفعون رسم العضوية وينتخب المؤتمر من بين أعضائه رئيسا للمنظمة ونائبا له واللجنة التنفيذية والمجلس العام. والأعضاء المكونون للمؤتمر ينتخبهم أعضاء المنظمة (دافعو رسم العضوية) فى البلدان المختلفة على أساس عضوواحد لكل مائة عضو – والمؤتمر الصهيونى هو الذى يتخذ كل القرارات المتعلقة بوجهة النظر الصهيونية ومخططاتها.

(٢) الأجهزة المحلية :

ووجه المؤتمر الصهيونى الأول بصعوبة تقرير شكل هذه الأجهزة وأعمالها بسبب ما ينشأ من تعارض مع قوانين الدول المعنية. ولهذا قرر المؤتمر الاكتفاء بخلق الإطار العام لهذه الأجهزة تاركا تقرير شكلها النهائى وشكل العضوية فيها لكل بلد على حدة .

(٣) العضوية فى المنظمة :

تمنح العضوية فى المنظمة لأولئك الذين يلتزمون بالبرنامج الصهيونى – برنامج بال – ويدفعون رسوم العضوية .

الاستعمار :

كذلك تم تحضير أدوات الاستعمار المنظم بسرعة. وكان المصرف اليهودى للمستعمرات ولجنة الاستعمار والصندوق اليهودى ومكتب فلسطين وشركة تطوير أراضى فلسطين فى طليعة المؤسسات التى أنشأتها الصهيونية وكان الغرض المشترك لهذه المؤسسات هو تصميم عملية الاستعمار وتمويلها والإشراف عليها والتأكد من أنها لن تلاقى مصير التجارب الاخرى الفاشلة التى سبقتها.

وسنتعرض لأهم هذه الأدوات :

بناء الجهاز المالي الصهيوني :

أبدى هيرتسل منذ البداية اهتمامه الشديد بإقامة بنك صهيونى وقد قام البنك قبل ثلاثة أيام من عقد المؤتمر الصهيونى الأول. وسمى ذلك البنك الصهيونى باسم «صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار» على أساس أن يكون مجال عمل هذا الصندوق المساعدة فى الهجرة والاستيطان بفلسطين وقد ظهر إلى الوجود فعلا عام (١٩٠٢).

الصندوق القومي اليهودى :

أُنشيء هذا الصندوق فى عام ١٩٠١ ولكنه اكتمل فى عام ١٩٠٣ بهدف الحصول على أراضى فى فلسطين تكون ملكا للشعب اليهودى. وأن يكون الصندوق قائما على التبرعات الطوعية من اليهود فى جميع أنحاء العالم.

الصندوق التأسيسي لفلسطين :

وبإنشاء هذا الصندوق فى عام ١٩٢١ اكتمل الجهاز المالى الصهيونى ومهمة الصندوق المساهمة فى كل ما له علاقة بوعد بلفور ويوجه الصندوق نداءات من أجل اكتتابات فيه أو قروض أو هبات أو منح. أو غيرها من الهبات سواء على شكل أموال أو خلافه وتستثمر هذه الأموال حسب ما يسمح به مجلس المديرية.

النشاطات الدبلوماسية المنظمة :

نصت النقطة الرابعة فى برنامج بال الصهيونى على ضرورة اتخاذ الخطوات التمهيدية من أجل الحصول على موافقة الحكومات حيث تكون هناك حاجة لذلك. وذلك من أجل تحقيق هدف الصهيونية وبشكل آخر كانت هذه النقطة تدعيما لنشاطات هيرتسل الدبلوماسية فى الفترة ما قبل عقد المؤتمر الصهيونى الأول كما كانت تشجيعا له على مثالية تلك النشاطات

ولأسباب تنظيمية وشخصية شكلت جهود هيرتسل الدبلوماسية معظم الجهد الدبلوماسى للمنظمة بشكل عام ولم تكن اتصالات هيرتسل مقتصرة على بلد واحد أو من أجل هدف واحد فقط بل شملت رؤساء ومسئولى دول عديدة. وكانت طلبات هيرتسل المتفاوته بين مجرد طلبات للدول للموافقة على الأهداف الصهيونية إلى طلبات من أجل الحصول على براءة لإقامة شركة مضمونة عالميا تقوم بتهجير وتوطين اليهود فى فلسطين. ويمكن حصر جولات هيرتسل الدبلوماسية ومفاوضاته الرئيسية بالمفاوضات التى تمت بين ثلاث دول : تركيا وألمانيا – وبريطانيا.

كان هدف المفاوضات الصهيونية مع ألمانيا الحصول على براءة بإقامة شركة يهودية تحت الحماية الألمانية تعنى بأمور تهجير اليهود وتوطينهم فى فلسطين. وقد وافق قيصر ألمانيا مبدئيا ولكنه فشل فى إقناع سلطان تركيا. وبذلك فشلت هذه المفاوضات.

وقد استمرت النشاطات الدبلوماسية فيما بعد حيث جرت محاولات لتجديد العلاقات الصهيونية – الألمانية إلا أنها فشلت وكانت كلها من غير جدوى.

السعي لإيجاد الوطن القومى :

لم يكن هيرتسل متشددا فى أن تكون فلسطين وحدها هى الوطن القومى لليهود بل كان يفكر آنذاك أنه إذا لم يتيسر إنشاؤها فى فلسطين فيمكن أن يقوم فى أى قطر آخـــر كالأرجنتين أو يوغنده ولو أن هذا الأمر كان يثير حفيظة اليهود المتطرفين، الذين كانوا لا يرضون بمجرد مناقشة أية فكرة ترمى إلى توطين اليهود خارج فلسطين.

الاتصال بالدولة العثمانية :

كانت فلسطين معقد آمال الصهيونيين فى القرن التاسع عشر. وكانت

تقع ضمن أملاك الدولة العثمانية. وكانت الدولة العثمانية تعانى من الضعف والغرق فى الديون ما تعانى. فأخذ اليهود يتزلفون إلى كبار رجال الدولة الأتراك مصورين لهم الحركة الصهيونية حركة إنسانية تستهدف إنعاش الدولة العثمانية عن طريق إنشاء وطن قومى لليهود فى جزء من أملاكها (فلسطين) وأظهروا لتركيا استعدادهم لمعاونتها أدبيا وسياسيا وماليا ولمقاومة الحركة العربية بتقديم العون العسكرى إن لزم.

وقد حاول هيرتسل شخصيا إغراء السلطان عبد الحميد بخمسين مليون جنيه ذهبا إذا ما سمح لليهود بأن يستوطنوا فلسطين فى ظل الحكم العثمانى. ولكن السلطان رفض ذلك على الرغم من الأزمات المالية الحادة التى كانت تجتازها الامبراطورية العثمانية آنذاك.

ولم ييأس هيرتسل فكان يرسل الوسيط تلو الوسيط محاولا إقناع السلطان وإغراءه ولكن السلطان عبد الحميد ظل على إصراره فى الرفض وأدرك ما كان يرمى اليه اليهود حتى أنه أخيرا خاطب الوسطاء بقوله (كما يروى ذلك هيرتسل نفسه فى مذكراته) :

«انصحوا الدكتور هيرتسل بالايتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع إنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبرواحد من الأرض. فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى. لقد ناضل شعبى فى سبيل هـــذه الأرض. ورواها بدمــــه. فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت امبراطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك أن ياخذوا فلسطين بلاثمن. ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا فى جثثنا. فإنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة» وكانت النتيجة عكس ما اشتهى هيرتسل وأضرابه. فقد فطن السلطان إلى نوايا اليهود الخبيثة فوضع قانونا يحتم على كل يهودى يسافر إلى فلسطين بقصد الزيارة أو السياحة أن يحصل على ما عرف « بالجواز الأحمر» عدا تدابيْر أخرى،

تمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين. وعلى الرغم من هذا الرفض الصريح فقد أبت طبيعة هيرتسل اليهودية عليه أن يتوقف عن ألاعيبه ودسائسه للوصول إلى غرضه. فأخذ يتصل بكبار رجالات العرب الفلسطينيين وبنوابهم في مجلس «المبعوثان» (البرلمان العثمانى) المقيمين فى الأستانة محاولا استمالتهم وإقناعهم بالفكرة ولكنه باء بالفشل.

ورغم أن هيرتسل قد فشل فشلا ذريعا فى اتصالاته بجميع زعماء عرب فلسطين فإنه لم ييأس فأعاد الكرة مرة أثر أخرى حتى استطاع فى عام ١٩٠٢ الحصول على إذن بهجرة اليهود إلى أجزاء مختلفة من الامبراطورية العثمانية وإنشاء مستعمرات متفرقة لا رابطة بينها فى مختلف أنحائها ما عدا فلسطين. وقد عرض هيرتسل هذه النتائج على المؤتمر الصهيونى السادس.

وكذلك عرض هيرتسل مشروعه الصهيونى على البابا بيوس العاشر وطلب اليه أن يصرح علنا بأنه لا يتنكر للصهيونية ففشل فى ذلك كل الفشل ولم يرض البابا عن المشروع إطلاقا.

هيرتسل يتوجه إلي الغرب :

ولما وجد هيرتسل أن جميع جهوده فى حمل الدولة العثمانية على مساعدته وتحقيق أحلامه فى إنشاء وطن قومى لليهود أو أية صورة تمكن لليهود من أرض فلسطين العربية قد باءت بالفشل ولى وجهه شطر الدول الغربية وخاصة بريطانيا وأخذ يدعو بمختلف الوسائل للقضية الصهيونية

المشاريع البريطانية لإيجاد وطن خاص باليهود

(١) مشروع يوغنده :

أظهرت انجلترا لهيرتسل عطفها على اليهود وخاصة بعد الاضطهاد العنيف الذى أصابهم فى روسيا وتقدمت بمشروع لإسكانهم فى إحدى

مستعمراتها فى شرق أفريقيا وهى يوغنده. وقبل هيرتسل العرض وأرسل لجنة لدراسة أحوال يوغنده وتقديم تقرير عنها ولكن العناصر الطامعة فى استيطان فلسطين صرفت النظر عن هذا الأمر.

(٢) مشروع العريش :

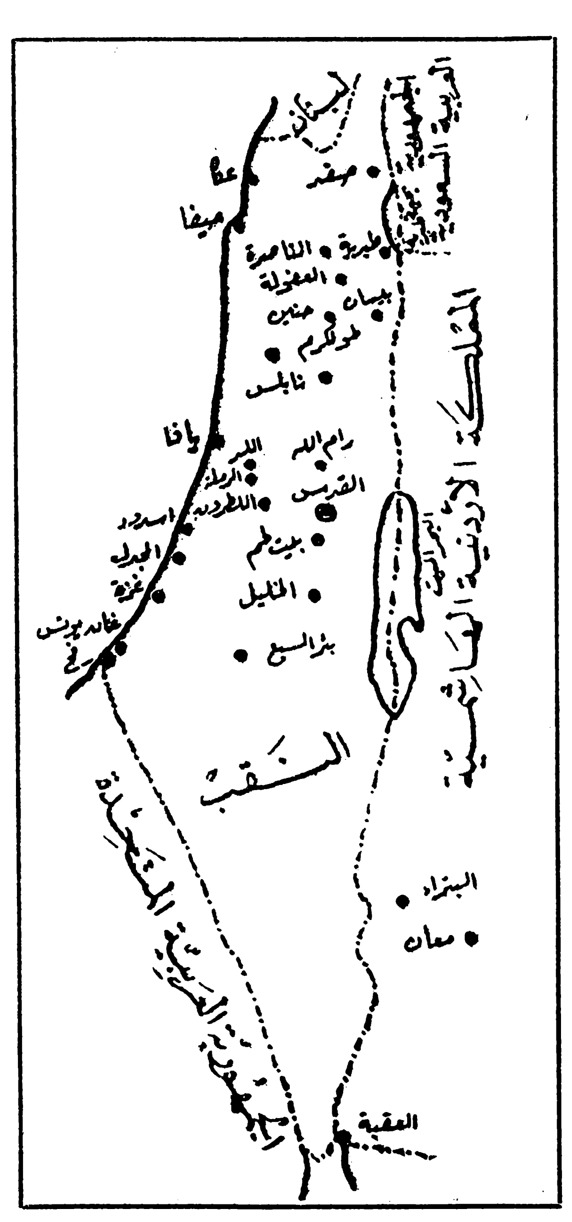
كانت الاتصالات جارية بين هيرتسل والحكـــومة البريطانيـــة بشأن توطين اليهود فى الجزء الشمالى من سيناء أى منطقة العريش وقد ذهبت لجنة يهودية إلى تلك المنطقة وقامت بدراستها ولـكنها وجدت أنه لا يمكن استيطانها على نطاق واسع لقلة المياه ولصعوبة جـــر مياه النيـــل اليها كما أن الحكومة المصرية رفضت رغم وقوعها تحت سيطرة الإنجليز قبول جر مياه النيل إلى العريش لما يسبب ذلك من أضرار للأرض الزراعية بمصر.

ومات هيرتسل عام ١٩٠٤ قبل أن تثمر جهوده وبموته مات مشروع توطين اليهود خارج فلسطين فقد اتخذ المؤتمر السابع المنعقد فى عام ١٩٠٥ قرارا بالتخلى عن الجهود الاستعمارية خارج الأراضى الفلسطينية.

أهداف الصهيونية ومطامعها فى فلسطين

لمحة تاريخية :

ساد القرون الوسطى والقرون الأخيرة صراع طويل بين الدول الأوربية والعالم العربى ولاسيما خلال الحروب الصليبية والّتى أثيرت فيها العواطف الدينية. وتلا ذلك حملات الجيوش العثمانية على شرق اوربا فتركت هذه الحروب المتوالية كراهية فى نفوس كثير من الشعوب الأوربية على المسلمين والعرب وبغضا لهم. ثم ظهرت فى القرنين الأخيرين المطامع الاستعمارية والأجنبية فى الأقطار العربية والشرقية ولا سيما الواقعة منها على طريق الهند وأندونيسيا . وظهرت بوضوح وجلاء رغبة الدول الاستعمارية فـــى



خريطـة فلسطـين السياسيـة

الاستيلاء على الأقطار والسيطرة على قواعدها العسكرية ومواقعها الاستراتيجية واستغلال خيراتها ومنابع ثرواتها العظيمة. وتكالبت الدول الأوربية على السلطة العثمانية بقصد الاستيلاء على الأجزاء العربية فيها وأخذت الأقطار العربية تشهد فى القرنين الأخيرين زحفا استعماريا منظما ومتواليا على الأقطار العربية الشرقى منها والغربى واشتركت فيه بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا.

كان اليهود أنفسهم يتطلعون إلى البلاد العربية ويطمعون فى الاستيلاء عليها والسيطرة على معظمها مدفوعين بعدة عوامل واعتبارات منها:

(١) العاطفة الدينية التى أنماها زعماء اليهود وإجبارهم على مر الأجيال فى نفوس أبنائهم نحو فلسطين وسائر البلاد العربية من النيل إلى الفرات سواء فى أسفار العهد القديم من التوراة أو كتاب التلمود أو بروتوكولات حكماء صهيون أو غيرها.

(٢) رغبة الرأسماليين اليهود فى استغلال ثروات الشرق الأوسط العظيمة.

(٣) خطة اليهودية العالمية فى إنشاء مركز (دولة) خاص بها تتحكم منه فى الشئون العالمية وفى دول العالم وشعوبه.

تطلع اليهود بصورة خاصة إلى فلسطين للسيطرة عليها بادىء ذى بدء لتكون قاعدتهم الكبرى يثبون منها فيما بعد على الأقطار المجاورة لها.

ونظرا لتشابه أغراض الاستعمار واليهودية العالمية فقد التقيا فى الهدف وأخذا يعملان بجميع الطرق لتحقيق خطتهما وكان ذلك يجرى والعرب فى غفلة والدولة العثمانية التى كانت حاكمة على معظم أقطارهم فى جهل منه وانشغال عنه بمشاكلها الكثيرة.

تعاون الاستعمار واليهودية العالمية :

سعى زعماء اليهودية العالمية منذ قرون لحمل الدول الأوربية علـى تأييدهم فى السعى للسيطرة على فلسطين وبلغت جهودهم فى هذا السبيل ذروتها فى القرن السابع عشر على أنهم لم يستطيعوا الحصول على التأييد المنشود لعدة أسباب منها:

(١) عدم موافقة الدول الكاثوليكية كفرنسا والنمسا وأسبانيا والدولة الروسية الأرثوذكسية على تفسيرات اليهود وانصارهم لبعض الأقوال التى وردت فى التوراة على أنها تعطيهم حقا دينيا فى فلسطين

(٢) التطاحن الدولى بين دول أوربا

(٣) مطامع تلك الدول نفسها فى فلسطين والبلاد العربية.

(٤) وجود الدولة العثمانية المسيطرة على فلسطين.

فلما أدرك اليهود صعوبة الحصول على تأييد هذه الدول الأوربية لخطتهم ركزوا جهودهم بصورة خاصة فى بريطانيا العظمى. وعرضوا عليها خدمات اليهودية العالمية مقابل تعهدها بمنحهم فلسطين وكانت بريطانيا تقدر قوة اليهودية العالمية وتحتاج اليها وإلى خدماتها فى صراعها العظيم فى ذلك العهد مع الامبراطورية الأسبانية.

وعلى هذا الأساس تم بين الاستعمار البريطانى واليهودية العالمية اتفاق وثيق للعمل والتعاون المشترك.

وهكذا توافقت أهداف الاستعمار البريطانى ومطامع الصهيونية فى فلسطين ثم انضمت الولايات المتحدة مع مصالح اليهود فى فلسطين وأجمع الكل على تحقيق أهداف استعمارية ثلاثة تتلخص فى ما يأتى:

(١) تحقيق مطامع اليهود فى خلق الدولة اليهودية التى يتطلعون إليها.

(٢) أن تصبح اسرائيل قاعدة استراتيجية فى الشرق الاوسط.

(٣) إن قيام الدولة اليهودية سيقوم عائقا دون تقدم الأمة العربية فى أقطارها الواسعة التى تقع فى أهم مراكز العالم التجارية والجغرافية والعسكرية والتى يخشى الغرب قوتها وبأسها فى المستقبل.

ولنشرع الآن فى توضيح هذه الأهداف

الهــدف الأول :

قلنا إن الصهيونية فكرة يهودية دينية سياسية. أما هدفها فهو الاستيلاء على فلسطين وتوطين اليهود فيها وإعادة تشييد « هيكل سليمان» مكان المسجد الأقصى المبارك وجعل دولتهم تمتد « من الفرات إلى النيل» والشواهد على ذلك كثيرة أهمها.

١- المشروع الذى كان ينادى به الرحالة اليهودى (استودى هايرستى) فى القرن الرابع عشر الميلادى ويتلخص اقتراحه أن تمتد الدولة اليهودية مــن شمالى اللاذقية ثم تتجه جنوبا بشرق مارة بحماة فقلعة الحصن فبحيرة طبريةثم محاذية الأردن حتى جنوبى البحر الميت ثــم تتجه غربا إلى البحر المتوسط جنوبى غزة.

٢- وجدت فى خزانــة روتشيلد خريطة كتب عليهــا (مملكة اسرائيل) وتضم هذه الخريطة فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ووسط العراق وجنوبه وصحراء سيناء ودلتا النيل والمدينة المنورة والأراضى الواقعة شمالها بــين بنى قريظة وبنى النضير وخيبر.

٣- جاء فى كتاب الحاخام ايزاكس نشــره عام ١٩١٧ ثم قدمه إلى مؤتمر الصلح المنعقد فى فرساى عام ١٩١٩ « لقد حان للعالم أن يعلم ما هى الحدود الحقيقية لدولة اسرائيل زاعما أن هذه الحدود يجب أن

تمتد من (عينتاب) شمالا حتى جنوبى البحر الميت، مشتملة على قسم كبير من تركيا ومعظم سورية وجميع الأراضى اللبنانية والفلسطينية .

٤- قدمت المنظمة الصهيونية العالمية مذكرة إلى مؤتمر الصلح فى فرساى بتاريخ ٣ فبراير عام ١٩١٩ تطالب فيها باحتلال جميع الأراضى الفلسطينية مضافا اليها لبنان الجنوبى والقسم الغربى من سوريا وأراضى الضفة الشرقيةمن الأردن حتى بادية الشام كما طالبت هذه المذكرة بجزء من الأراضى المصرية مرجئة تعيين حدودها إلى أن يتم الاتفاق بين الصهيونية والسلطات البريطانية المسيطرة على مصر آنذاك.

٥- جاء فى كتاب للدكتور موزين قوله «يجب أن يهاجر يهود أوربا الشرقية البالغ عددهم بضعة ملايين إلى فلسطين ويحتلوا ضفتى الأردن ويؤسسوا دولة يهودية صرفة ثم تتوزع الهجرة بين البلدان العربية المجاورة».

٦- ورد فى كتاب نورمان بتويتش النائب العام فى فلسطين زمن الانتداب البريطانى « فلسطين اليهودية ».

«إن البلاد التى وعد اليهود بها فى التوراة من البحر الأبيض المتوسط حتى الفرات ومن لبنان حتى النيل هى البلاد التى منحت للشعب المختار».

٧- ألقى بن غوريون خطابا فى القدس المحتلة فى ١٩ مايو ١٩٤٤ م جاء فيه: « إن خريطة فلسطين الحالية إنما هى خريطة الانتداب وللشعب اليهودى خريطة أخرى يجب على كل شباب اليهود أن يحققوها وهى خريطة التوراة التى جاء فيها: « وهبتك يا إسرائيل ما بين دجلة والنيل».

« لقد بقيت الدولة بالجزء الغربى من أرض اسرائيل. وتوصلنا إلى نيل

الاستقلال فى جزء من بلادنا الصغيرة. إن كل دولة تتألف من أرض وشعب وما كانت إسرائيل لتشذ عن هذه القاعـــدة. ولكنها دولة غير متمثلة لابأرضها ولا بشعبها. ويجب أن يقـــال الآن إن هذه الدولة أنشئت فى جزء فقط من أرض اسرائيل !».

٨- استبدل الصهيونيون اصطلاحهم القديم «أرض إسرائيل» بـ «دولـــة اسرائيل» بعد إعلانها. وهذا التغيير يحمل فى طياته نية التوسع إذ أنهم عنوا فى ذلك «دولة» ضمن «أرض». كل هذه الشواهد قليل من كثير من الأدلة عـــلى أن الصهيونية ذات أهداف استعمارية تهـــدد سائر الأقطار العربية دون استثناء. فهل بعد هذا من شك أن قضية فلسطين هى قضية العرب أجمعين. فبقاء اسرائيل سيظل سلاحا مسموما لطعن الـــدول العربية كلما قاومـــت الاستعمار أو تمردت عليه.

الهدف الثاني : من خلق إسرائيل أن تصبح قاعدة استراتيجية فى الشرق لأوسط.

ذلك لأن موقع فلسطين فى منطقة الشرق الأوسط يضفى عليها الأهمية التى تتمتع بها المنطقة فإذا كنا نعتبر أن كل ما يقع جنوبى الاتحاد السوفيتى وغربى باكستان حتى خط عرض ٣٠ درجة شمالا هو الجزء الآسيوى من المنطقة وأن الجمهورية العربية المتحدة هى الجزء الأفريقى منها أدركنا مدى سيطرة هذه المنطقة على المداخل الاستراتيجية للقارات الثلاث. آسيا وأفريقيا وأوربا إذ تضم أقصر الطرق البحرية بين الشرق والغرب المتمثلة فى مضيق البسفور والدردنيل وفى قناة السويس وكذلك يحتوى مجالها الجوى على أقصر الخطوط الجوية بين نصفى العالم.

ومن ثم فإن دول هذه المنطقة تتحكم بحكم موقعها فى قلب العالم التجارى والسياسى والحربى وأصبحت هدفا ـ فى لحظات ضعفها ـ للدول

الاستعمارية فتفننت فى ابتكار القوالب والأساليب للسيطرة عليها واستعمارها.

ولو نظرنا إلى فلسطين من داخل المنطقة لوجدنا أنها تطل على شرق البحر الأبيض المتوسط النابض بحركة الدولة الساحلية فى كل المجالات ولوجدنا أنها تكاد تتوسط المنطقة المتفق على تحديدها بخط عرض ٣٠ْ و ٤٠ْ ولوجدنا أكثر من هذا وذاك أنها خط الدفاع الأول من قناة السويس ولهذا فإن كل من يمتلك زمام الأمور فى هذا الجزء يمكنه التمتع بهذه الممرات هذا فضلاعلى إشرافه على الخط الحديدى الذى يصل ما بين القاهره واسطنبول من باريس. بالإضافة إلى ذلك فإنه يسيطر على النفط الطبيعى للعراق والأردن إلى البحر للملاحة البحرية.

والذى لاشك فيه أن قيام إسرائيل يخلق حاجزا يفصل الأقطار العربية فى آسيا عن الأقطار العربية فى أفريقيا ويقطع كل اتصال برى بين هاتين القارتين. إذن فقيام إسرائيل وسيلة لصيانة المواصلات البحرية البريطانية من جهة ولتكون حاجزا حائلا دون وحدة الأقطار العربية فى آسيا وأفريقيا واتصال شعوبها وأقطارها.

كانت السياسة البريطانية العليا ولم تزل تهدف إلى السيطرة على طرق المواصلات البحرية بين بريطانيا والهند واستراليا عن طريق البحر الأبيض المتوسط وقناة السويس والبحر الأحمر وباب المندب والمحيط الهندى.

ولذلك بذلت بريطانيا جهودا عظيمة فى المحافظة على هذه القواعد. ولما بدأ الوعى العربى ينتشر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين خشيت بريطانيا أن تفقد هذا الطريق. وقد كانت قبل خلق اسرائيل حريصة على توطين اليهود فى شبه جزيرة سيناء لحراسة قناة السويس.

لقد سبق أن نشر الدكتور وايزمان مقالا فى جريدة المانشستر قارديان

البريطانية فى نوفمبر ١٩١٥. وذلك أثناء محاولاته لحمل بريطانيا على إصدار وعد بلفور قال فيه:

«إذا دخلت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني ووافقت الحكومة البريطانية على تشجيع السكان اليهود فيها فإنه يمكن أن يصير لنا خلال عشرين عاما نحو مليون يهودى أو ربما أكثر من ذلك فيشكلون حراسة عملية لقناة السويس».

وعلى أثر ذلك هب كثيرون من أقطاب الاستعمار البريطانى ينادون بضرورة احتلال فلسطين والتعهد بإنشاء وطن قومى لليهود فيها كما جعلوا يصرحون بأن من صالح الأمبراطورية أن تصبح فلسطين يهودية.

إن أهمية موقع فلسطين الاستراتيجى أمر بالغ الخطورة ولقد صرح الدكتور ناحوم قولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى لإحدى الجرائد الكندية فى عام ١٩٤٧ أثناء بحث قضية فلسطين قائلا: «نحن لا نريد التوطن فى فلسطين من أجل علاقاتنا الروحية بها أو من أجل ثروات ومعادن البحر الميت التى تقدر بألوف الجنيهات ولا من أجل ما فى جوفها من كميات عظيمة من النفط لأن فلسطين هى ملتقى الطرق التجارية العالمية والمشرفة على طرق المواصلات ولأهمية موقعها الاستراتيجى»

كما قد صرح الكولونيل شاه سفير الباكستان السابق فى القاهرة بأنه بحث مع بعض ساسة بريطانيا وكندا مسألة مطامع اليهود فى فلسطين وذلك أثناء بحث قضية فلسطين وتساءل لماذا لا يهاجر اليهود إلى كندا وفيها متسع لهم فأجابوه وقد ظنوه هندوكيا: ألا يعتقد أن اتحاد العرب والمسلمين فى آسيا وإفريقيا سيتم إذا لم تقم إسرائيل فى أرض فلسطين؟ والا تكون نتيجة هذا الاتحاد خطرا على الهند ! !

الهدف الثالث: من خلق إسرائيل أن تصبح عائقا دون تقدم الأمة العربية

فى أقطارها الواسعة التى تقع فى أهم مراكز العالم التجارية والجغرافية والعسكرية بثروتها العظيمة والتى يزداد عدد سكانها ويتنبه شعورها القومى وتخشى دول الغرب بأسها وقوتها فى المستقبل.

كانت عمليات التنقيب عن البترول فى غرب آسيا قد بدأت منذ عام ١٩٠٨ وقد أمكن اكتشاف آبار البترول فى جنوب غرب إيران فى ذلك العام وفى عام ١٩١٣ استولت الحكومة البريطانية على النصيب الأكبر فى شركة البترول الإنجليزية الإيرانية. وفى عام ١٩٢٧ اكتشف أكبر حقل للبترول فى العراق فى كركوك. وفى عام ١٩٢٢ بدأ استخراج البترول فى البحرين. وقبل اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية مباشرة اكتشفت آبار البترول فى السعودية فى عام ١٩٣٨. وباكتشاف البترول تدفقت رؤوس الأموال الأنجلو فرنسية بكثرة فى البلاد العربية. وفى الحقيقة أدى اكتشاف هذا الذهب الأسود إلى تضييق الأطواق حول رقاب الشعوب العربية إلى حد أنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الاختناق.

وأدى اكتشاف البترول أيضا إلى تدخل دولة استعمارية جديدة فى شئون الشرق الاوسط.. تلك الدولة هى الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالطبع فإن اكتشاف البترول قد أدى إلى فوائد ضخمة ومكاسب هائلة. بيد أن هذه المكاسب لم تستخدم فى رفع مستوى حياة الشعوب العربية بل على العكس من ذلك تماما فقد استعبد العرب واستنزفت دماؤهم ومات منهم الكثيرون بينما امتلأت خزانة الأجانب بالأموال الطائلة. إن كمية البترول التى يغلها الدولار الأمريكى فى منطقة غرب آسيا تزيد ثلاثة أضعاف، ونصف عما يغله الدولار فى مشروعات استخراج البترول فى آبار العالم العربى.

وبينما اشتدت حدة الصراع حول بترول العرب كان كفاح العرب

ونضالهم من أجل الاستقلال يزداد يوما بعد يوم وبعد أن تحقق للغرب أن الشعوب العربية قد صممت وعقدت العزم على وضع حد للسيطرة الأجنبية على بلادهم اختلق الاستعمار الأنجلو أمريكى سلاحا جديدا لإضعـاف قوة العرب.. ذلك السلاح الجديد هو الخنجر الإسرائيلى.

لقد كتب « ولتر ليبمان» وكان الموجه الأكبر لسياسة أمريكا الخارجية سلسلة مقالات عن الشرق الأوسط فى عام ١٩٤٥ جاء فيها « يجب أن تكف الولايات المتحدة عن ممارسة نفوذها فى الشرق الأوسط من مكان بعيد هو واشنطن. ولابد من أن تمارس هذا النفوذ من مركز محلى يعد قاعدة حقيقية للنفوذ والسلطة الأمريكية».

ولم يكتف بهذا التلميح بل مضى إلى التصريح محددا هذا المركز الجغرافى الذى يدعو اليه ، ومسميا فلسطين بالذات لتكون القاعدة الأمريكية التى يجب أن تتمركز فيها سلطة الولايات المتحدة عبر منطقة الشرق الأوسط

وكان مما قاله « إن المشكلة الفلسطينية ستغدو فرصة نادرة جدا إذا ما اتخذت الولايات المتحدة قرارها التاريخى بأن توجد هناك دولة لإسرائيل»

ولما كانت الرأسمالية الأمريكية فى أشد الحاجة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى قاعدة استراتيجية وإلى عملاء وسماسرة للاستثمار والاستعمار فى الشرق الأوسط فقـد اتجهت الولايات المتحدة إلى تبنى المشروع الاستعمارى الهادف إلى تهويد فلسطين وإقامة الدولة الصهيونية فى قلب العالم العربى. مستغلة سيطرتها عـلى الأمم المتحدة لغـرض مشروع التقسيم على حساب طرد الشعب العربى من أراضيه ودياره وبذلك تم للرأسمالية الأمريكية أن تظفر بالمركز الاستراتيجى الذى دعا اليه « ولتر ليبمان».

لقد فضح بن غوريون هذه السياسة مرة عندما وقف فى الكنيست الاسرائيلى يصفها فقال: « نحن مدينون بـ ٩٧ ونصف فى المائة من نجاحنا

بإقامة دولة إسرائيل للسياسة وباثنين ونصف فى المائة للحرب» ومن هنا يتضح أن إسرائيل ما كانت لتقوم لولا أطماع حب المال فى انجلترا وشارع وول استريت (وهو شارع أصحاب رؤوس المال) بأمريكا.

وهكذا جرت أمريكا الأمم المتحدة إلى إقرار مشروع التقسيم بحيث يجعل ثلاثة أرباع المساحه الفلسطينية من نصيب اليهود بل ركزت الدوائر الرأسمالية فى أمريكا على مصالحها الاستعمارية بحيث أعطت اليهود فى التقسيم كل الموانىء البحرية من عكا وحيفا شمالا حتى خليج العقبة جنوبا وذلك كى يتوفر للقاعدة الأمريكية الجديدة فى الشرق الأوسط أن تفتح أمام تجارتها الخارجية أبواب البحرين المتوسط والأحمر بغية الاتصال بمختلف أقطار آسيا وإفريقيا. إن من أعجب الأمور أن وايزمان طلب من الرئيس الأمريكى ترومان عند عرض موضوع التقسيم على هيئة الأمم أن تقسم أرض النقب بين اليهود والعرب على أن تكون ميناء العقبة من نصيبهم. فما كان من ترومان إلا أن أصدر على الفور أمره للوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة بأن يكون النقب كله والعقبة من نصيب اليهود.

إن الأموال التى تتدفق على إسرائيل سواء من أمريكا أو غيرها فى صور هبات أو قروض أو تعويضات أو رؤوس أموال بغرض استثمارها فى اسرائيل تفوق الوصف والتصور ولا عجب فى ذلك فالأمريكيون يعتبرون فلسطين المحتلة قاعدتهم الاستراتيجية الرئيسية فى الشرق الأوسط ومن الضرورى تدعيمها وتعزيزها بالغا ما بلغ الثمن. وقد أشار إلى هذا أحد كبار السياسيين الأمريكيين عندما وقف يبرر إسراف واشنطن فى موازنتها للاحتلال اليهودى بفلسطين فى مجلس الشيوخ الأمريكى وأعلن قائلا: «إن الولايات المتحدة تعتبر إسرائيل القاعدة الأساسية لها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا فى الشرق الأوسط»

إن جميع الرؤساء الأمريكيين الذين خلفوا روزفلت فى رئاسة الجمهورية كانوا يعلنـــون أن إسرائيـل وجدت لتبقـــى أى لتبقى قاعدةا ستراتيجية عسكرية وسياسية واقتصادية للولايات المتحدة. وهذا ما يوضح أسباب تخلى أمريكا عن مسئولياتها الإنسانية والضميرية تجاه عرب فلسطين المشردين وإصرارها على تجاهل حقوقهم وإبقائهم خارج وطنهم.

الحركة القومية العربية حتى الحرب العالمية الاولي :

لنبدأ قصة الحركة القومية العربية بعرض أهم العوامل التى أدت إلى نمو الروح القومية فى البلاد العربية خلال القرن التاسع عشر. ويجمل لنا المؤرخون هذه العوامل فى بسط محمد على باشا وابنه ابراهيم نفوذهما على معظم البلاد العربية كوسيلة للوقوف فى وجه الدولة العثمانية. ومع أن هذا العامل كان ضعيف الأثر الإ أنه كان منبها للأذهان إلى فكرة الوحدة العربية.

ويضيف المؤرخون إلى هذا العامل شدة وطأة الحكم العثمانى وخاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. فقد أدى استبداد الأتراك العثمانيين إلى انتشار التذمر فى الأوساط العربية ضد العثمانيين ودفعهم للعمل للتخلص من السيطرة العثمانية.

ومما قوى حركة البعث العربى أيضا اتجاه المسئولين فى الدولة العثمانية إلى النظام المركزى حتى أصبحت شئون البلاد العربية تدار فى اسطنبول وحدها ولم يمنح العرب أى نصيب من الحكم الذاتى .

هذا بالإضافة إلى اتجاه العثمانيين بقيادة جمعية الاتحاد والترقى فى بداية القرن العشرين إلى فرض سياسة التتريك عن طريق استعمال اللغة التركية لغة رسمية فى الدواوين والمحاكم والإدارات المختلفة والمدارس. وعـــن طريق تفضيل العنصر التركى على العربى فى مناصب الإدارة والجيش الأمر الذى زاد فى انتشار التذمر بين العرب.

يضاف إلى كل ما تقدم عامل انتشار التعليم خصوصا فى البلاد الشامية والعراق وما نتج عنه قيام العديد من الجمعيات الأدبية والعلمية التى أسهمت بدور فعال فى تنوير الأذهان ونشر الأدب وأسباب المعرفة.

وكذلك قيام مدارس التبشير الأجنبية وغيرها ونقل تلك المدارس لكثير من الأفكار الغربية ومنها فكرة القومية.

ثم ظهور بعض الكتاب العرب الذين أناروا الطريق بأشعارهم وكتاباتهم أمثال عبد الرحمن الكواكبى الذى أقام بمصر عدة سنوات فى أواخر القرن التاسع عشر.

كان الكواكبى يرى أن العرب أعرق الأمم فى أصول الشورى فى الشئون العمومية ويرى لغتهم أغنى لغات المسلمين. وقد دعا الكواكبى إلى نهضة سياسية وحمل حملة شعواء على ظلم العثمانيين واستبدادهم. وفى كتابه « طبائع الاستبداد» دعا إلى اجتماع كلمة العرب بصرف النظر عن أديانهم إذ يقول « دعونا نجتمع على كلمة سواء الأ وهى فلتحيا الأمة العربية، فليحيا الوطن ولنعش طلقاء أعزاء» كما دعا أيضا إلى نوع من اللامركزية الادارية. وكان لآراء الكواكبى هذه أثر كبير فى مجرى الوعى القومى.

ظهور الوعى القومى :

ظهر الوعى القومى فى البلاد العربية فى القرن التاسع عشر وقد مهدت له المحاولات لنشر التعليم والثقافة خاصة فى سوريا ومصر كما أثار الوعى تحدى الموجة الغربية كحملة نابليون فى مطلع القرن وانتشار الإرساليات الأجنبية فى النصف الثانى منه وما تبع ذلك من تغلغل الأفكار والعادات الغربية ثم إلى فرض السيطرة الغربية فرضا .

وقد بدأت الحركة القومية عن جذور ثقافية اتخذت طابعا ثقافياً أول الأمر ثم اتجهت إلى الناحية السياسية وكانت البداية. قد اتجهت إلى الإرث

الثقافى والاعتزاز بدور العرب الحضارى والتركيز على اللغة العربية.

وقد بدأ الاهتمام بالإرث الثقافى العربى فى مصر وسوريا حيث وجدت المدارس والمطابع الأولى وقد تمثل النشاط الثقافى فى الجمعيات الأولى التى تأسست فى البلاد العربية كالجمعيه العلمية السورية التى تأسست فى بيروت ١٨٥٧ وكانت تضم ممثلين من مختلف الطوائف الدينية. ونظم أحد أعضائها وهو ابراهيم اليازجى قصائد ثورية منها بائيته المشهورة التى يقول فى مطلعها:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب — فقد طمى السيل حتى غاصت الركب

ومنها:

فيم التعلل بالآمال تخدعكم — وأنتم بين راحات القنا سلب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم — تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

ففى قصائد اليازجى تغن بأمجاد العرب وبروعة الأدب العربى ونقد للتفرقة وسوء الحكم ودعوة لاتحاد العرب ورفع يد الحكم التركى عنهم. وقد وجدت قصائد اليازجى رواجا فى أوساط الشباب العربى وطبعت ذهنه بطابع العزة القومية.

وكان أول عمل منظم فى حركة العرب القومية قيام جمعية بيروت السرية التى كانت تقوم بتوزيع النشرات منددة بمساوىء الحكم التركى. وما ورد فى هذه النشرات التى عثر عليها فى سنة ١٨٨٠ يمكن اعتباره أول برنامج عربى سياسى مدون. فقد وردت فى تلك النشرات مطالبة بحكم سوريا الذاتى واتحادها مع لبنان والاعتراف بالعربية لغة رسمية فى البلاد وإلغاء جميع الوسائل التى تحجر حرية الرأى وانتشار العلم.

على أن هذه الحركة لم يكن هدفها الانفصال التام عن الحكم التركى

بل كانت تهدف إلى الاستقلال الذاتى والبقاء فى حظيرة الامبراطورية العثمانية مركز الخلافة الإسلامية.

وبالرغم من اشتداد وطأة الحكم البريطانى فى مصر والحكم التركى فى البلاد العربية الأخرى فإن تيار الحركة العربية القومية لم يتوقف بل قامت جمعيات عديدة تقاوم استبداد السلطان عبد الحميد. ففى ١٨٩٧ تألفت فى مصر جمعية الشورى العثمانية وكانت تهدف إلى مقاومة العهد الحميدى وإقامة حكم برلمانى. وفى باريس (سنة ١٨٩٥) قامت الجمعية الوطنية العربية التى أسستها الجالية السورية هناك وكانت تدعو إلى حركة ثورية ضد الحكم العثمانى.

واشترك بعض دعاة الإصلاح من العرب فى نشاط جمعية الاتحاد والترقى السرية للتخلص من إرهاب السلطان عبد الحميد.

ولما أعلن الدستور فى ١٩٠٨ توهم العرب أن عهد الحرية والازدهار تحت الراية العثمانية قد أتى وأن الوقت قد حان ليحقق العرب ذاتهم ويبرزوا كيانهم ولم يتنبهوا إلى أن الدستور يهدف إلى مزج العناصر المختلفة فى ديمقراطية عثمانية لغتها التركية وهذا ينقض الكيان الثقافى العربى وهو أساس وعيهم القومى.

لذلك ليس غريبا أن تشهد فترة ما بعد إعلان الدستور تزايدا فى عدد الجمعيات العربية سرية وعلنية مما يؤكد انتشار الوعى القومى العربى.

فقد شهد عام ١٩٠٨ قيام جمعية الإخاء العربى فى الأستانة وظهرت فى ظروف إعلان الدستور القائم على شعارات « إعلان شأن الأمة العربية فى النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية» «وصيانة حقوق أبناء العرب مع تعزيز الرابطة بالدولة العثمانية». وقد أصدرت هذه الجمعية جريدة باللغة العربية تنطق بلسانها وتحمل اسمها.

لكن سرعان ما تبين أن مثل هذا الاتجاه لا يفى بطموح العرب. فقد ظهر بوضوح اتجاه نحو سياسة التتريك وتحويل الرابطة العثمانية إلى إذابة العناصر الأخرى فى بوتقة تركية واتباع سياسة المركزية الأمر الذى ينافى مسيرة الحركة العربية القومية.

وعندما خلع السلطان عبد الحميد فى سنة ١٩٠٩ وسيطر الاتحاديون على السلطة أصبحت موجة التتريك قوية ولم يحتمل الاتحاديون الأتراك نشاط جمعية الإخاء العربى ولذلك قاموا بحلها.

أما الحركة القومية العربية فقد تبلورت بعد ذلك فى اتجاهين: اتجاه يدعو إلى الحكم الذاتى على أساس اللامركزية فى الدولة العثمانية واتجاه آخر يدعو إلى الانفصال التام عن الدولة العثمانية واستقلال العرب التام.

وقد أدى إرهاب الاتحاديين الأتراك إلى قيام جمعيات سرية وأخرى علنية. ومن هذه نذكر المنتدى العربى الذى تأسس فى الأستانة سنة ١٩٠٩ وكان يهدف إلى كيان عربى عام ويدافع عن مصالح العرب وحقوقهم كمجموعة قومية. وكان يلتقى فى هذا المنتدى أبناء العرب فى العاصمة العثمانية من جميع القطاعات من موظفين وسياسيين وطلاب وزوار وغيرهم وكان المنتدى يصدر مجلة باسمه يكتب فيها علماء وأدباء وشعراء العرب وكانت كتاباتهم فى التاريخ العربى واللغة العربية وحول حقوق العرب وأمانيهم. وقد تم إغلاق المنتدى العربى سنة ١٩١٥ لأنه اتجه إلى المطالبة بتحرير البلاد العربية من الحكم العثمانى.

ومن الجمعيات التى ظهرت بعد إعلان الدستور جمعية «العربية الفتاة» التى أسست فى باريس سنة ١٩١١ وكانت سرية وكان قوامها المبعوثين العرب من مدنيين وعسكريين يمثلون مختلف الأقطار العربية وكان هدفها استقلال البلاد العربية وتحريرها من الحكم التركى.

وقد انتقل نشاط هذه الجمعية إلى بيروت ثم إلى دمشق. وفى سنة ١٩١٣ دعا مؤسسو هذه الجمعية إلى مؤتمر عقد فى باريس ضم ممثلين من الشام والعراق والمهجر والمنظمات القومية الأخرى. وقد رفع هذا المؤتمر عدة قرارات إلى المسئولين فى العاصمة التركية مطالبين بإشراك العرب فى إدارة الدولة المركزية وتدعيم الحكم اللامركزى وجعل العربية لغة رسمية فى البلاد العربية وجعل الخدمة العسكرية محلية فى الأقطار العربية. وأكدوا للمسئولين العثمانيين « أن حياة الامة العربية أقدس حق من حقوقها وأن العرب فى المملكة العثمانية شركاء فى السياسة. وأما فى داخل بلادهم فهم شركاء أنفسهم. »

وفى مصر تأسس أيضا حزب اللامركزية سنة ١٩١٢ وكان يدعو إلى تطبيق الحكم اللامركزى فى الأقطار العربية وكان الحزب على اتصال بالجمعيات العربية الأخرى فى سوريا والعراق وبالمنتدى العربى ولعب دورا كبيرا فى عقد المؤتمر العربى فى باريس سنة ١٩١٣ وتولى ممثل هـذا الحزب عبد الحميد الزهراوى رئاسة ذلك المؤتمر.

وكذلك تأسست فى بيروت فى آخر سنة ١٩١٢ جمعية بيروت الإصلاحية وكانت على صلة بحزب اللامركزية ولها نفس أهدافه.

وفى الأستانة فى سنة ١٩١٣ قامت جمعية سرية تسمى جمعية العهد. أسسها عزيز على المصرى وقد ضمت مجموعة من الضباط العسكريين أكثرهم من العراق وسوريا ويدل تأسيسها على شعور الضباط بضرورة مساهمتهم فى الحركة العربية القومية. وكانت تهدف إلى استقلال البلاد العربية على أن ترتبط برباط اتحادى مع حكومة الأستانة. وكانت لها فروع فى بغداد والموصل والبصرة وحلب وبيروت. وكان لأعضائها دور عملى فى الحركات الاستقلالية فى المستقبل.

ويبدو أن الجمعية تدرجت للدعوة إلى الاستقلال بعد سنة ١٩١٦ فأبعدت الدولة العثمانية قادتها من المنطقة العربية وأصدرت حكم الاعدام إلى مؤسسها ثم عادت وأخلت سبيله.

وتشابه اهداف جمعية العهد اهداف الجمعية القحطانية التى تأسست سنة ١٩١٥ وكانت تدعو إلى تكوين دولة عربية لها برلمانها وحكومتها المحلية وتتخذ العربية لغتها الرسمية وتكون طرفا فى امبراطورية ثنائية عربية-تركية على غرار النمسا والمجر. وهى ترى أن هذه هى الصلة العملية الوحيدة التى يمكن أن توحد بين العرب والترك فى الدولة العثمانية. وأهمية أخرى لهذه الجمعية أنها أدخلت الضباط فى العمل السرى فى سبيل القضية العربية وبذلك أدخلت عنصرا فعالا من ناحية إمكانياته ودوره فى الحياة العامة.

لقد تبين لنا ان معظم الجمعيات السرية منها والعلنية كانت تؤكد حقوق العرب السياسية ومساهمتهم الفعالة فى إدارة الإمبراطورية وتطالب بالعربية لغة رسمية فى البلاد العربية.

وبعد المؤتمر العربى الذى عقد فى سنة ١٩١٣ واشترك فيه ممثلون من البلاد العربية ومن حزب اللامركزية وجمعية بيروت الاصلاحية قامت مفاوضات مع حكومة الاتحاديين علهم يستجيبون للمطالب العربية الأساسية ولكن الاتحاديين التزموا بالقليل من المطالب ولم ينفذوه واتبعوا سياسة الاضطهاد ضد القوميين العرب.

كان لهذه السياسة رد فعل شديد بين العرب أدى إلى بلورة الفكرة الاستقلالية وإلى اتخاذ الحركة القومية طابعا استقلاليا تحرريا - ذلك لأن العرب فى شعورهم بماضيهم وبحقهم بمستقبل لائق أنكروا بشدة نظرة الترك اليهم وتركيزهم على سياسة التتريك على يد جماعة الاتحاد التركى ثم ما كان من مطاردة الاتحاديين لأحرار العرب قبيل الحرب الأولى وفى

مطلعها وإعدام شخصيات من رواد الحـــركة العربية القومية مـــن مسلمين ومسيحيين – كل هذا فتح باب التضحية أمام العرب ورسم أمامهم الطريق العملى للتحرر والاستقلال.

الخلاصـــة :

نخلص مما تقدم إلى ما يأتى :

١ – أن الحركة القومية العربية ثقافية فهى لا تستند إلى العنصر أو النسب لأن مفهوم الأمة العربية تكوّن حول اللغة والتعريب والتراث الثقافى والدو. التاريخى للعرب.

٢ – إن الوعى القومي العربى حتى الحرب العالمية الأولى كان يهدف إلى الاصـــلاح بصورة عامة ويرى ألا سبيل إلى ذلك إلا بحل المشكلة السياسية فاتجـــه إلى تحقيق الكيان الخاص والحكم الذاتى ثم الاستقلال

٣ – فلسطين بحكم أنها جزء من الوطن العربى فقد اشترك أبناؤها وأسهموا بقسط وافر فى الحركة العربية القومية.

فلسطين والاستعمار الغربي

عندما استولى الأتراك العثمانيون على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ جعلوا للتجارة مدينة البندقية فى ايطاليا فرصة لاحتكار التجارة بين الشرق والغرب خاصة فى الأراضى التى ضموها منذ ذلك التاريخ.

هنا شعرت الدول البحرية الأوربية مثل البرتغال واسبانيا أن احتكار البندقية لتجارة الشرق العربى أعطاها فرصة عظمى للإفادة من تلك التجارة، ورفع الأسعار كما يحلولها.

وكان الأوربيون آنذاك فى أشد الحاجة إلى التوابل والعطور الشرقية والحرير وغير ذلك من البضائع التى كانوا يتوقون إلى الحصول عليها ومن ثم فإن الدول الاوربية لما لم تجد طريق التجارة ، فى الشرق الأوسط مفتوحا أمام سفنها أخذت تبحث عن طريق آخر للتجارة مع الهند والمشرق. فى سنة ١٤٩٦ وخرج فاسكوديجاما من البرتغال بمراكبه، وأبحر غرب افريقيا حتى وصل رأس الرجاء الصالح ثم شق طريقه فى المحيط مارا بأفريقيا الشرقية حتى وصل الهند، ومنذ تلك الرحلة الناجحة امتدت الملاحة من البحر الأحمر وموانئه وأقطاره وسارت تبحر حول أفريقيا لتصل إلى أوربا وبدأت اقتصاديات الشرق العربى تتأثر بسبب ذلك التحول التاريخى فى طرق التجارة بين الشرق والغرب.

بيد أن البحر الأحمر لم يفقد أهميته الاستراتيجية بالنسبة إلى القوة الدولية فى ذلك العهد لأننا نجد أن البرتغاليين بعد أن وصلوا إلى الهند عن طريق رأس الرجاء أخذوا يتوغلون فى البحر الأحمر لضرب موانىء البلاد العربية فيه مثل جدة وسواكن والسويس كما كانوا يحاولون تدمير الأساطيل الاسلامية خاصة المملوكى ثم العثمانى.

وبدخول الأسطول البرتغالى البحر الأحمر أصبحت البلاد العربية مثل الحجاز واليمن والسودان ومصر وفلسطين عرضة للغزوات البرتغالية ، ولم يعد البحر الأحمر بحرا عربيا خالصا كما كان. ومعنى ذلك أن تلك البلاد كان عليها أن تؤهل نفسها للدفاع عن أراضيها ضد الخطر الأوربى.

وكان الهدف البرتغالى من ذلك هو فرض حصار اقتصادى على البلاد العربية، وعدم إعطائها الفرصة للحصول على منتجات الشرق الأقصى التى كانت تتاجر فيها وتوصلها إلى أوربا. واستطاعت البرتغال إلى حد بعيد أن تحتكر التجارة الشرقية وتعطل الاقتصاد العربى.

وحذت كل من انجلترا وفرنسا حذو البرتغال ، وحاولت كل من هاتين الدولتين أن ترث الاحتكار التجارى الذى كان للبرتغال سواء كان فى الهند أو الشرق الاقصى، أو الشرق العربى. ومن هنا بدأ أيضا تغلغل النفوذ الفرنسى والانجليزى فى الشرق العربى، فتأسست شركات احتكارية مثل شركة الليفانت التى تأسست فى سنة ١٥٨١ بغرض احتكار تجارة الشرق العربى بواسطة الانجليز وغرفة مرسيليا وهى شركة فرنسية لها أهداف مماثلة فى مصلحة فرنسا. غير أن فرنسا استطاعت أن تتفوق على انجلترا فى هذا المضمار وتمكنت غرفة مرسيليا من احتكار التجارة مع الشرق العربى الذى كان من الممتلكات الامبراطورية العثمانية ، وكانت هناك صداقة تقليدية بين السلطان العثمانى والملوك الفرنساويين بسبب عداوة كل منهما للنمسا. وهكذا مكنت هذه الصداقة الفرنساويين من احتكار التجارة العربية.

وفى القرن الثامن عشر ازداد نشاط البريطانيين التجارى خاصة وأن الثورة الصناعية فى انجلترا قد بدأت تخطو خطوات واسعة نحو الإنتاج الصناعى، فكان لابد من الحصول على أسواق عالمية إضافية للمواد الخام ولاستهلاك المصنوعات ولذلك فقد عمدت انجلترا إلى التوغل فى البحر

الأحمر الذى كانت السلطات التركية العثمانية قد أغلقته وسيطرت على مدخله فى اليمن ولكن ما لبثت أن ضعفت قبضتها فى اليمن ، وازداد التوغل الانجليزى حتى سمح حكام المماليك فى مصر للسفن البريطانية بالرسو فى ميناء السويس، ضاربين بذلك الفكرة التى كان الأتراك يسلطونها على الأراضى المقدسة شمال جدة، ومنعوا السفن الأوربية من الإبحار شمال جدة حتى لا تدنس الأراضى المقدسة بالمرور حذاءها وكانت المعاهدة التى تمت بين انجلترا والمماليك التى سمحت بموجبها للسفن الإنجليزية بأن ترسو فى السويس وقد تم توقيعها فى سنة ١٧٧٥. ولما رأت فرنسا ذلك أخذت تحذو حذو بريطانيا فتوصلت إلى معاهده مماثلة فى سنة ١٧٨٥م. وهكذا نرى النفوذ الفرنسى يحاول أن يحفظ التوازن بين النفوذ الانجليزى فى الشرق العربى.

ومن الجدير بالذكر أن فرنسا حاولت تقوية نفوذها فى الشام بما فى ذلك فلسطين طبعا منذ النصف الأول من القرن السادس عشر حين استطاعت فرنسا أن توقع معاهدة مع تركيا تخول لها الحق فى أن تكون صاحبة الحق فى حماية الأقليات الكاثوليكية داخل حدود الدولة العثمانية. منذ ذلك الوقت كانت فرنسا تحاول دائما أن تثبت وجودها كلما سنحت الفرصة خاصة فى مواعيد الحج إلى القدس.

أما فى أواخر القرن الثامن عشر، فقد ظهر التنافس الاستعمارى على الشرق العربى خاصة فى مصر وفلسطين وسوريا بين كل من فرنسا وانجلترا وقد كان على نابليون فى سنة ١٧٩٨ أن يغزو انجلترا ، ولكنه بدلا من ذلك نصح بالهجوم على الشرق العربى، والاستيلاء على الطرق التجارية بين الهند وبريطانيا ثم الاستيلاء على كل أجزاء الإمبراطورية البريطانية آنذاك. وبالفعل قد أبحر بجيوشه إلى مصر وهزم المماليك واستولى عليها ولما كان

هدفه الاستيلاء على كل طريق إلى الهند ، فإنه تقدم نحو الأراضى الفلسطينية فاحتل غزة والرملة كما حاصر يافا حتى بلغت أشد حالات الضعف، فأعطاها الأمان إن هى استسلمت فلما سلمت أمر بقتل جميع أفرادها والبالغ عددهم أربعة آلاف جندى.

وما إن فرغ من يافا حتى تقدم نحو عكا، وضرب عليها حصارا شديدا ولكن البريطانيين بأسطولهم يقدمون بعض المساعدات لحامية عكا التى استماتت فى الدفاع طيلة الشهرين مما اضطر نابليون آخر الأمر إلى فك الحصار ثم العودة إلى مصر ومنها أبحر عائدا إلى فرنسا ولقد كانت حملة نابليون إلى مصر وفلسطين درسا للانجليز جعلهم يزدادون رغبة فى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم بالرغم من أن قناة السويس حتى ذلك الوقت لم يكن قد تم حفرها إذ أنها حفرت فى سنة ١٨٦٩ م.

هذه الحملات والحروب بين الدول الأوربية العظمى فى ذلك الوقت تظهر لنا بوضوح مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط خاصة مصر وفلسطين حيث الطرق البرية والبحرية التى تربط بين عالم الشرق وعالم الغرب. ولذلك فقد كان التسابق الاستعمارى نحو الاستيلاء عليها سببا فى ضعضعة قوتها، وجعلها دائما فى حالة دفاع عن النفس ويقظة مستمرة.

ولما كانت هذه المنطقة واقعة تحت السيطرة العثمانية فى القرن التاسع عشر فإن الدول الغربية أخذت كل منها تحاول أن تفرض سلطانها على الخليفة العثمانى لكى تجنى الثمرات الاقتصادية والسياسية والحربية فى تلك المنطقة.

وكانت الدول الأوربية تنتهز فرصة القلاقل الداخلية فى الشرق الأوسط لتجد الثغرات لتدخل لموانئه كما حدث فى لبنان فى سنة ١٨٦٠ عندما اقتتل الدروز ، فتدخلت فرنسا عسكريا بإرسال حملة احتلال لبنان

ووضع حد للمشكلات التى فيها ، ولم تخرج فرنسا من هناك إلا بعد تدخل الدول الأوربية فى الأزمة بإيعاز من بريطانيا ، فسحبت فرنسا جنودها من هناك بعد موافقة الدول الأوربية على الاعتراف بحقها فى حماية الأماكن المقدسة فى فلسطين. وقد أكد هذا الاعتراف الدولى بحق فرنسا فى فلسطين ما جاء فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ إذ أثبت ذلك المؤتمر حق فرنسا فى حماية الأماكن المقدسة فى فلسطين. وبالطبع فإن ذلك يعنى أن فلسطين اصبحت فى منطقة النفوذ الفرنسى.

ولم تشأ بريطانيا أن تترك فرنسا تفوز بنصيب من النفوذ فى الإمبراطورية العثمانية ولذلك فقد أخذت لنفسها جزيرة قبرص من السلطان العثمانى. ولجزيرة قبرص موقع استراتيجى هام بالنسبة للمصالح البريطانية وطرق تجارتها للهند فى ذلك الوقت أى بعد سنة ١٨٧٨ ، حيث عقد مؤتمر برلين. فإن جزيرة قبرص تشرف على شواطىء الشام أى سوريا ولبنان وفلسطين ، كما أنها على مدخل قناة السويس الذى كان قد بدأت فيه الملاحة منذ سنة ١٨٦٩. واستمرت بريطانيا بعد ذلك تهدف إلى الاستيلاء على تلك المناطق أو أكثر ها من الدولة العثمانية ، ومالبثت أن انتهزت فرصة ثورة عرابى باشا فاحتلت مصر بالقوة فى عام ١٨٨٢ وتدخلت فى السودان حتى تم لها احتلاله عام ١٨٩٨. وبقيت تنتظر الفرصة السانحة للاستيلاء على أجزاء أخرى من الشرق الأوسط.

وبينما كانت انجلترا مشغولة فى التوسع نحو مصر والسودان، ظهر الخطر الألمانى فى الشرق الأوسط إذ كان الأمبراطور الألمانى وليم يسعى فى الحصول على امتيازات ونفوذ الإمبراطورية العثمانية. وكانت أهم مشاريع الإمبراطور الألمانى هو بناء خط حديدى من برلين عاصمة ألمانيا حتى البصرة عاصمة العراق. وقد وافق السلطان العثمانى على بناء هذا الخط

لأنه سيفيده حربيا فى إرسال الإمدادات عبر الإمبراطورية العثمانية.

وتوثيقا للعلاقات بين الإمبراطور الألمانى والسلطان العثمانى فإن وليم قام بزيارة القسطنطينية فى سنة ١٨٩٨ ومن القسطنطينية ذهب إلى زيارة القدس ثم دمشق. وكان فى خطاباته التى يلقيها يؤكد العلاقات الطيبة التى تربطه بالسلطان وبالمسلمين وقال بأن على الخليفة العثمانى والثلاثمائة مليون مسلم الذين يحترمونه أن يعلموا جميعا بأن الإمبراطور الألمانى سيظل صديقهم المخلص إلى الابد. وفى احتفال مهيب قام بزيارة مقبرة صلاح الدين الأيوبى بدمشق ووضع على القبر باقة من الزهور كما أمر بوضع مصباح مضىء فى الضريح دلالة على احترامه وتقديره للبطل المسلم الراحل صلاح الدين.

هكذا أصبح الشرق الأوسط منطقة نزاع بين الدول الأوربية الكبرى كل منها تريد أن تقتطع بنفسها أكبر نصيب. فهنالك انجلترا وفرنسا وألمانيا كل منها تحاول أن تستولى على البلاد العربية فى سوريا وفلسطين ولبنان والعراق والأردن. أما مصر فكما رأينا قد أصبحت لقمة سائغة لبريطانيا منذ سنة ١٨٨٢ عندما احتل الجيش الانجليزى مصر واضحى السودان تحت الاستعمار البريطانى منذ سنة ١٨٩٨،

واندلعت الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ ودخلت ألمانيا والنمسا فى حرب ضد فرنسا وانجلترا وروسيا. ثم مالبثت أن اشتركت تركيا فى الحرب فى صف ألمانيا والنمسا، وأخذ البريطانيون يعملون على هزيمة تركيا فى البلاد العربية وذلك بتحريض العرب على الثورة ضد الأتراك على أمل أن تعمل على منحهم الاستقلال بعد الحرب وهى الأمنية العربية العظمى فى ذلك الوقت. وتمت الاتصالات بين الانجليز والشريف حسين بن على حاكم مكة من قبل الأتراك لكى ينادى بالثورة العربية ضد العثمانيين.

وكان الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) يعلمون أن سقوط العثمانيين فى الشرق الأوسط يعنى استقلال البلاد العربية ولكنهم ماكانوا يهدفون إلى ذلك ، بل كان يهمهم أن تدخل البلاد العربية بعد طرد الأتراك فى دوائر نفوذهم خاصة انجلترا وفرنسا لأنهما الدولتان الحليفتان ذوات الأطماع المباشرة فى هذه المنطقة.

وبالفعل فقد تم الاتفاق سرا بين انجلترا وفرنسا على أن تأخذ فرنسا أجزاء من سوريا وشمال العراق ، وتأخذ بريطانيا أجزاء سوريا أيضا وجنوبى العراق بما فى ذلك بغداد والبصره ، وتضيف إليها من فلسطين حيفا وعكا. أما بقية أجزاء فلسطين فقد تم الاتفاق على إنشاء نظام دولى فيها.

وكانت أهم أهداف بريطانيا فى ذلك الحين تحقيق رغبة اللورد كتشنر الذى كان يريد أن يتصل النفوذ البريطانى فى مصر بآسيا عن طريق برى عبر فلسطين ولذلك فإن وقوع فلسطين فى أيدى بريطانيا أو أيدى صهيونية صديقة لبريطانيا كان من أهم الدوافع التى جعلت انجلترا تصدر وعد بلفور بجعل فلسطين وطنا لليهود.

هكذا كانت الأطماع الأوربية فى الشرق الأوسط العربى فالنهم البريطانى والفرنسى كان يصدم بالنهم الألمانى ولما ثار العرب ضد العثمانيين وتخلصوا منهم وجدوا الاستعمار الفرنسى والاستعمار البريطانى فاغرين أفواههما لابتلاعهم ، وخرجوا من قبضة العثمانيين المتضعضعة إلى مخالب البريطانيين والفرنسيين القوية ، وكان عليهم أن يدخلوا فى صراع مرير آخر ليزيحوا ذلك الكابوس الاستعمارى من أراضيهم.

فلسطين تحت الاحتلال

كيف حصل اليهود على وعد بلفور :

اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى فى صيف ١٩١٤ ولم تلبث أن دخلتها الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا فانتهز اليهود فرصة الحرب للعمل على تحقيق مطامعهم فى الاستيلاء على فلسطين.

كان اليهود ذوى نفوذ ضخم فى مجالات الحياة المختلفة فى دول كل من الجبهتين المتحاربتين فقرروا استغلال ذلك النفوذ للمساومة والحصول على أعظم المكاسب وأوفر الربح من إحداهما. وفى سبيل الوصول إلى هذا الغرض قسم زعماء اليهودية العالمية أنفسهم فريقين – فريق يعمل مع ألمانيا وحليفاتها وفريق يسعى لدى انجلترا وأنصارها. واتخذوا سويسرة مركزا سياسيا لهم للعمل والتوجيه.

وفى الواقع كان كل من الفريقين المتصارعين شديد الرغبة فى كسب تأييد اليهود والحصول على المساعدات الكثيرة التى كانوا يستطيعون توفيرها فى مجالات المال والدعاية والتجسس وأعمال التخريب من الداخل.

وكان يبدو فى عام ١٩١٥ أن كفة ألمانيا فى الحرب هى الراجحة فبادر اليهود إلى الاتصال بها وعرضوا على القيصر غليوم الثانى أن يضعوا جميع قواهم ووسائلهم تحت تصرف ألمانيا بشرط أن تقنع الدولة العثمانية بالسماح بإنشاء وطن قومى لليهود.

كما صوروا لتركيا خطورة الحركة العربية الناشئة على كيانها وعرضوا على السلطان أن يسمح لهم بإقامة وطن قومى فى فلسطين يحفظ التوازن فى مقابل الخدمات الآتية .

١ – دعم الاقتصاد العثمانى عن طريق البيوتات المالية اليهودية.

٢ ـ تأليف فرقة عسكرية يهودية بولونية للدفاع عن فلسطين.

٣ ـ مقاومة الحركة العربية.

وتدخلت ألمانيا لإقناع السلطان مبينة له الفوائد التى تنجم من ذلك وأثرها فى مصير الحرب إلا أن النواب تمسكوا بنصوص الدستور ورفضوا التنازل عن أى جزء من أراضى الدولة للاجانب.

وفى انجلترا كان الدكتور وايزمان يتولى زعامة الحركة الصهيونية فلما قامت الحرب انتقل إلى لندن ومعه عدد كبير من زعماء الحركة وصرح أن لندن هى الطريق التى توصل اليهود إلى فلسطين وركز جهوده فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وراح هو وزملاؤه يسعون سعيا حثيثا لاستصدار وعد من الحلفاء بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وكان وايزمان يخشى أن تتلكأ انجلترا بإعطاء الوعد المطلوب فى ذلك الوقت لليهود لعدة اعتبارات منها:

١ ـ موقف روسيا المعارض للحركة الصهيونية.

٢ ـ حرج موقف بريطانيا وفرنسا الحربى فى ذلك الوقت إذ كانتا تواجهان زحفا ألمانيا شديدا فى الجبهة الغربية.

٣ ـ عدم دخول الولايات المتحدة الحرب فى سنواتها الأولى.

٤ ـ اشتداد الحركة الوطنية العربية وإنذارها للأتراك بالخروج عليهم وسعى الانجليز لمحاولة اجتذاب العرب إلى جانبهم.

لم يكن وايزمان وزعماء اليهود يشكون فى صدق بريطانيا فى موقفها من الحركة الصهيونية وإخلاصها لها. و استعدادها لتحقيق أهدافها ولكنهم كانوا حريصين على انتهاز الفرصة لاستعجالها بإصدار وعد يجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود فعرضوا على الانجليز خدمات اليهودية العالمية واستعدادهم

للقيام بأعمال التجسس والتخريب لمصلحة الحلفاء فى دول أوربا الوسطى.

وأخــذ وايزمان يثير الرأى العــام البريطانى ويخاطبه عن طــريق المحاضرات والنشر وأخذ يطوف بريطانيا للحث على إصدار تصريح باعطاء فلسطين لليهود وقد نشر فى المانشستر قارديان مقالة جاء فيها (إذا دخلت فلسطين فى منطقة النفوذ البريطانى ووافقت الحكومة الانجليزية على تشجيع إسكان اليهود فيها فإنه يمكن أن يصير لنا خــلال عشرين أو ثلاثين عاما نحو مليون يهودى أو ربما أكثر من ذلك فيشكلون حراسة عملية لقناة السويس).

وعلى أثر ذلك هب الكتاب من أقطاب الاستعمار البريطانى ينادون بضرورة احتلال فلسطين والتعهد بإنشاء الوطن القومى اليهودى فيها.

وبجانب ذلك شارك وايزمان فى المجهود الحربى. فقد عرف أن انجلترا جادة فى البحث عن طريقة عملية لإنتاج مادة (الاسيتون) لاستخدامها فى تحضير البارود الذى لا دخان له وإنتاجه بكميات ضخمة. فعكف وايزمان سنة كاملة يجرب ويجرى الاختبارات دون انقطاع حتى نجح فى ذلك وكوفىء بتعيينه فى مركز رفيع فى وزارة الحربية البريطانية. وكان يؤمن بأن جهوده لن تذهب سدى وقد أصبح على شبه يقين حينما صارحه (بلفور) بقوله: « هل تعلم ياوايزمان أنك بعد الحرب ستحصل على القدس التى تريدها ! ! » وكان ذلك فى عام ١٩١٥ أى فى السنة الثانية للحرب العالمية.

وابتهج اليهود لدخول الولايات المتحدة فى الحرب واعتبروه عاملا رئيسيا فى تحقيق أهدافهم المنشودة فجرت مفاوضات جديدة بين اليهود والحلفاء واقترح اليهود إصدار تصريح مشترك من دول الحلفاء. فوافقت على ذلك بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا لكن روسيا اعترضت على الفكرة مرة أخرى فعدلت فرنسا وإيطاليا عن الاشتراك فى إصدار

التصريح المطلوب ولكنهما أكدتا لبريطانيا تأييدهما لكل خطوة تخطوها فى هذا السبيل وأخيرا تم الاتفاق على أن تصدر بريطانيا تصريحا منفردا معتمدة على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية وموافقة فرنسا وايطاليا وأن تتعهد بتحقيق المشروع اليهودى بعد احتلالها لفلسطين واستمرت المباحثات بين زعماء اليهود والحكومة البريطانية بمعرفة الولايات المتحدة وعرضت خلالها سلسلة من الصيغ.

لقد صدر التصريح على شكل كتاب رسمى موجه من اللورد آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد ولتر رتشيلد فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بعد موافقة الحكومة البريطانية عليه وهذا نصه:

عزيزى لورد رتشيلد

يسرنى أن أنقل اليك بالنيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالى متضمنا العطف على الأمانى الصهيونية اليهودية. وكان هذا التصريح قد رفع إلى المجلس الوزارى فوافق عليه.

«إن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وسوف تبذل قصارى جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية. على أن يكون مفهوما بصورة واضحة أنه لا يجوز القيام بأى عمل من شانه أن يكون مجحفا بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ولا بالحقوق والأوضاع السياسية التى يتمتع بها اليهود فى أى قطر آخر».

وسأكون شاكرا إذا أنبأتم الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح.

بلفور

وقد ثبت بالوثائق الرسمية أن تصريح بلفور كان قد رفع إلى الرئيس الأمريكى ولسون ووافق عليه قبل إعلانه فى ١٦ أكتوبر ١٩١٧ كما أيدته فرنسا فى ١٤ فبراير ١٩١٨ وإيطاليا فى ٩ مايو ١٩١٨.

الدوافع السياسية التى أدت إلي إصدار تصريح بلفور :

١ ـ رغبة بريطانيا فى كسب عطف اليهود لجانب الحلفاء.

٢ ـ جعل فلسطين منطقة نفوذ بريطانية تحمى مواصلاتها للهند وتحرس قناة السويس.

٣ ـ التمهيد للمطالبة بأن تكون فلسطين من حصة بريطانيا فى غنائم الحرب لتتمكن من تنفيذ تصريح بلفور للصهيونيين.

وقد بذلت بريطانيا قصارى جهدها فى إخفاء هذه الدوافع الحقيقية والتى تتلخص فى سبب جوهرى واحد هو مطامع بريطانيا فى إيجاد مركز استراتيجى لها فى العالم العربى للسيطرة عليه.

قيمة وعد بلفور من الناحية القانونية :

الواقع أن وعد بلفور فى حد ذاته غير ذى موضوع من الناحية القانونية

١ ـ فلم يكن هذا الوعد سوى خطاب صدر من وزير بريطاني إلى أحد أثرياء اليهود من الانجليز وبذلك فهو لا يربط سوى الحكومة البريطانية وحدها.

٢ ـ لم تبكن فلسطين من أملاك بريطانيا حتى يحق لها أن تتصرف فيها فهى كمن يهب ما ليس له.

٣ ـ الشخص الذى وجه اليه الكتاب لم تكن له صفة دولية أو رسمية أو كما عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك الوعد بقوله :

« لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحقه ثم استطاع الاثنان: من لايملك ومن لا يستحق بالقوة وبالخديعة أن يسلبا صاحب الحق الشرعي حقه فيما يملكه وما يستحقه ».

النتائج التى ترتبت على وعد بلفور :

١ – اجتمع اليهود حول هدف واحد هو إقامة الوطن القومى اليهودى بفلسطين فحتى صدور هذا الوعد لم تكن الصهيونية تفكر جديا فى إقامة الدولة اليهودية ».

ومن الثابت أن اليهود كانوا مترددين كثيرا فى اختيار مكان هذه الدولة. بل كانت هناك جماعات كثيرة من اليهود تعارض حتى أيام الحرب العالمية الأولى فكرة إقامة هذا الوطن ولم تغير موقفها إلا بعد صدور وعد بلفور.

٢ – أشعر وعد بلفور اليهود بإمكان وسهولة تحقيق فكرة الوطن القومى.

٣ – أزال كل اختلاف فى وجهات النظر حول مكان هذه الدولة اليهودية.

٤ – بدأت مجهودات الصهيونية العالمية بعد صدور وعد بلفور تتخذ طابعا عمليا لإقامة الوطن القومى اليهودى على أرض فلسطين مستغلة الدولة الاستعمارية التى لم يكن يعنيها من الأمـــر سوى إحكام سيطـــرتها الاقتصادية على العالم العربى.

فلسطين تحت الأنتداب :

دخلت الجيوش البريطانية فلسطين فى أواخر عام ١٩١٧ بعد أن هزمها الأتراك وجردت سكانها العرب من السلاح. واستمرت تحت حكم عسكرى حتى عام ١٩٢٠ حينما قــرر مؤتمر سان ريمـــو وضعها تحت الانتداب وتشكلت إدارة مدنية فى فلسطين وعين السير هربرت صمويل أول مندوب سام يهودى بريطانى لها. وفى عهد هذا المندوب اليهودى تقرر وجوب تسليح المستعمرات اليهودية من قبل الحكومة المنتدبة. وكان هذا أخطر ما فعله صمويل لمصلحة اليهود. وقد ظهر خطره فى المستقبل عندما

انسحبت بريطانيا من فلسطين عام ١٩٤٨ واستفاد منه اليهود فى محاربة العرب

لقد تم تعيين السير هربرت صمويل – وكان يهوديا ومن أقطاب الحركة الصهيونية – بغرض تنفيذ وعد بلفور فى فلسطين.

وعين السير هربرت صمويل لورفارد بنتوش اليهودى الصهيونـــى مديرا للنيابات (نائبا عاما) فى فلسطين وخوله سلطة التشريع ووضع الأنظمة والقوانين التى تساعد على تكوين الدولة اليهودية.

لقد احتل الانجليز فلسطين منذ عام ١٩١٧ ثم وضعوها تحت الانتداب منذ عام ١٩٢٠ إلا أن قرار عصبة الأمم الرسمى بالانتداب صدر فى يوليو ١٩٢٢.

وأخذ يعمل المندوب السامى على تهجير اليهود ومنحهم الأراضى بعضها كهبة وبعضها بعقود إيجار عن ٩٩ سنة ثم أقر إعادة تسجيل كافة الأملاك غير المنقولة من أرض وعقارات ليسلب الأرض من العرب ويسجلها باسم الحكومة ثم يعطيها لليهود.

كذلك أقر وجوب استقلال التعليم الأميرى ووهب للمدارس والمعاهد اليهودية إعانات ضخمة تساعد على نموها وتقدمها.

وسن قانونا لجباية الديون والأموال المطلوبة من العرب وكانت متراكمة من عهد الدولة العثمانية وقد كان العرب يقترضون أموالا من البنك الزراعى لتحسين زراعتهم. فلما طلبوا للجندية قتل بعضهم وفقد البعض الآخر أو أسر وأصبحت البلاد فى حالة اقتصادية سيئة للغاية بعد حرب قاسية طويلة. وكان هدف المندوب اليهودى من ذلك إكراه العرب على بيع ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة لتسديد ديونهم للخزانة البريطانية التى أصبحت وارثة للخزانة العثمانية وتسهيل أمر شراء هذه الممتلكات من قبل اليهود.

واعترف للجمعية الصهيونية التى أصبحت فيما بعد الوكالة اليهودية الصبغة الاستشارية لحكومة فلسطين وذلك تسهيلا لإنشاء الدولة اليهودية. فأصبحت الوكالة هى الآمرة والناهية فى الشئون الفلسطينية بل أصبحت حكومة داخل حكومة الانتداب البريطانى

دستور فلسطين أو صك الأنتداب :

فى الوقت الذى كان فيه الانجليز يهيئون أنفسهم كدولة منتدبة على أرض فلسطين كانوا يصوغون مشروعا لصك الانتداب ويعرضونه على المنظمة الدولية (عصبة الامم) فأقرته المنظمة فى ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ وهذا المشروع الذى أقرته المنظمة كان صورة طبق الاصل للمشروع الذى قدمته الجمعية الصهيونية إلى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩.

وصك الانتداب هذا يقع فى ثمان وعشرين مادة وقد ربط ما بين اليهود وما بين عودتهم إلى أرض فلسطين الرابطة التاريخية المزعومة التى تربطهم بفلسطين منذ أقدم العصور على حد تعبير صك الانتداب.

أما مواد هذا الصك فقد كانت فى كل حرف من حروفه مؤامرة على فلسطين وطمسا لكيانها وتشهيرا لعروبتها وتصميما على جعل فلسطين دولة يهودية منذ اللحظة التى دخلت فيها الجيوش البريطانية الأرض العربية. لقد تضمن الصك سبع مواد تنصب على مسألة الوطن القومى اليهودى وأهمها المادة التى نصت على أن الوطن القومى سيتحول فيما بعد إلى دومنيون يهودى مستقل.

ولعل أهم المواد وأخطرها هى:

المادة الثانية وتنص على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومى

اليهودى وتكون مسئولة ايضا من صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس أو الدين.

المادة الرابعة أن يعترف بوكالة يهودية صالحة كهيئة عمومية لاسداء المشورة إلى إدارة فلسطين فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التى تؤثر فى إنشاء الوطن القومى اليهودى.

المادة السادسة تنص على تسهيل هجرة اليهود فى أحوال ملائمة وأن تتعاون مع الوكالة اليهودية فى هذا الشأن.

المادة الثانية والعشرون تنص على أن تكون اللغة الانجليزية والعبرية والعربية (بهذا الترتيب) لغات فلسطين الرسمية.

الهجرة اليهودية إلي فلسطين :

منذ أن وطئت الجيوش البريطانية أرض فلسطين أخذت الدولة المتندبة تتبع سياسة معينة لتهويد فلسطين ومساعدة الصهيونية لإنشاء الوطن القومى اليهودى فيها بأساليب كثيرة أهمها:

تشجيع الهجرة اليهودية :

قامت حكومة الانتداب بتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكل الوسائل حتى زاد عدد المهاجرين اليهود بعد مضى عشر سنوات على الانتداب البريطانى على مائة ألف نسمة.

لقد كان عدد اليهود فى عام ١٩١٨ (٥٦ر٦٧٠ يهوديا) وكانت نسبتهم إلى العرب فى فلسطين أقل من ٥٪ وبعد عامين من تصريح بلفور أصبحت ٧٪ وفى عام ١٩٢٢صار عدد اليهود ٨٤ ألف وارتفعت نسبتهم إلى ١١٪ فلما جاء عام ١٩٤٧ كان عدد اليهود ٦١٤ الفا بينما كل سكان فلسطين نحو١،٩٧٧،٦٠٠ وبذلك كانت نسبة اليهود إلى السكان نحو ٣١٪

لقد كان معظم المهاجرين الأوائل من الشبان المحاربين الذى كان يجرى تدريبهم فى معسكرات خاصة بالتدريب العسكرى والإعداد الفكرى والبدنى فى بولونيا وألمانيا والنمسا ودول شرق اوربا وكان هؤلاء المهاجرون خليطا من الشعوب والقوميات واللغات والثقافة جمعتها الفكرة الصهيونية لتزعم أنها تشكل (قومية واحدة) وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة فكيف يمكن أن يؤلف اليهودى الغربى مع اليهودى الشرقى قومية واحدة. إن الغاية من كل ذلك هو أن يصبح العرب مع مرور الزمن أقلية فى مهد آبائهم.

وبالرغم من أن العرب قد فطنوا منذ البداية إلى تدفق اليهود إلى فلسطين وثاروا ضد ذلك كما سيتضح لنا بعد إلا أن سيل الهجرة لم ينقطع خصوصا قبيل فترة التقسيم .

إن فتح باب الهجرة إلى اسرائيل لليهود الراغبين فى الدخول تبرره الحركة الصهيونية واسرائيل على أنه تحقيق لآمال اليهود فى تحويل فلسطين إلى ملجأ لليهود أيا كان موطنهم. ولهذه السياسة طبعا أغراض عسكرية كما أنها تتضمن خطرا توسعيا يقلق بال الدول العربية على أن للسياسة نواحى اقتصادية كذلك من حيث خلقها المعضلات المالية والاستيعابية من جهة أخرى أما من حيث المعضلات فمهمة استدراج اليهود إلى اسرائيل تعنى أولا تقديم العون المباشر السريع لهم وقد نتجت من عملية الدمج السريع، التى قامت بها اسرائيل إن أكثر من نصف المهاجرين الذين وفدوا بعد عام ١٩٤٨ هم من اليهود الشرقيين وإن أقل من النصف بقليل جاءوا من أوربا وإن عدد المهاجرين بين ١٩٤٨ و ١٩٦٠ يفوق اليهود الذين كانوا فى فلسطين فى عام ١٩٤٨ مع تزايدهم العددى الطبيعى. إذا ذكرنا كل هذا اتضح لنا مدى التغير الاجتماعى الحاصل والمشاكل الناجمة عن الازدياد الكبير فى السكان وتغير توعيتهم وأوضاعهم فجنبا إلى جنب مع اليهود القادمين من جبال

الأطلس فى شمال افريقيا يشاهد حملة شهادات الدكتوراة من ألمانيا أو تشيكوسلوفاكيا وإلى جانب اليهود الأرثوذكس المتعصبين الذين يرفضون أن يشعلوا عود كبريت يوم السبت يعيش الملحدون الثوريون. وإلى جانب أكلة القات المترهلين القادمين من اليمن يشاهد الناجون من معارك القينتو البولونى الرهيب. (القينتو هو الحى الذى يسكنه اليهود منعزلين عن بقية الشعب الذى يعيشون بينه).

وإلى جانب كل هؤلاء توجد نسبة عالية من مجموع السكان من اليهود الأصليين الذين يتباهون على الجميع بأنهم مؤسسو الدولة والمضحون فى سبيلها منذ أيام الانتداب البريطانى.

ويوضع القادمون الجدد فى «معسكرات عبور» لمدة تقصر أو تطول بالنسبة لوسائل الاستيعاب قبل توزيعهم على المستعمرات الزراعية والقرى والمدن . وتنطوى عملية استقبال واستيعاب المهاجرين على ثلاث مراحل :

الأولى : أن يكون المهاجر فيها عالة على إسرائيل إذ تقدم له الاعانة مجانا وقد يفوق عدد الذين هم فى هذه المرحلة فى فترة ما من فترات الهجرة الكثيفة المائة الف شخص.

أما المرحلة الثانية فمرحلة « العمل المزدوج بالإغاثة» حين يعطى المهاجر فرصة العمل فى أشغال عامة الكثير فيها ليس له ما يبرره اقتصاديا سوى توفير مجال العمل خاصة وإن الأجور تفوق عادة القدرة الإنتاجية للعامل.

أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة الاستيعاب الفعلى وتشمل هذه المرحلة فترة من التدريب الشبه عسكرى والجندية النظامية لمن هم فى سن الجندية. كل هذه المراحل مرتفعة الكلفة بما فى ذلك المرحلة الثالثة حيث الكلفة أقل وضوحا وبروزا مما هى فى المرحلتين الاوليتين.

امتلاك الأراضى :

لم يكن اليهود يملكون من أرض فلسطين عند الاحتلال البريطانى عام ١٩٤٨ أكثر من ٢٪ أى نحو (١٦٢٥٠٠) فدانا من أصل (٦,٥٨٠،٧٥٥) فدانا.

أما عند انتهاء الانتداب عام ١٩٤٨ وعلى الرغم من جميع المحاولات التي بذلوها خلال فترة الانتداب مما سيأتى بيانه فلم تزد ممتلكاتهم على ٥٦,٧٪ من مجموع الأراضى. فقد كانت ملكية الأراضى فى فلسطين عند انتهاء الانتداب البريطانى موزعة على الوجه الاتى :

(أ) العرب (أفرادا)	٤٧,٧٩٪
(ب) أملاك الدولة	٤٦,٠٠٪
(ج) اليهود	٥,٦٧٪
(د) سكان آخرون	٠,٥٤٪

وقد كانت خطة الصهيونية ترمى إلى السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أراضى فلسطين سواء بالحصول عليها مجانا – أى من أملاك الدولة – أو عن طريق الشراء. وهنا كان مخططهم شراء الأراضى التى تتفق وسياستهم العسكرية أى أراضى الحدود لفصل فلسطين عن شقيقاتها الدول العربية المجاورة والأراضى التى تتحكم فى خطوط المواصلات أو تلك الواقعة على مداخل المدن العربية الكبرى أو المشرفة على خطوط المواصلات بينهما.

وكان أن وهبتهم الحكومة ١٧٥ ألف دونم (الدونم الف متر مربع) من أملاك الدولة كما منحتهم ٢٠٠ الف دونم لقاء أجرة أسمية ثم زادتها بعد مدة حتى وصلت إلى ٣٠٠ الف دونم. وكذلك أخذت الحكومة تقوم بإصدار جميع القوانين واتخاذ كافة التدبيرات التى من شأنها إفقار العربى وجعله عاجزا بحيث يضطر أمام الحاجة إلى بيع أرضه. ولكن بالرغم من

هذا كله لم ينجح اليهود فى شراء الأراضى العربية إلا على نطاق ضيق جدا ومن قبل ملاك كبار معظمهم لم يكن مقيما فى فلسطين. وقد استخدم اليهود شواطىء هذه السهول فى إدخال مهاجريهم الذين كانوا يأتون إلى البلاد سرا دون ترخيص من الحكومة المنتدبة.

ومن جملة الوسائل التى لجأت إليها الحكومة مثلا منع تصدير الحبوب والزيت مع كثرة إنتاجها فى البلاد وذلك بغية هبوط أسعارها بحيث يعجز الفلاح من تسديد ديونه وتأدية ضرائبه وكذلك إصرار الحكومة المنتدبة على أن يدفع المزارع عشر إنتاجه نقدا لا عينا كما كان يفعل فى العهد العثمانى. كل هذا كان أحيانا يضطره إلى بيع أرضه مما أدى إلى ارتفاع أسعار الأرض إلى عشرات الأضعاف وأحيانا إلى مئاتها. ولكن على الرغم من كل ذلك وعلى الرغم من الاسعار المغرية التى كانت تعرضها الجمعيات الصهيونية ثمنا للأراضى العربية فقد كان نجاح اليهود فى هذه الناحية يكاد لا يذكر حتى أنهم لغاية عام ١٩٤٨ لم يستطيعوا امتلاك أكثر من ٥٫٦٧٪ من مجموع أراضى فلسطين نصفها « أملاك دولة» أما الجزء الذى تسرب منها من أيدى عرب فلسطين فلم يزد على ٠٫٩٢٪ من مجموع أراضى فلسطين وقد وقع الكثير من هذا الجزء الضئيل فى أيدى اليهود فى ظروف قاهرة. كما باع عرب البلاد العربية الاخرى ممن كانوا يملكون إقطاعيات واسعة فى فلسطين ٢٫٣٪ من مجموع الاراضى الفلسطينية. وقد كان لليهود خمس منظمات كبرى هى الوكالة اليهودية وجمعية الاستعمار اليهودى لفلسطين والجمعية الانجليزية اليهودية والوكالة الاسرائيلية العالمية وجمعية الرأسمال اليهودى القومى والمسماة (بالصندوق القومى اليهودى) ومهمتها جميعا شراء الأراضى واستغلالها لمصلحة المهاجرين اليهود وقد أنفقت ما بين ١٩١٩ – ١٩٢٥ مبلغ ستة ملايين جنيه استرلينى حتى تمكنت من شراء نحو مليون دونم ومائة قرية (الفدان يساوى ٤٫٠٥ دونما).

ويقول (دون بيريتز) فى كتابه « اسرائيل وعرب فلسطين» إن الأملاك المهجورة شكلت واحدة من أهم الإسهامات لجعل اسرائيل قادرة على العيش فمدى مساحة الدولة وكون معظم المناطق المتاخمة للحدود فارغة بنزوح سكانها كان أمرا ذا مدلول استراتيجى خطير. ومن بين ٣٧٠ مستعمرة جديدة أقيمت فى ١٩٤٨ ومطلع ١٩٥٣ كان ٢٥٠منها فى أراضى متروكة (أملاك الغائبين) وفى ١٩٥٤ كان أكثر من ثلث السكان اليهود يقيمون فى أملاك مهجورة وحوالى ثلث المهاجرين الجدد (٢٥٠ الف) يقيمون فى أملاك المدن التى أخلاها العرب. فإنهم كانوا قد أخلوا مدنا بأكملها مثل يافا وعكا واللد والرملة وبيسان والمجدل وكذلك مئات المدن والقرى وتقدر كلها بنحو ¼ مجموع المبانى فى اسرائيل كلها.

يقدم الدكتور يوسف صامغ فى كتابه (الاقتصاد الاسرائيلى) صورة لتحديد القيمة المالية للأملاك العربية المتروكة. وقد قدر قيمة المساكن ومبانى المصانع والشركات وأدواتها والمواشى والدواجن وأراضى الجمعيات والمطاعم والمقاهى والفنادق ...الخ بما قيمته (٢,٣٢٢,٨٠٠,٠٠٠ جنيه) وهو مبلغ ضخم للغاية.

سياسة اسرائيل نحو العرب المقيمين فيها :

يبلغ عدد العرب المقيمين فى فلسطين المحتلة حوالى ٢٠٠ الف عربى (كان عددهم ١١٢ الف عام ١٩٥٥ حسب ماجاء فى مجلة الإحصاء الاسرائيلية الشهرية) ويتركز السكان العرب فى منطقة الجليل (شمال فلسطين) حيث يقيم حوالى مائة الف عربى. والعرب فى اسرائيل يؤلفون حوالى ١١٪ من مجموع السكان ويملكون ٤٣٠ الف دونم من الأرض الزراعية.

ولكن سياسة اسرائيل نحو الاقلية العربية لها هدف واحد هو القضاء على العرب الباقين بها اما بالهجرة إلى الدول العربية المجاورة أو الفناء.. ذلك

خلال طريقتين :

أولا الاستيلاء على أراضى العرب بكل الوسائل وإعطائها للمهاجرين اليهود أو ضمها إلى المستعمرات اليهودية المجاورة.

ثانيا اضطهاد العرب بشكل لم يسبق له مثيل فى التاريخ لإجبارهم على الرحيل من ديارهم.

والاستيلاء على أراضى العرب يتم خلال القوانين التالية

١ – قانون الطوارىء

وقد أجاز هذا القانون مصادرة أراضى العرب فى المناطق الحربية بدعوى المحافظة على سلامة الدولة.

والمناطق الحربية حسب قرار الكنيست الصادر فى عام ١٩٤٩ هى مناطق الحدود التى يسكنها ٨٠٪ من العرب وتشمل على منطقة الجليل والنقب

٢ – قانون زراعة الأراضى الخراب

يخول هذا القانون وزير الزراعة أن يستولى على أراضى العرب المهجورة وأن يوزعها بمعرفته على مزارعين من اليهود ويتم ذلك بعد إنذار كتابى لصاحب الأرض يعلق فوقها فإذا مضت مدة الإنذار ولم تستغل الأرض صادرها الوزير ومنحها لمن يستغلها من المهاجرين اليهود.

إن هذا القانون فى ظاهره لا تبدو مساوئه فظاهره يهدف إلى زيادة الانتاج ودفع السكان إلى استغلال أراضيهم. فإن تكاسل أحدهم أو عجز عن ذلك حق للحكومة فى سبيل المنفعة العامة أن تستولى على الأرض بعد أن تكون قد أنذرت صاحبها وعجز عن إصلاحها.

ولكن القانون فى باطنه يحوى كل الشر للعرب لأنه يتجاهل أن هذه

الأراضى غير المستغلة أصحابهـا محجوزون داخل قراهـم بموجب قانون الطوارىء ونظام منع التجول المفروض على المناطق التى يتكتل فيها العرب حيث يحظر على السكان العرب وحدهم الانتقال من منطقة إلى أخرى وحتى من قرية إلى أخرى إلا بإذن من الحاكم العسكرى والحصول على هذا الاذن له إجراءات طويلة تكون النتيجة فى أغلبها الرفض. لذلك فإن أصحاب هذه الأراضى لا يستطيعون الـذهاب إلى أراضيهم لاستغـلالها وزراعتها فتمضى مدة الإنذار ويطبق عليهم نص القانون الجائر ويستولى وزير الزراعة على أراضيهم ويوزعها على اليهود وهذا هو ما يهدف اليه واضعو القانون.

٣ – قانون أملاك الغائب سنة ١٩٥٠

وبموجبه يوضع تحت تصرف الحاكم الذى تعينه حكومة اسرائيل جميع الأملاك التى هى فى الدولة أو فى الأراضى التى تحتلها قوات اسرائيل والتى كان يملكها غائبون أو كانت تحت إشرافهم أو محلا لسكناهم ويحدد الغائب بكل صاحب ملك كان بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٤٧ من رعايا لبنان – مصر – سوريا – المملكة السعودية – شرق الأردن – العراق – اليمن أو أنه كان فى ذلك التاريخ مقيما بإحدى تلك الدول أو فى أى قسم من فلسطين لا يتبع لدولة اسرائيل أو أنه كان يتمتع بالجنسية الفلسطينية وترك محل إقامته بها دون أن يحصل على إذن بذلك. وكل شركة أو جمعية يكون نصف أعضائها أو نصف رأسمالها فى الخارج تعتبر غائبة . وتشتمل كلمة الملك على كل منقول أو غير منقول وحقوق الملكية والموجودات الجارية.

وللحاكم الحق فى بيع الملك الموضوع تحت تصرفه بموافقة اللجنة التى يعينها وزراء المالية والزراعة والأقليات ويحرر الملك حينئذ من قيوده السابقة وينزع من مالكيه ويبقى ثمنه تحت تصرف الحاكم الـذى تعينـه حكومة إسرائيل.

وحيث أنه لم يكن فى حيازة اليهود فى تاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الذى يحدده القانون إلا جزءاً صغيراً مما وقع تحت أيديهم فيما بعد فإن عددا كبيرا من العرب الذين بقوا فى اسرائيل اعتبروا (غائبين) وكذلك كل من انتقل منهم إلى قريته أو إلى قرية أو بلدة مجاورة تحت ضغط ظروف الحرب يعتبر غائبا وتصادر أملاكه وبحكم هذا القانون الجائر فقد العرب نحو ٢٠٠ الف دونم من أراضيهم وضعها الحارس العام تحت تصرف المستعمرات اليهودية المجاورة.

٤ ـ قانون امتلاك الأراضى لسنة ١٩٥٢

وهذا القانون يجيز مصادرة الأراضى اللازمة للمشروعات العسكرية ولإنشاء وبناء المستعمرات.

٥ ـ قانون التصرف لسنة ١٩٥٣

وينص هذا القانون على أنه إذا لم يتصرف صاحب الملك بأرضه تصرفا فعليا (أى بنفسه وبيده) وكانت الحكومة محتاجة اليها للأغراض الدفاعية أو لأغراض التوطين فإنها تصبح بأمر وزير المالية ملكا للدولة وتسجل باسم سلطة التعمير والإنشاء ويكون قرار الوزير قرارا قاطعا بحيث لايخضع لمراقبة المحاكم.

وهذا يعنى أن جميع الأراضى العربية الواقعة فى المناطق التى يطبق عليها قانون الطوارىء والتى يطبق على العرب فيها نظام منع التجول ستؤول حتما إلى سلطة التعمير والإنشاء. فعندما ترغب السلطات اليهودية فى الاستيلاء على أرض عربية مـــا يمتنع الحاكم العسكرى من إعطاء الإذن لأصحابها بالتنقل فينطبق عليها نص القانون الصادر وبهذه الوسيلة وبغيرها استطاع اليهود الاستيلاء على مئات الألوف من الدونمات من أراضى العرب المقيمين فى اسرائيل.

ثانيا : اجراءات اليهود للتخلص من عرب فلسطين :

١ — نسف القرى والمدن العربية

سار اليهود على خطة نسف القرى وتدميرها وهدم الأبنية العربية فى المدن إمعانا فى التضييق على العرب وإجبارهم على ترك البلاد ويستعمل الديناميت عادة فى عملية النسف.

٢ — قتل الأبرياء

تلجأ القوات اليهودية المسلحة إلى الاعتداء على السكان العرب بالضرب والتعذيب أو التقتيل وقد بلغ من وحشية اليهود فى هذه الأعمال البربرية أن الصحف اليهودية اعترفت بوقوعها واحتجت عليها فقد ذكرت جريدة «كول هاعام» اليهودية فى عددها الصادر فى أول سبتمبر ١٩٥٣.

أن السلطات اليهودية أعدمت ١٦ شابا من قرية عيبلون (فضاء الناصرة) برصاص الرشاشات بعد أن اختارتهم من بين ذكور القرية وأجلت سائر الشبان من القرية وطردتهم عبر الحدود اللبنانية ولم تبق فى القرية غير الشيوخ والعجزة. وقد أحرق الجنود اليهود عائلة آل زريق فى نفس القرية فى داخل بيتها إرهابا لسائر السكان وترويعا لهم لحملهم على الخروج من البلاد.

٣ — طرد السكان

وأحيانا يحيط البوليس ببعض القرى ويقبض على الشباب ويتهمهم بمخالفة قوانين الحدود ويسوقونهم معصوبى العيون إلى بعض الأماكن الخطرة على الحدود ثم يرفعون العصابات عن أعينهم ويدفعهم الجنود إلى الجرى ويطلقون عليهم النار من المدافع الرشاشة فوق رؤوسهم فيموت من يموت وينجو القلة.

٤ — تحديد حرية التنقل

قد استعملت السلطات اليهودية قوانين الطوارىء لفرض الأحكام

العسكرية على المناطق التى يكثرفيها العرب وينتج من ذلك أن تتحول المنطقة إلى سجن كبير يحظر الخروج منه أو الدخول اليه الا بتصريح من الحاكم العسكرى وفى الغالب يرفض الحاكم إصداره بل إنهم يمنعونهم الانتقال من قرية إلى أخرى مجاورة وهكذا يحكمون عليهم بالإقامة الجبرية فى قراهم أو مدنهم ويحرمونهم الخروج بأى حال من الأحوال.

٥ – التضييق الاقتصادى

بالاضافة إلى هذه الاجراءات التى تهدف إلى نزع البقية الباقية من أرض العرب وسلب كل ما يملكون فان اسرائيل تسلك معهم سبيلا اقتصاديا لا قبل لهم به. من ذلك تجبرهم على بيع محصولاتهم الزراعية إلى شركات التسويق اليهودية بالأسعار التى تفرضها تلك الشركات الاحتكارية وبذلك يضطر العرب إلى بيع منتجاتهم بأقل الأسعار وأبخسها.

ويقع العرب تحت رحمة موظفى تقدير الضرائب وكلهم من اليهود وهؤلاء يترسمون سياسة حكومتهم وخطاها فى إفقار العرب والتشديد عليهم استجابة لمشاعر الحقد التى تكبتها نفوسهم للعرب علاوة على أن اسرائيل تغلق أبواب العمل فى المؤسسات اليهودية فى وجه العرب على اعتبار أنهم ليسوا أعضاء فى « الهستدروت » اتحاد العمال اليهودى ثم يتعرضون للبطالة والفقر. وهكذا يطارد «الهستدروت» العمال العرب كما يتحكم فيهم أصحاب الاعمال من اليهود حيث يعطون أجرا للعامل العربى بنسبة ٤٠٪ من العامل اليهودى كما أغلقت حكومة إسرائيل أبواب الوظائف فى وجه العرب على الرغم من أنهم يؤلفون ١١٪ من مجموع السكان فى إسرائيل وعلى الرغم من أنهم يدفعون الضرائب والقروض الإجبارية ويساهمون فى التبرع لصندوق التسلح أسوة بالسكان اليهود.

ومن الأساليب الغريبة التى تلجأ اليها السلطات الإسرائيلية للإضرار بالعرب إغلاق ما يعرف (بالمناطق المغلقة) بحجة إجراء مناورات عسكرية فيها أو بالقرب منها وكثيرا ما تكون هذه المناطق زراعية ويحول هذا الأمر دون تمكن أصحابها الذين يعملون فيها من دخولها أياما وأسابيع وأحيانا لعدة شهور مما يعرض حاصلاتها للتلف أو ضياع الموسم الزراعى كله عليهم. الأمر الذى أثار شكاوى المزارعين العرب وجعلهم يلجأون للشكوى دون جدوى.

وكثيرا ما تبلغ مساحة هذه الأراضى المغلقة بما يزيد عن السبعين الفا من الدونمات من الأراضى العربية مما يحكم على الوف العرب بالموت جوعا.

المقاومة العربية :

لقد كان لصدور وعد بلفور وما تبع ذلك من وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى بغرض خلق وطن قومى لليهود رد فعل عنيف فى فلسطين خاصة وفى البلاد العربية عامة. وبدأت سلسلة من الاضطرابات والثورات — وتكونت جمعيات إسلامية مسيحية للمقاومة فوقعت اصطدامات فى عكا والقدس وطبريا فى عام ١٩١٩. إلا أن أول احتكاك دموى جرى فى القدس فى عام ١٩٢٠ فى أثناء موسم الاحتفال بعيد النبى موسى اصطدم فيها العرب باليهود وبالبوليس واستشهد عدد من العرب وجرح البعض كما سقط الكثيرون من اليهود بين قتيل وجريح. وشكلت لجان للتحقيق برئاسة قاضى القضاة السير توماس هيكرافت وقالت اللجنة فى تقريرها إنها ناشئة عن الشعور السائد فى البلاد ضد اليهود ومسألة الوطن القومى اليهودى.

وفى هذا العام تم تعيين أول مندوب سامى لفلسطين وهو السير هربرت صمويل اليهودى الصيهونى وقد عمل منذ تعيينه على ملء الوظائف

الكبرى باليهود حيث بلغ الموظفون اليهود أربعة أمثال الموظفين العرب وقام بتسهيل الهجرة اليهودية حتى أصبح معدلها فى العام ٨ آلاف مهاجر ثم ارتفعت فيما بعد إلى ٣٠ ألف مهاجر .

فتبعتها ثورة أخرى فى يافا فى عام ١٩٢١ بسبب تدفق هجرة الصهاينة وقد اصطدم فيها العرب باليهود وبالقوات البريطانية كما هاجموا المستعمرات اليهودية . وقد كان عدد الشهداء من العرب كبيرا كما أن عدد القتلى من اليهود يقاربهم وقد اشتد غضب السلطات الحاكمة على عرب فلسطين فاستخدمت ضدهم أبشع وسائل الانتقام فغرموا وأتلفت مزارعهم وأحرقت.

الكتـــاب الأبيض :

على أثر هذه الاضطرابات الدامية أصدرت الحكومة البريطانية فى يونيو من عام ١٩٢٢ « الكتاب الأبيض» وقد اشتمل على دستور لفلسطين وعلى سياسة عامة مبنية على أساس الانتداب وتصريح بلفور مؤكدا أنهما لا يقبلان التغيير . وقد أصدره تشرشل وقد كان وزيرا للمستعمرات آنذاك وقد نص الكتاب على تأسيس مجلس تشريعى ليس له حق التعرض لمبدأ الانتداب أو الوطن القومى اليهودى أو الهجرة اليهودية إلى فلسطين ولا شئون فلسطين المالية.

وقد رفضه العرب رفضا باتا لنفس الأسباب المذكورة أعلاه كما أنه نص على أن يكون للعرب فى المجلس التشريعى ١٠ أعضاء من أصل ٢٣ عضوا رغم أن العرب يؤلفون ٩١٪ من مجموع السكان.

وقد اتضح أنه من وضع اليهود أنفسهم كما جاء فى مذكرات وايزمان.

لقد ظل العرب منذ ١٩١٩ يعقدون المؤتمرات العربية يطالبون باستقلال البلاد إلا أن بريطانيا رفضت وأكدت تصميمها على إنشاء الوطن القومى لليهود.

لذلك لم تسكن الاضطرابات ففى عام ١٩٢٤ وقعت الاضطرابات فى يافا وكذلك فى عام ١٩٢٥ بسبب زيارة لورد بلفور للقدس بغرض افتتاح الجامعة العبرية (وقد أنشأها اليهود عام ١٩١٩).

واستمرت سياسة التهويد بكل الوسائل التى سبق ذكرها.

ثورة ١٩٢٩

عرفت هذه الثورة بثورة البراق والبراق يطلق على مكان ملاصق لجدار الحرم الشريف فى القدس فيه باب جرت التقاليد الاسلامية على كونه الباب الذى دخل منه النبى فى إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا الدابة المعروفة بالبراق. وهذا الحائط يحد المسجد الشريف من الغرب فى داخل ذلك الحائط من جهة الحرم الشريف غرفة يعتقد أنها المكان الذى ربط فيه البراق يوم الإسراء وهذا الحائط يشكل أيضا جزءا من الحائط الخارجى الغربى لهيكل سليمان القديم وهو آخر آثار هذا الهيكل الذى دمره (طيطس) الوالى الرومانى. ويؤمه اليهود ليبكوا فيه ملكهم المفقود. لذلك عرف أيضا بحائط المبكى. وقد سمح لهم المسلمون منذ القرون الوسطى بزيارته دون وضع شىء فوقه بل الاكتفاء بتلاوة الصلاة قربه ولكن صحفهم أخذت تطالب بإعادة بناء هيكل سليمان وهذا يعنى صراحة أن فى نيتهم التعدى على الحرم الشريف وامتلاك المسجد الأقصى تدريجيا بزعم أنه (الهيكل) ابتداء بالجدار الغربى منه الذى هو حائط البراق أو حائط المبكى وهو قطعة لا تنفصل عن المسجد الأقصى .

وقد امتدت الثورة إلى خارج القدس وضواحيها ووزعت الحكومة السلاح على المدنيين من اليهود. وهاجم العرب اليهود كما هاجمهم اليهود وكانت النتيجة أن تجاوز عدد الضحايا مائتى قتيل وستمائة جريح أكثرهم من اليهود وكانت أكثر إصابات العرب من البوليس وأعقبت ذلك

محاكمات عنيفة حيث أعدم الانجليز ثلاثة منهم وحوكم سبعة منهم بالسجن المؤبد و ٨٠٠ منهم بالسجن لعدة سنوات وفرضت الغرامات على العرب.

لجنة التحقيق (لجنة شو)

على أثر هذه الثورة عينت الحكومة البريطانية (جريا على عادتها عقب قيام كل ثورة) لجنة برلمانية للتحقيق من ثلاثة نواب برئاسة قاض كبير هو سير والترشو قاضي قضاة مستعمرة (ملاقا) سابقا.

ونظرا لخطورة مسألة الأراضي وشدة شكاوى العرب من سياسة حكومة الانتداب عينت الحكومة البريطانية ثلاث لجان أخرى.

واحدة منها لبحث مسألة الأراضى والهجرة برئاسة خبير بريطانى عالمى فى مسائل الأراضى هو (سير جون هوب سمسون) وأعقبتها بلجنة تحقيق فنية ثانية برئاسة الخبير العالمى البريطانى (لويس فرنش).

ورفعت لجنة (شو) ولجان الأراضى تقاريرها للحكومة البريطانية وكانت هذه التقارير خطيرة جدا فى محتوياتها إذ كشفت النقاب عن المآسى السياسية والاقتصادية والتشريعية التى كانت تنزل بعرب فلسطين. وقد أوصت لجنة شو بالاتى:

١ - الحد من الهجرة اليهودية

٢ - وضع قيود على انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود.

٣ - إعادة بريطانيا لسياستها فى فلسطين بحيث توافق الفريقين.

كما أوصت اللجان الثلاث الأخرى بتحسين الحالة فى فلسطين وصيانة حقوق العرب وصيانة مصالحهم والمحافظة على أراضيهم وإشراكهم فى الحكم والإداره.

الكتاب الأبيض [كتاب لورد باسفيلد]

أصدرت حكومة العمال على أثر استلامها تقرير سمسون كتابا أبيض عطفا على هذا التقرير عرف بالكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ أو « كتاب اللورد باسفيلد » وزير المستعمرات فى حكومة العمال برئاسة رامزى ماكدونالد.»

وأكدت الحكومة فى هذا الكتاب عزمها وتصميمها على الأخذ بتوصيات لجنة «شو» واللجان الفنية للأراضى والهجرة وعلى اتباع خطوات دستورية لإشراك السكان فى الإدارة والتشريع. وقد جاء فى مقدمته أن الوقت قد حان للتقدم خطوة أخرى فى سبيل منح أهل فلسطين درجة من الحكم الذاتى كما بين أن واجب الحكومة نحو اليهود ليس بأقوى منه نحو العرب وأن ما بقى من الأراضى الزراعية بأيدى العرب أقل بكثير عن حاجتهم مالم تبدل اساليب الزراعة وأن الفلاح العربى فى حاجة شديدة إلى العناية والحماية وتحسين احوال معيشته وهو محروم مما ناله المزارع اليهودى بفضل المساعدات والمؤسسات اليهودية كما تعرض لمشكلة البلاد فيما يتعلق بالهجرة بحيث لا تؤدى إلى البطالة عند العرب واليهود كما تعرض لقوة الإنتاج وتعرض للهجرة غير الشرعية أى تهريب اليهود إلى فلسطين وادخالهم خلسة. وقد سرد الكتاب المشاكل العملية التى تواجهها فلسطين فيما يتعلق بـ :

(١) الأمن العام (٢) التطورات الدستورية (٣) التطورات الاقتصادية والاجتماعية فيما يتعلق بالأرض والتحسن الزراعى والهجرة.

الكتاب الأسود

بالرغم من أن الكتاب الأبيض من حيث الأساس والقاعدة التى بنيت عليها سياسته كان من مصلحة الصهيونية لا سيما وأنه قد نص على تمسك الحكومة بالانتداب وسياسة إنشاء الوطن القومى اليهودى وإنه لم يختلف فى

مضمونه عن الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ فإن العرب لم يرفضوه لأنهم أرادوا أن يظهروا حسن نيتهم وأن يمدوا أيديهم للتعاون مع الحكومة البريطانية. أما اليهود فقد أبدوا معارضتهم الشديدة للسياسة الجديدة وآزرتهم الصحافة الانجليزية والامريكية وهب غلاة المستعمرين البريطانيين وعلى رأسهم تشرشل وتشمبرلين ووبلدوين وغيرهم من زعماء المحافظين والعمال يشنون أعنف الحملات على الحكومة لإصدارها هذا الكتاب. واستقال الدكتور حاييم وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية كمظهر من مظاهر عدم تعاونه مع الحكومة الإنجليزية . واستمر الضغط على الحكومة والمطالبة بإلغاء الكتاب الأبيض. فسحبت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض وبعث رامزى مكدونالد بكتاب إلى الدكتور وايزمان يؤكد فيه تمسك الحكومة البريطانية بتعهداتها نحو إنشاء الوطن القومي اليهودى ويفسر الكتاب الأبيض تفسيرا بمثابة إلغاء له. واستقال لورد باسفيلد . وقد سمى العرب هذا التفسير للكتاب الأبيض بالكتاب الأسود لأنه فى الواقع وثيقة شؤم وخزى وعار وصفحة بشعة فى تاريخ انجلترا.

مقارنة بين الكتابين

الكتاب الأبيض :

١ ـ نص على عدم وجود أراضى تتسع لهجرة يهودية جديدة.

٢ ـ انتقال الأراضى يجب أن يخضع لمراقبة شديدة وأن الطريق لتوسيع الأراضى اليهودية هو تحسين طرق الزراعة.

٣ ـ الحكومة مستعدة لتحديد الهجرة وإيقافها إذا كان من شأنها حرمان السكان العرب من ايجاد عمل لهم.

٤ ـ نص على أن رفض اليهود استخدام العمال العرب مخالف لصك الانتداب

الكتاب الأسود :

١ ـ الحكومة ستجرى تحقيقا دقيقا فى موضوع الأراضى التى يمكن استعمالها للهجرة.

٢ ـ فيه نفى لمنع انتقال الأراضى وقد جعل توطين اليهود واجب من واجبات دولة الانتداب.

٣ ـ فيه نفى لأى تفكير من قبل الحكومة بإيقاف مثل هذه الاجراءات أو هجرة أية جماعة من اليهود إلى فلسطين.

٤ ـ نص على أن هذه المخالفة أى رفض اليهود استخدام العرب حق مشروع عدا أنها من عوامل زيادة طاقة البلاد الاقتصادية على قبول مهاجرين جدد.

إضطرابات عام ١٩٣٣

وبعد صدور هذه الوثيقة زادت الحكومة البريطانية من حماسها فى تهويد فلسطين وبذل المساعدات لتثبيت دعائم الوطن القومى اليهودى فارتفع عدد المهاجرين خصوصا بعد استيلاء النازيين على الحكم فى المانيا.

فأدرك العرب أن ليس هناك طريق للعمل سوى اتباع سياسة «اللاتعاون» مع الانجليز فقامت المظاهرات والاضطرابات فى جميع المدن وكانت السلطة تقاومها بالرصاص.

واشتدت الهجرة فارتفعت من ٩ الف فى عام ١٩٣٢ م إلى ٣٠ الف فى عام ١٩٣٣ إلى ٦٢ الف فى عام ١٩٣٥ كما شجعت الحكومة انتقال الأراضى العربية إلى اليهود. وفوق ذلك سمحت للمنظمات اليهودية بالتسلح كما كانت تغض الطرف عن تسرب الأسلحة اليهم من اوربا سرا.

ثورة العرب عام ١٩٣٦

نتيجة لذلك التوتر المستمر أخذت الدعوى إلى الجهاد تعم البلاد فى المساجد والأندية والبيوت وكل المجتمعات. وبدأت الثورة بمقتل أحد أئمة المساجد بحيفا وقد كونت منظمة سرية لقتل الانجليز. ولما استشهد هو ورفاقه كان ذلك الحدث هو الشرارة الأولى التى اشعلت نار الثورة والاضطراب فقامت عقب موته عصابات كثيرة كانت تدرب الشباب على استعمال السلاح.

وبدأت المعارك تدور بين العرب واليهود كل فترة من الفترات ثم تألفت لجنة قومية دعت للإضراب العام الذى شمل جميع مرافق الحياة فى فلسطين. فتعطلت كل المرافق واستمر الإضراب ١٨٣ يوما وامتنع الناس عن دفع الضرائب فتوقفت الحركة التجارية وأصاب الاقتصاد شلل شديد.

وأخذت اللجنة العربية العليا تدعو إلى استمرار الإضراب إلى أن تنفذ المطالب التالية :

١ — منع الهجرة اليهودية إطلاقا.

٢ — منع انتقال أراضى العرب إلى اليهود.

٣ — إنشاء حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابى.

وكثرت المظاهرات والاشتباكات واستشهد عدد من العرب وبذلت الحكومة كل جهد لحمل الشعب على الهدوء ولكن ذلك لم يزد القوم إلا عنادا. ولما ضاقت ذرعا بالوضع لجأت إلى أشد أنواع العنف والإرهاب لإخماد الثورة وكان من جملة ما لجأت اليه :

١ — هدم ونسف أى بناء تقتنع الحكومة أنه قد أطلقت منه رصاصة.

٢ — نفى رجالات اللجان القومية إلى المعتقلات.

٣ — فرض منع التجول فى المدن والقرى مدة تتراوح بين ١٢ و٢٢ ساعة فى اليوم.

٤ — فرض العقوبات الجماعية على المدن والقرى.

٥ — إصدار أحكام بالسجن لأتفه الأسباب.

وكانت النتيجة أن ازداد لهب الثورة وتدفق المجاهدين إلى فلسطين من أطراف العالم العربى ونشأت العصابات واشتدت المعارك الحربية ونسفت الجسور وقطعت خطوط البريد والبرق وقلبت القطارات وأتلفت أشجار الفاكهة. وأصبحت الأمة كلها مندمجة فى الثورة.

وأعلن قرار الحكومة بإيفاد لجنة تحقيق ملكية ولكن العرب لم يكترثوا لها لعدم جدواها.

ولما لم تجد كل محاولات لوقف تيار الثورة استنجدت بريطانيا بملوك العرب ورؤسائهم وطلبت اليهم التدخل. فوجهوا اليهم نداء يطلبون منهم وقف القتال والإخلاد إلى السكينة. وختموا دعوتهم بقولهم « ندعوكم للإخلاد والسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة فى تحقيق العدل » وقد وقع هذا النداء الملك سعود والملك غازى والإمام يحيى والأمير عبدالله.

كانت حصيلة هذه الثورة الف شهيد عربى وثلاثة آلاف معتقل وقد جرت هذه الثورة مابين أبريل ١٩٣٦ إلى اكتوبر ١٩٣٦. وقد كانت هذه الثورة من أعنف الثورات واشترك فيها متطوعون من خارج فلسطين.

وبعد أقل من شهر من وقف الثورة أعلنت انجلترا أن وقف الهجرة لامبرر له وفى نفس الوقت أرسلت اللجنة الملكية فقاطعها العرب إلا أنهم عادوا عن مقاطعة اللجنة بإلحاح من ملوك العرب واتصلوا بها باسطين القضية أمامها.

وأنهت اللجنة تقريرها فى شهرين ولكنه لم يصدر إلا بعد ستة أشهر وكان كله مراوغة وتهرباً من إبداء الرأى فى أساس القضية على أنها وصفت مجتمع المستوطنين الصهيونيين فى فلسطين بأنه «دولة داخل دولة» وأوصت بتقسيم فلسطين بعد أن ثبت لها استحالة الجمع بين الشعبين والتقريب بينهما.

مشروع التقسيم المقترح :

١ – دولة يهودية فى الشمال تمتد من الحدود اللبنانية الفلسطينية إلى جنوبى يافا.

٢ – منطقة تحت الانتداب البريطانى الدائم وتشمل القدس وبيت لحم وممرا يصلها بالبحر قرب يافا.

٣ – منطقة عربية تشمل ماتبقى من فلسطين على أن تضم إلى شرق الأردن وترتبط الدولة اليهودية بمعاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا.

على أن يتم تبادل السكان بين الدولتين. أعنى أن ينقل العرب لمنطقة العرب واليهود للمنطقة اليهودية ولم يكن فى هذه التوصية من منطق إذ كانت تعنى نقل ١٢٥٠ يهوديا من الدولة العربية إلى اليهودية فى مقابل نقل ٣٢٥ الف عربى من الدولة اليهودية إلى العربية. وأن تعقد معاهدة جمركية بين الدولتين.

وبالطبع فقد رفض العرب هذا المشروع الذى يهب جزءا من أرض عربية للدخلاء واستنكرت كل الشعوب العربية هذا المشروع وعبروا عن ذلك فى مظاهرات صاخبة.

مؤتمر بلودان :

ونتيجة لذلك دعا العرب إلى مؤتمر بلودان (بسوريا) وحضره أعضاء

من البلدان العربية وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٣٧ وكان أهم ما اتخذه من قرارات:

١ – إن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربى.

٢ – رفض ومقاومة التقسيم وإنشاء دولة يهودية فيها.

٣ – والإصرار على إلغاء الانتداب وتصريح بلفور.

٤ – وقف الهجرة اليهودية فورا.

٥ – إصدار تشريع يمنع انتقال الأراضى من العرب لليهود.

إستئناف الثورة:

لقد أوقف العرب ثورتهم نزولا على طلب الملوك ورؤساء الدول العربية وليتيحوا للجنة الملكية فرصة التحقيق فلما نشر تقريرها وتوصياتها وشاهدوا ما فيه من غبن لقضيتهم هبوا إلى القتال وخاصة بعد أن نفى زعماؤهم إلى سيشل وأخذوا ينسفون القطارات والخطوط الحديدية والجسور ويفجرون أنابيب البترول ويشتبكون مع قوات الأمن وأمعنت السلطات فى تفتيش القرى وحرقها وتشريد أهلها وكثرت أحكام الإعدام لأقل الشبهات. وكانت معارك حامية تنشب وكثيرا ما اشتركت الدبابات والمصفحات والطائرات فى هذه المعارك وبالرغم من أن انجلترا حشدت آلاف الجنود للمعارك وسلحت اليهود وعملت على تدريب الصهاينة فقد استطاع الثوار السيطرة على البلاد سيطرة تامة واستمر الثوار ينتقلون من نصر إلى نصر فاحتلوا القدس القديمة وبعض المدن واشتد العنف من جانب الحكومة لدرجة أنها قامت بنسف أكثر من ٥ آلاف بيت وسجنت أكثر من الفين دون تمييز بين شيخ وامرأة وشاب واعتقلت أكثر من ٥٠ ألف وعذبت العرب بكل الوسائل البربرية.

وفى نوفمبر عام ١٩٣٨ أذاعت الحكومة بيانا اعترفت فيه بأن إنشاء دولة يهودية وأخرى عربية حل غير عملى للمعضلة وأبدت عزمها على بذل الجهد لإيجاد تفاهم بين العرب واليهود ووجهت الدعوة إلى ممثلين من كل جانب وإلى ممثلين للدول العربية المجاورة.

مؤتمر لنـــدن :

اتجهت الوفود العربية ووفد فلسطين إلى لندن (مصر - السعودية - العراق - اليمن - شرق الأردن) فى فبراير عام ١٩٣٩ وكانت الاجتماعات تعقد صباحا بين الإنجليز والعرب وفى الظهر بين الانجليز واليهود، وطالب العرب بتنفيذ التعهدات باستقلال بلاد العرب ومن ضمنها فلسطين ولم يقبل العرب المقترحات البريطانية لأنها تتنافى وحقوق عرب فلسطين. وأبلغ رئيس الوزارة البريطانية المؤتمرين بقرارات مجلس الوزراء والتى تتلخص فى :

١ - عدم الموافقة على إنشاء دولة عربية وعلى منح فلسطين استقلالها التام.

٢ - الاعتراف باستقلال العرب الداخلى فى المناطق العربية على أن يتعاونوا مع اليهود فى مجلس تشريعى موحد تتساوى فيه الحقوق السياسية بين العرب واليهود.

٣ - عدم إيقاف الهجرة اليهودية بالمرة والموافقة على تضييقها.

٤ - تقسيم الأراضى الفلسطينية إلى ٣ مناطق.

(أ) الأولى يسمح ببيع الأراضى فيها.

(ب) الثانية يسمح ببيع الأراضى فيها بعد موافقة المندوب السامى.

(ج) الثالثة يمنع بيع الأراضى فيها منعا باتا.

فرفضت جميعا وبذلك فشـــل المؤتمر فشلا ذريعا وازدادت حملـــة

الإرهاب عنفا لدى اليهود فقاموا بإلقاء القنابل فى الشوارع الآهلة بالسكان فى المدن العربية .

وعاد المفاوضون الانجليز إلى عرض مقترحاتهم السابقة بشكل مفصل ولكن الفريقين رفضوها وعادوا من حيث أتوا وأضرب فى فلسطين العرب كما أضرب اليهود.

فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية ومابعدها

انتهينا إلى أن فلسطين قد أصبحت بعد الحرب العالمية الاولى من نصيب الانتداب البريطانى وكيف ان فترة الانتداب البريطانى كانت فترة صراع بين العرب واليهود وكيف أن السياسة البريطانية كانت تميل إلى تحقيق وعد بلفور لليهود وان اتخذت اسلوب التحوير والخداع للعرب.

ففى سنة ١٩٣٩ أعلنت بريطانية سياستها نحو القضية الفلسطينية بإصدارها كتابا أبيض حاولت فيه أن تنفى عن نفسها التزامها بجعل فلسطين دولة يهودية وأن تقول بان تهويد فلسطين لم يكن هدف الانتداب البريطانى. فقد جاء فى الكتاب الابيض أن خلق دولة يهودية سيحيل العرب إلى رعايا دولة يهودية خلافاً لإرادتهم. وأن هذا لو تم سيؤكد للعالم تنكر بريطانيا لالتزاماتها للعرب.

ومن ناحية أخرى يقرر الكتاب الأبيض أن بريطانيا لم تتعهد فى مراسلات الشريف حسين وماكمهون بالاعتراف باستقلال دولة عربية تضم فلسطين.

وينتهى الكتاب إلى أن بريطانيا لم تكن تهدف إلى قيام دولة عربية أو دولة يهودية بل كان هدفها قيام دولة فلسطينية تضم العرب واليهود وتسبق قيام هذه الدولة فترة انتقال تحت الإدارة البريطانية لمدة عشر سنوات قد تزيد إذا دعت الظروف.

وكذلك تطرق الكتاب الأبيض إلى موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وبين أنها تؤثر بلا ريب فى حالة البلاد اقتصاديا وسياسيا لذلك حفظت بريطانيا لنفسها حق إيقاف الهجرة أو تحديدها وقررت أنها ستراعى فى قبول المهاجرين « درجة استيعاب البلاد لهم من ناحية وعدم حدوث اضطرابات تعكر صفو الأمن من ناحية أخرى».

كما يتطرق الكتاب الأبيض أيضا إلى مشكلة الأراضى ويقسم فلسطين إلى ثلاثة أقسام قسم أبيح فيه بيع الأراضى وقسم ثان اشترط البيع فيه بموافقة المندوب السامى البريطانى وقسم ثالث حرم فيه البيع.

هذا ماكان من أمر الكتاب الأبيض الذى أصدرته حكومة بريطانيا سنة ١٩٣٩ ووافق عليه مجلس العموم. والكتاب كان فى الواقع محاولة من بريطانيا لاستدرار عطف العرب خصوصا وأن بريطانيا فى أواخر سنة ١٩٣٨ وطوال سنة ١٩٣٩ كانت فى موقف حرج بسبب الموقف الدولى آنذاك الناتج عن التهديدات النازية بعد مؤتمر ميونخ واكتساح هتلر لتشكوسلفاكيا ثم اقتحامه لبولندا. لذلك رأت بريطانيا أن تتقرب للعرب لتضمن سلامة مواصلاتها فى منطقة الشرق الأوسط فى حالة نشوب حرب واسعة النطاق ضد النازية وحلفائها.

وقد حدث هذا فى الوقت الذى وقفت فيه روسيا إلى جانب ألمانيا وأصبحت روسيا تهدد الشرقين الأدنى والأوسط وكانت بريطانيا تخشى تغلغل روسيا فى الهند أهم ممول لبريطانيا بالأغذية والرجال والمواد الأولية.

وكانت سنة ١٩٤٠ عصيبة على بريطانيا ففى هذه السنة أخذت ألمانيا تهدد بالغزو الجزر البريطانية نفسها بعد أن سيطرت على الأراضى المنخفضة وانهارت أمام النازيين المقاومة الفرنسية.

وفى هذه الظروف الصعبة التى كانت تعيشها بريطانيا كان الضغط الصهيونى عليها على أشده بينما توقف النشاط العربى فى حل القضية الفلسطينية بعد إعلان الحرب وحافظ العرب على صداقتهم مع بريطانيا وأعلنوا تأييدهم لها وفتحوا موارد بلادهم الاقتصادية لها وسهلوا لها كافة وسائل النقل والطرق والمحطات.

وفى المحيط العربى ظهر فى هذه الفترة اتجاه للتضامن بين أقطار

العالم العربى وأبدت الحكومة البريطانية عطفها على هذا الاتجاه على لسان وزير خارجيتها المستر إيدن فى مارس(آذار) سنة ١٩٤١ حين قال « إن كثيرين من مفكرى العرب يرغبون فى أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب فى الوحدة أكبر من النصيب الذى تتمتع به الآن...ويبدو لى أن من الطبيعى ومن الحق أن تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية والسياسية أيضا بين الأفكار العربية وستعاضد حكومتة معاضدة تامة أى مشروع ينال الموافقة العامة» وقد كرر إيدن نفس تصريحه هذا عام ١٩٤٣.

وفى هــذه الظروف دعا النحاس باشا رؤساء الحكومات العربية وتمخض عن اجتماعاتهم صدور برتكول الاسكندرية فى سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٤٤ الذى أعلن فيه اتفاق الدول العربية على مبدأ التعاون والانضمام إلى هيئة تدعى « جامعة الدول العربية»

وبعد ميلاد جامعة الدول العربية أعلنت لجنتها السياسية تأييدها لقضية عرب فلسطين واعتبر ميثاق الجامعة العربية فلسطين قطرا مستقلا واصبحت ممثلة بمندوب فلسطينى فى الجامعة. كذلك اهتمت الجامعة بالدعاية لقضية فلسطين فى الاوساط الدولية وانشأت مكاتب لاول مرة فى كل من القدس ولندن ووشنطن.

اليهود خلال الحرب العالمية :

تتبعنا قصة القضية الفلسطينية وموقف بريطانيا منها فى خلال سنى الحرب العالمية الأولى كذلك أشرنا عابرا للظروف التى تمخض عنها قيام جامعة الدول العربية وموقف الجامعة من فلسطين وسنحاول الآن التعرض بإيجاز لموقف اليهود خلال الحرب.

لقد رأينا كيف أن اليهود قد دخلوا فى مساومات مع الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى وانتزعوا منهم وعد بلفور سنة ١٩١٧. وقد لجأوا

لنفس الأسلوب خلال الحرب العالمية الثانية مستخدمين إلى جانب أسلحتهم الأخرى فى التأثير سلاح اضطهاد الحكم النازى لهم معلنين وقوفهم وتأييدهم للديمقراطيات الغربية. وقد تأثر الرأى العام فى الغرب عاطفيا بقضيتهم وبلغ هذا التأثير أشده فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد ركزوا عليها بالفعل أكثر من بريطانيا لأن الأخيرة كانت تتهرب من إثارة القضية الفلسطينية خلال الحرب لتبقى صداقة العرب لأن ذلك يضمن لها الاستقرار فى منطقة الشرق الاوسط الاستراتيجية.

كان ذلك فى الوقت الذى تجمد فيه نشاط القضية الفلسطينية فى المحيط العربى واندفع فيه النشاط الصهيونى خاصة فى أمريكا التى أصبحت منذ ذلك الوقت الركيزة القوية التى يرتكز عليها اليهود.

ففى سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٤٣ عقد اليهود مؤتمرا فى بلتيمور بالولايات المتحدة. وتمخض ذلك المؤتمر عن المطالبة بتنفيذ وعد بلفور وفتح باب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين وقد كانت حملة اليهود هذه قريبة من انتخابات الرئاسة الامريكية. واليهود كانوا آنذاك قرابة الخمسة ملايين ويسيطرون على ٧٦٪ من رأس المال الأمريكى لذلك كانوا يتمتعون بمركز مالى كبير. فعمل لهم الرئيس الأمريكى روزفلت ١٩٤٤ حسابا كبيرا ووعدهم فى مارس (آذار) سنة ١٩٤٤ أن يساهم فى إقامة كومنولث يهودى فى فلسطين إن قاموا بتأييده فى انتخابات الرئاسة وقد أعلن منافسه مرشح الحزب الجمهورى للرئاسة نفس الوعد. وهكذا نرى أن المتنافسين على رئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة يتنافسون أيضا فى كسب أصوات اليهود.

وجد اليهود فى الولايات المتحدة أرضا خصبة لنشر دعايتهم وأخذ نفوذهم يتسع كما أصبحوا يضعون الشروط لحل القضية الفلسطينية. ففى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤ رفضوا فكرة تقسيم فلسطين بينهم وبين

العرب وطالبوا بقيام دولة اليهود فى فلسطين كلها. وقد أيد ما ورد فى هذا المؤتمر ما ورد على لسان بن غوريون فى بداية سنة ١٩٤٥ حين قال: «ان اليهود لا يمكنهم التخلى عن شبر من الأرض فى فلسطين حتى عن قمم الجبال وعن كنوز البحر».

ثم انتهت الحرب العالمية الثانية وكان النشاط الصهيونى على أشده وكان يهدف إلى اشراكهم فى مؤتمر سانفرانسسكو ليقوموا بإثارة القضية الفلسطينية وكسب التأييد لهم على نطاق دولى. ولكن الدول العربية تنبهت لهذا الهدف الصهيونى فعارضته بشدة ولم يتمكن اليهود من الاشتراك فى المؤتمر الذى تمخض عنه قيام هيئة الأمم المتحدة. ولكنهم لم يقنعوا من الغنيمة بالإياب فقد انتزعوا من الرئيس الأمريكى روزفلت قبل وفاته ما يؤكد عزمه على تأييد ما يطمعون إلى تحقيقه.

وبعد موت الرئيس الأمريكى روزفلت تولى الرئاسة نائبه ترومان وكان يعطف على اليهود أكثر من سلفه واقترح على حلفائه أن تحل مشكلة هجرة اليهود إلى فلسطين فى المؤتمر الذى عقد فى بوتسدام ولكنه لم يجد تشجيعا منهم فاتجه إلى بريطانيا وأقنعها بفتح باب الهجرة أمام مائة الف يهودى لفلسطين وهو العدد الذى حدده له اليهود ولم تمانع بريطانيا صديقة العرب أثناء الحرب فى تنفيذ هذا الطلب بعد الحرب.

الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية :

كانت الطريقة التى اتبعها اليهود فى فلسطين مع بريطانيا حكومة الانتداب هى الإرهاب فعطلوا أنابيب البترول وقطعوا خطوط المواصلات وهددوا المراكز العسكرية وعكروا صفو الامن. وأثاروا حملة إرهابية أزعجت حكومة الانتداب.

كان هذا فى الوقت الذى كانت فيه الهجرات اليهودية تتزايد فى

فلسطين بالوسائل الشرعية وغير الشرعية وبلغة الأرقام كان عدد اليهود فى فلسطين لا يزيد على ١٠,٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩١٨ فأصبح عددهم يقرب من ٨٠٠,٠٠٠ يهودى فى سنة ١٩٤٨.

أما امتلاكهم للأراضى الصالحة للزراعة فكانوا فى سنة ١٩١٨يملكون حوالى نصف مليون دونما وتزايد تملكهم للأراضى فأصبح حوالى المليونى دونم فى سنة ١٩٤٨ كما تضاعف أيضا استثمار الأموال اليهودية فى الزراعة والصناعة فى فلسطين.

واليهود مع إرهابهم لحكومة الانتداب البريطانية كانوا يضمنون تأييدها لهم إلى حد كبير وذلك لعاملين هامين أولهما قوة نفوذ اليهود فى بريطانيا والدول الأوربية الأخرى وثانيهما الضغط الذى تمارسه الولايات المتحدة على بريطانيا ودفعها لمسايرة وتنفيذ المطالب الصهيونية فى فلسطين.

كان هذا فى الوقت الذى لم ينضج فيه الوعى القومى والكيان السياسى والاقتصادى العربى. وكان هذا بالطبع عاملا مساعدا لليهود.

إن الارهاب اليهودى الموجه ضد حكومة الانتداب كان أمرا مخططا قصد به إنهاء الانتداب البريطانى عن فلسطين وكان طبيعيا بعد انتهاء الانتداب فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أن يوجه الإرهاب اليهودى ضد العرب أصحاب الحق الشرعى فى فلسطين وهذا ما حدث بالفعل.

موقف امريكا وبريطانيا :

كنا قد رأينا كيف أن الرئيس الأمريكى روزفلت قد وعد اليهود بتأييد مخططهم قبيل انتخابات الرئاسة فى أمريكا فى سنة ١٩٤٤، والتى كانت تهدف إلى الغاء الكتاب الأبيض الذى أصدرته حكومة بريطانيا سنة ١٩٣٩ والعمل على تحويل فلسطين إلى دولة يهودية. كان الرئيس الامريكى روزفلت قد وجد سنداً فى هذا من لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ

الأمريكى. وكاد روزفلت أن يعلن تأييده هذا ليكون سياسة رسمية للولايات المتحدة. لكن لم يفعل الرئيس الأمريكى ذلك نسبة لاشتداد المقاومة العربية فى فلسطين ضد اليهود ونسبة لأن بعض الدول قد اعترضت رسميا لدى الولايات المتحدة ضد اتجاهها الصارخ فى تأييد مخططات الصهاينة ونذكر من تلك الدول سوريا والعراق والعربية السعودية.

كانت الاحتجاجات العربية فى شكل رسائل إلى البيت الأبيض الأمريكى فى مارس (آذار) وإبريل (نيسان) من سنة ١٩٤٥. وكان للمقاومة العربية من ناحية والعمل الدوبلوماسى من ناحية أثرها فى السياسة الأمريكية فأخذ الرئيس الأمريكى روزفلت يرسل التصريحات محاولا إرضاء العرب ولكن كانت تصريحاته مطاطة خالية من العبارات المحددة ذات التفسير الواحد فالسياسة الأمريكية لم تتغير إزاء قضية عرب فلسطين. فهى لا تزال قائمة على تأييد اليهود وإن تسترت وراء تصريحات غير محددة قصد بها استرضاء العرب.

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه أن خلَف روزفلت على رئاسة الولايات المتحدة المستر ترومان سار فى طريق أوضح من سلفه فى تأييد اليهود فطالب بريطانيا بإلغاء الكتاب الأبيض وطالبها أيضا بفتح باب الهجرة لمائة الف مهاجر يهودى

وموقف أمريكا يبدو غريبا ومتناقضا فهى من ناحية تنادى بالمبادىء الديمقراطية وبالحرية والمساواة وحق تقرير المصير. وهى أيضا تعمل بكافة إمكانياتها لضياع حق العرب فى فلسطين وتأييد المطالب اليهودية ضاربة عرض الحائط بنقاط الرئيس الأمريكى ولسن الأربعة عشر وميثاق لأاطلنطى الذى كان روزفلت شريكا فى استصداره وبمبدأ حق تقرير المصير.

موقف بريطانيا :

أما بريطانيا فقد أعلنت سياستها فى سنة ١٩٤٥ فى بيان أعلنه وزير

الخارجية البريطانية المستر بيفن فى حكومة العمال. ولم يخرج بيان بيفن عن كونه استمراراً للسياسة البريطانية السابقة منذ إعلان كتابها الأبيض فى سنة ١٩٢٢ وكتابها الأبيض سنة ١٩٣٩ وهى سياسة قائمة على حفظ التوازن فى الظاهر بين العرب واليهود. فهى طورا تتقرب إلى العرب فتغضب اليهود وطورا آخر تتقرب لليهود فتغضب العـــرب وهى سياسة يتفـــق فيها كبار الساسة البريطانيين فى الحزبين الكبيرين: حزب العمال وحزب المحافظين فلا يختلف فيهـــا موقف تشرشل عـــن موقف مكدونالـــد. وجوهر السياسة البريطانية أنها تسعى وراء مصالح الامبراطورية ولا يوجد شيء جديد فيما أعلنه بيفن إلا محاولته الفصل بين مشكلة اليهود فى فلسطين ومشكلة اليهود العالمية واقترح أن يغير نظام الانتداب البريطانى بنظام الوصاية فـــى فلسطين بعد تقرير للجنة التحقيق المشتركة بين بريطانيا وأمريكا. وكانت الجامعة العربية قد قدمت ردها على تصريحات المستر بيفن. أما اللجنة العربية العليا التى تتكلم باسم عرب فلسطين فقد أعلنت رفضها لبيان المستر بيفن وتمسكت بمطالب عرب فلسطين المشروعة وطالبت بإيقاف الهجرة اليهودية ووضع حد لتمادى اليهود فى الاستيلاء على أراضى العرب وتصفية الانتداب البريطانى وإعلان استقلال فلسطين العربية.

لجنـــة التحقيق :

لم تتجاوب بريطانيا مع المطالب العربية التى أعلنتها اللجنة العربية العليا بل أعلنت تكوين لجنة التحقيق المشتركة بين بريطانيا وأمريكا.

وقد طوفت هذه اللجنة فى البلدان العربية والأوربية كما اتصلت بالمسئولين من جميع الاطراف : عرب ويهود وبريطانيين ثم قامت بوضع تقريرها.

والأسلوب الذى انتهجته لجنة التحقيق يوحى بأنها تهدف للوقوف

على حقيقة القضية لذلك وجدت ترحيبا من المسئولين العرب ومدوها بجميع الوثائق والبيانات المتعلقة بالقضية. لكن الواقع أثبت أن لجنة التحقيق هذه كانت متأثرة بالسياسة البريطانية و بالسياسة الأمريكية الواقعة تحت النفوذ الصهيونى ويؤكد ذلك ما ورد فى تقريرها.

١ — فقد أوصت اللجنة بأن تزاد هجرة اليهود إلى فلسطين حتى يقوم نوع من التوازن بين العناصر اليهودية والعربية فى فلسطين فأقرت السماح بهجرة ١٠٠,٠٠٠ يهودى.

٢ — وأوصت ثانيا ألا تكون فلسطين دولة عربية بحتة ولا دولة يهودية بحتة

٣ — وأوصت أيضا ببقاء فلسطين تحت الانتداب وذلك حتى تقر الأمم المتحدة نوعا من الوصاية على فلسطين وذلك بسبب الصراع الشديد بين العرب واليهود

٤ — ويعترف تقرير اللجنة فوق هذا وذاك بوجود الوطن القومى لليهود فى فلسطين.

٥ — وتطالب اللجنة العرب أن يكفوا عن أساليب المقاومة لليهود وأن يقبلوا هجرتهم ووجودهم كقوم منكوبين بائسين.

٦ — وتدعو لجنة التحقيق المشتركة أيضا إلى رفع جميع القيود عن بيع الأراضى لليهود.

هذه خلاصة تقرير لجنة التحقيق وواضح أنه فتح باب الهجرة أمام اليهود فى فلسطين وأطلق يدهم لشراء أراضى العرب والاستيلاء عليها.

وقد قابل العرب هذا التقرير بالمعارضة التى كانت فى صورة تظاهرات وإضرابات واحتجت الحكومات العربية رسميا لدى الدولتين الممثلتين فى اللجنة وهما بريطانيا وامريكا.

أما الولايات المتحـــدة ممثلة فى شخص رئيسها ترومان فقـــد رحبت بمقترحات لجنة التحقيق ولم تقف بريطانيا بوضوح مع توصيات اللجنة بل اشترطت شيئين لتنفيذ التوصيات.

أولا: أن تشترك الولايات المتحدة مـــع بريطانيا فى تحمـــل بعض التبعات العسكرية والاقتصادية.

ثانيا: أن يتم نزع السلاح فى فلسطين من العناصر اليهودية والعربية على السواء.

وواضح أن قبول الشرط الأول سيحرج امريكا ويهدد مصالحها فى الدول العربية أما الشرط الثانى وهو نزع السلاح من العرب واليهود فأمر صعب التنفيذ.

نهاية الانتداب وقرار التقسيم

بعد فشل لجنة التحقيق المشتركة ووضوح تحيزها لليهود أعلن العرب استنكارهم لتوصياتها. ولم تؤيد تلك التوصيات إلا الولايات المتحدة. أما بريطانيا فقد ابدت بعض التحفظات.

أما الدول الخمس الكبرى ونقصد بها بريطانيا والولايات المتحـــدة وروسيا وفرنسا والصين فقد وافقت على عقد جلسة خاصة للامم المتحدة للنظر فى قضية فلسطين ومحاولة إيجاد تسوية لها فى آخر مارس سنة ١٩٤٧. وترك أمر دعوة هيئة الأمم لبريطانيا دولة الانتداب فى فلسطين.

وفى الثالث من شهر ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٧ طلبت بريطانيا على لســان مندوبها الكسندر كادوجان عقـــد جلسة خاصة للجمعية العمومية للأمم المتحدة. وحدد الغرض من الاجتماع

أولا : لتأليف لجنة خاصة لدراسة قضية فلسطين تمهيدا لعرضها على اجتماع الجمعية العموميـــة فى سبتمبر (ايلول) فى نفس السنة.

ثانيا : تقوم بريطانيا بعرض شرح ضاف عن فترة حكم الانتداب فى فلسطين وتطلب من الجمعية العمومية التقدم بتوصيات حول الحكومة التى يجب أن تؤلف فى فلسطين فى المستقبل.

وبناء على طلب بريطانيا وجه المستر ترجفىلى سكرتير الامم المتحدة الدعوة للجمعية العمومية فى ٢٨ ابريل (نيسان) لتقوم بتكوين لجنة خاصة لقضية فلسطين لعرضها على اجتماع الجمعية العمومية العادى فى سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٤٧.

وفى هذه الظروف التى دعيت فيها الجمعية العامة للامم المتحدة لجلسة خاصة بفلسطين كانت اللجنة السياسية لجامعة الـــدول العربية قـــد عقدت

اجتماعات متتالية فى دمشق برئاسة جميل مردم بك رئيس وزراء سوريا ومثلت فى ذلك الاجتماع سبع دول عربية بالاضافة إلى السيد عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية. وقد ورد فى البيان الـــذى تمخض عـــن تلك الاجتماعات العربية ما يأتى:

« وبعد المداولة فيما يجب اتخاذه بشأن مباشرة القضية الفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة سواء فى الدورة الاستثنائية الحالية أو فى الدورة العادية المقبلة، تقرر استقلال فلسطين وإلغاء الانتداب فيها ومنع الهجرة اليها »

كما اتفقت اللجنة السياسية على بعض القرارات لتكون أساسا لسياسة المندوبين العرب فى هيئة الامم.

وفى ٢٨ ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٧ اجتمعت الجمعية العمومية لهيئة الأمـــم المتحدة وأحالت الموضوع إلى اللجنة السياسية المنبثقة عـــن الجمعية العامة للأمم المتحدة. وأقرت هذه اللجنة اقتراحا أمريكيا أيدته بريطانيا يقضى بتأليف لجنة محايدة تضم أحد عشر عضوا ومنحت صلاحيات واسعة تمكنها من جمع المعلومات الخاصة بقضية فلسطين كما ترك لها اختيار المكان الذى تريده مقرا لها.

إلا أن موضوع تقرير استقلال فلسطين لم يكن ضمن صلاحيات اللجنة لأنه وجد معارضة شديدة من أمريكا وبريطانيا ولم يفت على الدول العربية خطورة حذف موضوع الاستقلال من صلاحيات اللجنة آنذاك. فقد وقف دولـــة الخورى مدافعا بشدة عن ضرورة إدخاله ضمن صلاحيات لجنة التحقيق وقال « إننا سنساعد لجنة التحقيق ما دامت تسير نحو هذه الغاية (أى استقلال فلسطين). أما اليهود فمن مصلحتهم أن يتأخر استقلال فلسطين لأنهم يريدون أن تستمر الهجرة إلى أن يصبحوا أغلبية السكان ، ولن يسمح العرب مطلقا أن يدق وتد فى وطنهم».

كما تحدث أيضا السيد اميل الخورى باسم عرب فلسطين فقال « إن العرب مصممون على ألاّ يقبلوا أى حل يفقدهم سيادتهم أو التقليل من هذه السيادة بأى شكل من الأشكال. وكل محاولة تبذل لربط المشردين (اليهود المضطهدين فى أوربا) بمشكلة فلسطين ستلاقى معارضة وكل محاولة من هذا القبيل ستضطر العرب إلى تغيير موقفهم من موضوع التحكيم ».

واضح أن العرب كانوا يتشككون فى طريقة تكوين اللجنة التى وصفت بأنها محايدة. فهى حقا تألفت من دول صغرى ولكن من الصعب وصف تلك الدول الصغيرة بالحياد لأنها كانت منقادة لكل من بريطانيا وامريكا فى كل ما تأتى به من تصرفات أو آراء أو توصيات.

وقد أشارت الهيئة العربية العليا التى قاطعت اللجنة منذ البداية إلى هذه المخاوف فى بيان جاء فيه أنهم « ليس لديهم أية ثقة بهذه المنظمة التى يعتبرونها واقعة تحت سيطرة بريطانيا وأمريكا» وتنبأت الهيئة العربية العليا بما سوف تتوصل اليه اللجنة فقالت إن كل « ما ستقدمه لجنة التحقيق هو تقسيم فلسطين أو فرض الوصاية عليها وكلاهما لا يقبل به العرب».

لجنة التحقيق الدولية :

جعلت لجنة التحقيق الدولية هذه مقرها فى نيويورك وانتخبت رئيس القضاة فى السويد رئيسا لها وبدأت اللجنة فى عملها بزيارة معسكرات اللاجئين فى أوربا واستلام البيانات والوثائق من الأفراد والجماعات الخاصة بقضية فلسطين.

وفى فلسطين زارت لجنة التحقيق حيفا حيث قابلها اليهود بالترحاب أما العرب فقد قاطعوها.

ثم زارت تل أبيب ومعظم المستعمرات اليهودية وتسلمت تقريرا

مفصلا عن المشكلة الفلسطينية فى حكومة الانتداب البريطانية أما العرب على المستوى الرسمى فقد رأوا أن يدلوا بوجهات نظرهم أمام لجنة التحقيق فاشترك فى ذلك سوريا ولبنان والعراق ومصر والسعودية وشرق الاردن واليمن. كما تسلمت منهم تقريرا عربيا موحدا.

وبعد هذه الاتصالات وضعت اللجنة تقريرها فى آخر اغسطس (آب) سنة ١٩٤٧ ووافق عليه أغلبية أعضاء اللجنة ويقدم التقرير الحل لقضية فلسطين على أساس التقسيم على النحو التالى:

(١) قيام دولتين فى فلسطين، دولة عربية وأخرى يهودية.

(٢) تضم الدولة العربية المنطقة الساحلية بما فيها غزه على امتداد الأراضى الساحلية حتى بئر السبع.

(٣) أما الدولة اليهودية فتضم مقاطعة الجليل الشرقية والمناطق الساحلية ومعظم منطقة النقب حتى الحدود المصرية.

إن قرار اللجنة هذا القاضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين وضح للعالم العربى مدى تأثير الدول الصغيرة التى تتكون منها اللجنة بالدول الكبرى كما تبين لهم قوة الدعاية الصهيونية ونفوذها على الدول الكبرى نفسها لذلك قوبل قرارها بالاستنكار الشديد فى الصعيدين الرسمى والشعبى العربى.

وقد تنبأت جريدة التايمز اللندنية بحدوث اضطرابات خطيرة فى فلسطين فى حالة تنفيذ توصيات اللجنة هذه وأضافت تقول «بانه لا يمكن أن يفرض على الأغلبية العربية فى فلسطين ومن ورائها الجامعة العربية ما لا ترتضيه وما تقاومه».

وقد أدركت الدوائر العربية أن قرار لجنة التحقيق لا يختلف عن منح فلسطين كلها للصهيونيين كهدية لأن إعطاء اليهود جميع المناطق الساحلية

معناها جعل فلسطين برمتها تحت سيطرتهم الاقتصادية وتمكنهم من الإشراف على بقية اجزائها.

فالمشروع فى نظر العرب صهيونى بحت يستحيل قبوله وإذا صدقت عليه هيئة الأمم المتحدة فسيؤدى ذلك إلى انفجار فى منطقة الشرق الأوسط وهذا حدث بالفعل.

الجمعية تنعقد :

اجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى منتصف سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٤٧ وأخذت تناقش موضوع تقسيم فلسطين واختلفت وجهات النظر بين معارضين ومؤيدين وظهر من النقاش أن بريطانيا كانت فى حيرة من أمرها فهى لا تريد أن تستمر لزمن طويل فى تحمل مسئولية إدارة فلسطين ولا تريد أن تنفرد بمسئولية توجيه المستقبل وتحديده بالنسبة لفلسطين.

كذلك نجد أن الولايات المتحدة مترددة بين مراعاة مصالحها المتعلقة بالزيت العربى وبين ضغط اليهود المقيمين فى امريكا. ومع أن امريكا تعطف بشدة على قيام قومية يهودية قوية فى فلسطين فإنها تفضل أن تُفرض هذه القومية على العرب بيد بريطانيا لا بيدها الا أن البريطانيين تجنبوا تحمل أية مسئولية وحدهم فى فلسطين وكانوا يرغبون فى الانسحاب من فلسطين بأقرب فرصة وإنهاء الانتداب.

وقد أيد هذه السياسة تصريح وزير المستعمرات البريطانية الذى ورد فيه أن حكومة المملكة المتحدة ستسحب جيوشها من فلسطين وتنهى إدارتها فيها إذا ما فشلت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى وضع حل يرتضيه العرب واليهود.

وعلى الأمم المتحدة بعد التصريح البريطانى هذا مجابهة موقف خطير

فى الشرق الأوسط لأن تحقيق حل يرضى العرب واليهود فى فلسطين أمر يصعب تحقيقه.

وقد وجد هذا التصريح ترحيبا من العرب لأنهم اعتبروه خطوة فى سبيل استقلال فلسطين.

أما اليهود المعتدلون فكانوا يرون أن قرار بريطانيا بالانسحاب عن فلسطين فيه تهديد لقوميتهم اليهودية التى ارتفعت من خمسين الفا إلى سبعمائة وخمسين الفا (٧٥٠,٠٠٠) تحت رعاية الانتداب البريطانى وأن انسحاب دولة الانتداب يعرض اليهود ومستقبل وطنهم القومى فى فلسطين إلى ضربات العرب من كل جانب لكن المتطرفين من اليهود كانوا يرون فى خروج بريطانيا عن فلسطين أمرا يساعد فى إسراع تحقيق أهدافهم فيها.

أما أمريكا فقد أيدت مشروع التقسيم الذى أوصت به اللجنة التى أشرنا اليها. وطالبت أمريكا هيئة الأمم تبنى مشروع تقسيم فلسطين المقترح واقراره. و هذا المو قف الأمريكى قد وجد ترحيبا فى الأوساط اليهودية واستنكارا فى الأوساط العربية.

وقد أعلنت بريطانيا مرة أخرى أنها لا تستطيع تتنفيذ مشروع لا يقبله العرب واليهود وأبدت أملها فى أن تساعدها أمريكا فى استتباب الامن فى فلسطين فى فترة الانتقال المقبلة.

وقد أيدت روسيا على لسان مندوبها جروميكو مشروع التقسيم وقد قال جروميكو فى هذا الصدد ما يلى: «لا يمكن أن ننكر على اليهود حق تأسيس دولة لهم فى فلسطين» على أنه كان يرى من الضرورى أن يتخذ قرار حول السلطة التى ستحكم البلاد فى فترة الانتقال وتكون تلك السلطة مسئولة أمام الأمم المتحدة حتى تتمكن من تصفية حكم الانتداب فى فلسطين

ويتضح من هذا أن الاتفاق قد تم بين روسيا والولايات المتحدة على

تقسيم فلسطين ولم تعد هنالك قوة تحول دون تحقيقه غير المقاومة العربية وتم الاتفاق أيضا على ان تظفر الدولتان العربية واليهودية فى فلسطين باستقلالها فى اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٤٨ أى بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين بمدة شهرين .

الا أن بريطانيا أعلنت بأنها لن تستطيع أن تلعب الدور الكامل فى أى مشروع خاص بفلسطين مقسمة أو موحدة وأنها ستنفذ خطة انسحابها من فلسطين فى أسرع وقت.

هيئة الأمم المتحدة تقرر تقسيم فلسطين

لم يجد الرأى القائل بإقامة دولة اتحادية مستقلة فى فلسطين قبولا من هيئة الأمم المتحدة لأن غالبية أعضاء الجمعية العمومية للهيئة وافقوا علـــى التوصية القاضية بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية واتخذ هذا القرار فى نوفمبر (تشرين الثانى) من سنة ١٩٤٧ وكان محتوى القرار على النحو التالى:

أولا: حدد اليوم الأول من شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٤٨ كآخر يوم للانتداب البريطانى على فلسطين.

ثانيا: ترث الانتداب البريطانى دولتان مستقلتان. دولة عربية تضم منطقة الجليل الغربية ومنطقة السامرة وقطاع القدس مع استثناء مدينة القدس. كذلك تضم الدولة العربية منطقة بيت لحم مستثنية مدينة لحم وقطاع الجليل باستثناء الجزء المحاذى للبحر الميت. هذا بالاضافة إلى مدينة يافا والجزء الأكبر من منطقة اللد والرملة والساحل الجنوبى لفلسطين الذى يشمل كلا من خان يونس والمجدل وغزة وكذلك منطقة الحفير والعوجا.

أما الدولة اليهودية فكان من نصيبها منطقة الجليل الشرقية وحيفا وقراها وتل أبيب ومستعمرات اليهود الواقعة على السهل الساحلى وقطاع يافا باستثناء المدينة يافا. كذلك ضم لليهود الجزء المحاذى للبحر الميت من منطقة الجليل وقطاع بئر سبع حتى العقبة.

ثالثا: تصبح منطقة القدس تحت الوصاية الدولية وتشمل المنطقة الممتدة من شيعفاط إلى بيت لحم فى الجنوب ومن أبوديس شرقا إلى عين كارم فى الغرب.

وقد بذلت الدول العربية تؤيدها دولة الباكستان مجهودا كبيرا لتثنى

الأمم المتحدة عن قبول هذا القرار. ووجدت أذنا صاغية من كثير من الدول ولكن الرئيس الأمريكى ترومان ومن ورائه زعماء الحركة الصهيونية ألقوا بثقلهم لضمان موافقة هيئة الأمم المتحدة على القرار. ومما يؤكد استخدام الولايات المتحدة لنفوذها ما ورد على لسان مندوب هايتى حين قال إنه بصفته الشخصية يعارض تقسيم فلسطين و لكنه لا يملك الوقوف أمام إرادة حكومته التى وافقت على التقسيم . ولا شك أن ضغطا امريكيا قد وقع على حكومة هايتى وغيرها لتقف مؤيدة لمشروع التقسيم .

هذا ما انتهت اليه الأمم المتحدة بشأن فلسطين ولكن المشكلة التى واجهت الأمم المتحدة هى صعوبة تنفيذ قرار التقسيم أمام المقاومة العربية التى اشترك فيها أبناء فلسطين وتقف وراءهم الدول العربية مما أدى إلى تزايد أعمال العنف بين العرب واليهود الأمر الذى دفع هيئة الأمم لتتراجع عن قرارها الأول القاضى بالتقسيم وسحبت امريكا فى مارس (اذار) سنة ١٩٤٨ تأييدها لذلك القرار واقترحت هذه المرة وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية ومطالبة العرب واليهود الموافقة على هدنة وقتية ريثما تعيد هيئة الأمم النظر فى قضية فلسطين.

إن هذا التغيير فى سياسة امريكا ومطالبتها بالهدنة لم يرض العرب ولا اليهود لذلك استمرت أعمال العنف بين الطرفين مما اضطر مجلس الامن لينعقد ويقرر.

أولا : أن تعاد مشكلة فلسطين لهيئة الأمم من جديد

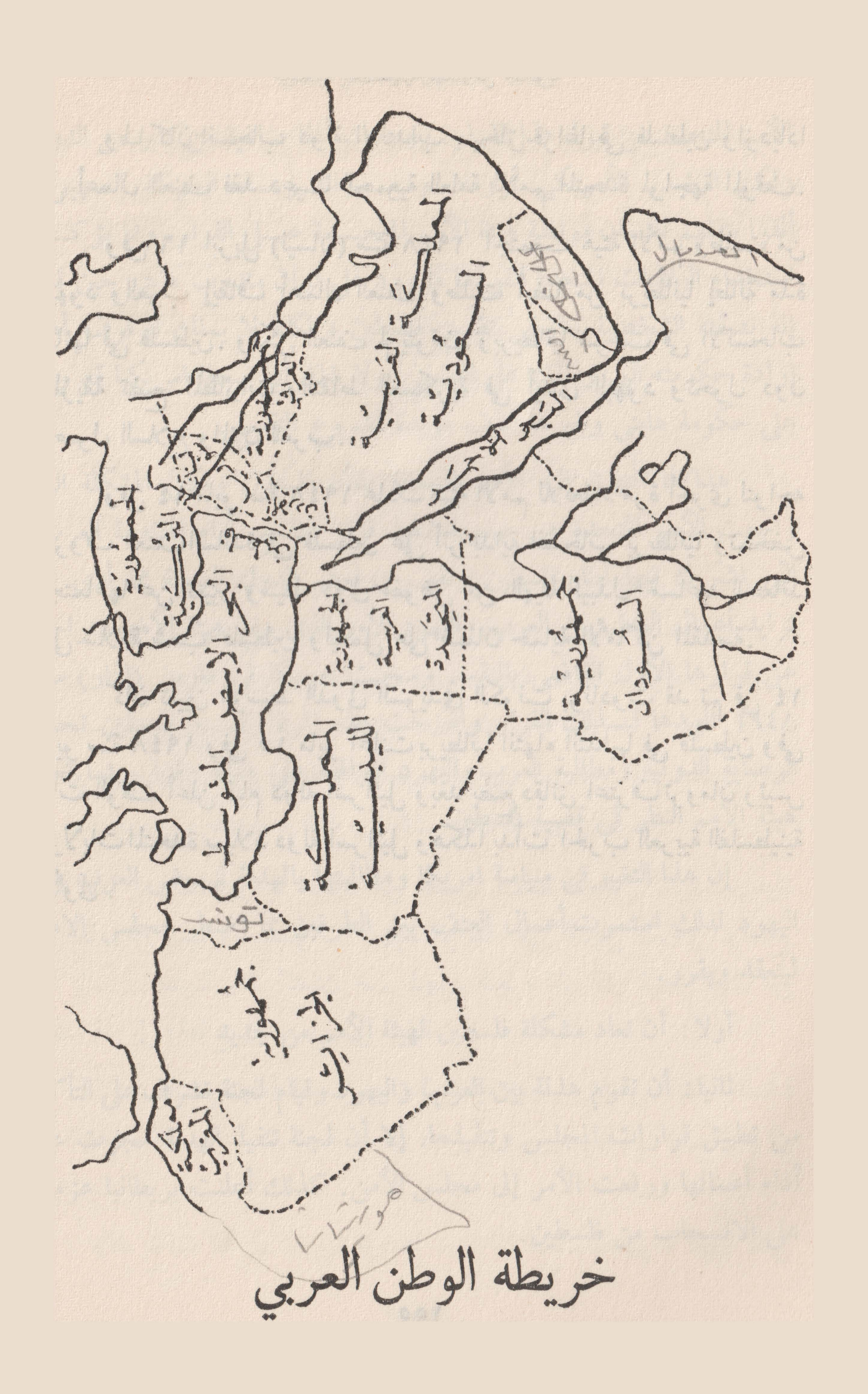
ثانيا : أن تقوم هدنة بين العرب واليهود وقيام لجنة تشرف على التأكد من تطبيق قرارات المجلس وتنفيذها. إلا أن لجنة تنفيذ الهدنة عجزت عن أداء أعمالها ورفعت الأمر إلى مجلس الأمن. كذلك أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب من فلسطين.

ولما كان انسحاب دولة الانتداب سيخلق فراغا فى فلسطين وازديادا فى أعمال العنف فقد دعيت الجمعية العامة للأمم المتحدة لمواجهة الموقف.

وفى ١٦ ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ اجتمعت هيئة الأمم وطلبت من اليهود والعرب إيقاف أعمال العنف وطلبت أيضا من بريطانيا إطالة مدة بقائها فى فلسطين. ولكن العنف لم يتوقف وبريطانيا شرعت فى الانسحاب بطريقة تضع المطارات والنقاط العسكرية فى أيدى اليهود وتحول دون وصول السلاح والمؤن للعرب.

وفى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ عادت هيئة الأمم للانعقاد مرة أخرى لتواجه ظروف العنف السائدة فى فلسطين على أثر بداية انسحاب بريطانيا وتمخض اجتماعها عن تعيين وسيط دولى مفوض من الهيئة ليبذل مساعيه للحفاظ على سلامة شعب فلسطين وليعمل على ضمان حماية الأماكن المقدسة.

كان تعيين الوسيط الدولى السويدى الكونت برنادوت قد تم فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ وفى ١٥ مايو أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها فى فلسطين وفى ذات الوقت أعلن قيام دولة اسرائيل وبعد بضع دقائق اعترف ترومان رئيس الولايات المتحدة بميلاد دولة اسرائيل وهكذا بدأت الحرب العربية الفلسطينية الأولى.



خريطة الوطن العربي

الحرب الفلسطينية الأولى

لما اشتطت العصابات اليهودية فى الفتك بعرب فلسطين وذلك بسبب تجريد الإنجليز العرب من السلاح والسماح لليهود بأن يحتفظوا بأسلحتهم ، فإن الشعوب العربية أخذت تطالب حكوماتها بالتدخل العسكرى لإنقاذ عرب فلسطين والدفاع عن الوطن العربى.

أعلن الانجليز أنهم سينهون انتدابهم فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وأن جيوشهم ستجلوا عن جميع الأراضى الفلسطينية. ولكنهم فى واقع الأمر لم يتقيدوا بذلك التاريخ بل بدأ جلاؤهم قبل ذلك عن كثير من المناطق ولكن بطريقة ظهر فيها التآمر مع الصهيونية إذ كان الجيش البريطانى يعمل على تجريد الفلسطينيين من السلاح أولا ثم تمكين اليهود من الاستيلاء على البلاد بحد السلاح الذى تركه الانجليز فى أيديهم.

وقد أخليت ميناء حيفا بنفس الأسلوب وهى الميناء التى جعلها التقسيم من نصيب العرب ومنع الانجليز دخول أى عربى مسلح اليها، ولما حان الموعد لجلائهم كان اليهود قد استولوا عليها كما استولوا على البلاد والأراضى فى فلسطين . وبارح المندوب السامى البريطانى حيفا فى التاريخ الذى حددته بريطانيا للجلاء وهو ١٥ مايو ١٩٤٨.

وبمجرد أن جلا الجيش البريطانى عن الاراضى الفلسطينية دخلت الجيوش العربية من الجنوب والشرق والشمال ، كما أعلنت الحصار البحرى على المناطق التى احتلها الاسرائيليون فى فلسطين.

لكن الولايات المتحدة كانت تبيت أمرا خطيرا ضد العرب إذ انه بمجرد أن خرج الانجليز من فلسطين أعلن اليهود قيام دولة اسرائيل ، ولم تمض عدة دقائق حتى كان الرئيس الامريكى ترومان قد اعترف بإسرائيل وذلك قبل أن تبت هيئة الأمم المتحدة بأى شىء فى القضية الفلسطينية

اشترك فى حرب فلسطين الجيش المصرى بمساعدة بعض القوات السعودية وعدد من المتطوعين السودانيين والليبيين. واستطاعت هذه القوات أن تسيطر على القسم الجنوبى من فلسطين ماعــدا القليل من المستعمــرات اليهودية التى تم عزلها على كل حال.

وتقدم الجيش العراقى واستطاع أن يسيطر بمدافعه على كثير مــن المواقــع.

واحتلت الجيوش السورية مستعمرة يهودية كما قامت بالدفاع عن الأراضى التى سقطت فى يدها منذ بدء القتال.

ودخل الجيش اللبنانى الحرب ووقف متيقظا لأى هجوم يهودى غادر على حدوده.

وتمكنت القوات الأردنية من احتلال أريحا ثم دخلت القدس القديمة بعد معارك حامية.

وفى مدى أسبوعين حققت القوات العربية نجاحا عسكريا هاما إذ استولت تقريبا على كل الأراضى التى جعلها قرار التقسيم عربية ماعدا يافا. وكان الأمل قويا فى أن يتم التغلب على كل القوات الصهيونية فى فلسطين وإزالة منعتها.

أثار اليهود الأمريكيون الحكومة الأمريكية لكى تتدخل طالبة مــن مجلس الأمن إيقاف القتال فى فلسطين بحجــة أنه يهدد السلــم العالمى. واقترحت بريطانيا وقف القتال بين العرب واليهود فى ٢٢ مارس ١٩٤٨، ولكن كان رد العرب أنهم ليسوا فى حرب مع دولة ثانية حتى يكون الأمن مهددا وأنهم إنما يحاربون العصابات الصهيونية.

ووالت بريطانيا ضغطها على العرب بإعلانها أنها لن تقوم بإرسال

الأسلحة للدول العربية التى تربطها بها معاهدات وهى مصر والعراق والأردن وبذلك أوضحت استعدادها لتوقيع العقوبات العسكرية والاقتصادية على تلك الدول العربية ، كما طلبت انجلترا أن تتوقف الدول العربية واليهود عن القتال لمدة أربعة اسابيع.

وأسرع اليهود فى إعلان موافقتهم على قيام الهدنه مؤكدين أن قيام دولتهم أصبح حقيقة ثابتة. كما أن الضغط البريطانى على الدول العربية وتهديدها بوقف ارسال السلاح اليها جعلتها تذعن مضطرة إلى قرار مجلس الأمن بوقف العمليات الحربية.

ومما لاشك فيه أن قيام الهدنة كان كارثة كبرى على العرب الذين حافظوا على قراراتها بينما كان اليهود يخلون بها المرة بعد المرة. وقد نشط اليهود نشاطا كبيرا فى جلب السلاح من أوربا بمساعدة المنظمات اليهودية المنتشرة فى أقطارها ، وهربوا السلاح من تشيكوسلوفاكيا وايطاليا وفرنسا وإنجلترا وامريكا بكميات كبيرة ، كما استوردوا الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل ، ووصلتهم أعداد من المحاربين اليهود من جميع أنحاء العالم.

وبينما كانت انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة تسمح لليهود بالحصول على السلاح كانت تقف بصلابة ضد كل مسعى عربى للحصول على الأسلحة. وسرعان ما اختل التوازن الحربى ، فأصبح اليهود أقوى سلاحا من الجيوش العربية .

لم يكتف اليهود بالحصول على السلاح فحسب بل إنهم أخذوا يضربون القرى العربية الفلسطينية ، ويباغتونها واحدة بعد الأخرى ، ويستولون عليها عنوة ، ومع ذلك فإن الأمم المتحدة لم تحرك ساكنا ، أو تتخذ خطوات إيجابية ضدها ، وهكذا زادت رقعة الأراضى التى تحتلها العصابات اليهودية ، وزاد عدد اللاجئين الفلسطينيين.

أما على الصعيد الدولى فإن اليهود وجدوا مساعدة قوية من الولايات المتحدة التى استعملت نفوذها لدى الدول الأخرى وحملتها على الاعتراف بدولة اسرائيل وسرعان ما زاد عدد الدول التى اعترفت بها ، وكان من بينها الاتحاد السوفيتى.

فى التاسع من يوليو ١٩٤٨ استأنف العرب القتال فى الجبهات نسبة إلى أنهم شعروا بأن اليهود إنما ينوون التوسع على حساب العرب فى فلسطين ، وأنهم لم يحافظوا على الهدنة بل زادوا من جرائمهم حتى اضطر الفلسطينيون إلى اللجوء إلى البلاد العربية الأخرى.

عندما استمر القتال هذه المرة كان اليهود أقوى جانبا وأكثر عتادا ، وانسحبت قوات عربية من مناطق مختلفة فى فلسطين فساعد ذلك على هيمنة اليهود على أجزاء كبيرة من البلاد. ثم أخذوا فى توجيه ضربات شديدة للجيش المصرى لإخراجه من النقب. كما أن طائراتهم التى حصلوا عليها أيام الهدنة أخذت تغير على دمشق وعمان والقاهرة مما اظهر التغيير الذى حدث فى توازن القوة العسكرية فى فترة الهدنة.

تدخل الوسيط الدولى الكونت برنادوت محاولا وقف القتال وطلب من مجلس الأمن إصدار قرار بذلك لكلا الفريقين ، وقد اعتبر مجلس الأمن أن الحالة تهدد السلم العالمى ولذلك فقد استجاب لطلب برنادوت وطلب اليه أن يحدد موعدا للهدنة. وقد جعل برنادوت يوم السبت ١٧ يوليو سنة ١٩٤٨ موعدا لوقف إطلاق النار فى القدس ويوم ١٩ يوليو موعدا لإيقاف القتال فى بقية أجزاء فلسطين.

لم تستطع الدول العربية أن تعارض قرار هيئة الامم المتحدة خاصة وأن اليهود أعلنوا موافقتهم على قيام الهدنة واضطر العرب أيضا إلى الموافقة عليها.

وبينما كانت الدول العربية تصر على عدم اعترافها بدولة إسرائيل ، كان اليهود يعلنون رغبتهم فى الدخول فى مفاوضات مع العرب لعقد صلح دائم. و لكن العرب رفضوا هذا الطلب الذى نقله اليهم برنادوت رفضا باتا.

وكان برنادوت يعد تقريرا عن الحالة فى المنطقة وأراد أن يتقدم باقتراحات شعر اليهود أنها لا توافق رغبتهم ومنها تدويل القدس وجعل النقب منطقة عربية فما كان منهم إلا أن اغتالوه فى القدس ، وتخلصوا منه.

لقد كان اليهود يعلنون طيلة الوقت عن رغبتهم فى دخول مفاوضات مع العرب وعقد صلح معهم ، وهم بذلك إنما يريدون أن يعترف بهم العرب وبدولتهم فتأخذ الشرعية الدولية ، ويتحتّم على العرب أن يحترموا وجود اسرائيل وكيانها وشرعيتها فى فلسطين وكان العرب يعارضون ذلك أشد المعارضة.

لم توقف الهدنة اليهود عن اعتداءاتهم المتكررة على الجيوش العربية فى المناطق التى كانت تعسكر فيها بل استمرت فى هجومها ، وهى فى كل يوم تكسب مواقع جديدة وتضيق الخناق على الجيوش العربية وخاصة الجيش المصرى فى النقب حتّى تمكنوا من محاصرة جزء منه فى الفالوجا ولم تتدخل الأمم المتحدة فى هذا الخرق للهدنة بل إنها أصرت على أن يعقد العرب واليهود هدنة دائمة ، وبالفعل اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا القرار وطلبت من الأطراف المعنية تحقيقه ، وحدد الوسيط الدولى المستر بانش الأمريكى يوم الجمعة ٨ يناير ١٩٤٩ موعدا لتنفيذ وقف كل قتال فى المنطقة.

وتحت إشرافه بدأت محادثات الهدنة بين المصريين واليهود وانتهت باتفاقية هدنة رودس فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ حيث تعهد كل من الجانبين

بتوقف العدوان ضد الآخر، ثم تمت معاهدة مماثلة بين اليهود والأردن ثم مع لبنان وأخيرا مع سوريا.

وهكذا اضطر العرب إلى قبول الهدنة بسبب الضغط الخارجي عليهم، وقد كانوا فى وقت لم تشتد سواعدهم فيه بعد، كما أن النفوذ البريطانى والأمريكى كانا فى أوجهما فى العالم.

حاول اليهود بعد ذلك أن تقبل عضويتهم فى الأمم المتحدة ولكنهم لما كانوا طيلة حربهم ضد العرب لم يذعنوا إلى قرارات الأمم المتحدة، فإن عضويتهم لم تتحقق. وأخيرا اتفقوا مع لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة بقبولهم لقرارات الهيئة الدولية التى تتلخص فى قيام التقسيم بحدوده مع قليل من التعديلات الفنية، وتدويل القدس، وعودة اللاجئين أو تعويضهم عن أملاكهم تعويضا مناسبا، ووقعوا على تلك الاتفاقية فقبلت عضويتهم فى الحال كما أنهم تنكروا لتلك البنود بنفس السرعة.

البيان الثلاثى : الولايات المتحدة ـ انجلترا ـ فرنسا فى ١٩٥٠

خرج العرب من الحرب الفلسطينية الأولى بعظة غالية وهى أنه بدون القوة لا يمكن الحفاظ على البلاد العربية والدفاع عنها أمام المغتصبين. وشعروا بأن أول واجب عليهم هو تقوية الناحية العسكرية فى الوطن العربى لكى يكيلوا لاسرائيل كما كالت لهم. وعرفوا أن انجلترا وغيرها من الدول لا يمكن الاعتماد عليها فى الحصول على السلاح المطلوب لأن تلك الدول إنما كانت تساند اليهود منذ البداية حتى النهاية. ولم تظهر لهم بوارق أمل للحصول على السلاح من مصادر أخرى.

خشيت الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا من أن يحاول العرب طرد اليهود من فلسطين وإعادتها إلى أهلها العرب، ولكى يؤكدوا للعرب أن وراء اسرائيل قوة دولية هائلة لاتدانيها قوة العرب فقد أصدرت تلك الدول

البيان الثلاثي فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٠. وأبلغته إلى الدول العربية معلنة (أن الحكومات الثلاث تنتهز هذه الفرصة لتعلن اهتمامها البالغ بهذه المسألة ورغبتها فى المعاونة على إعادة السلام والاستقرار إلى هذه المنطقة، ومعارضتها الصارمة لأى استخدام للقوة أو أى تهديد بالالتجاء إلى القوة بين أية دولة من دول هذه المنطقة. والحكومات الثلاث تعلن أنها إذا تبينت أن أية دولة من هذه الدول تستعد لانتهاك حرمة الحدود أو خطـوط الهدنة فإنها لن تردد تنفيذا لالتزاماتها بصفتها عضواً فى هيئة الأمم المتحدة أن تتدخل باسم هيئة الأمم وخارج نطاقها).

هكذا جعلت الدول الغربية الثلاث بقاء اسرائيل فى قلب الوطن العربى أمرا لابد منه تسانده القوة الغربية من العالم.

مشكلة اللاجئين

كانت خطة إجلاء العرب عن فلسطين خطة مدبرة تراود أفكار الصهاينة حتى قبل النكبة بسنوات عديدة وكانوا يفكرون دوما بأن الفظائع والمذابح هى سبيلهم الوحيد لإجلاء السكان العرب والاستيلاء على ممتلكاتهم.

لقد روى جلوب باشا حديثا جرى فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ بين يهودى فى حكومة الانتداب معروف باعتداله وشجبه للإرهاب وبين ضابط بريطانى فى الجيش العربى. فقد سأل الضابط الموظف قائلا: «ألا تظن أن الدولة اليهودية الجديدة (فى حالة تنفيذ قرار التقسيم) ستتعرض لمتاعب واضطرابات داخلية لكون عدد السكان العرب فيها مساوياً لعدد اليهود؟» فأجاب الموظف اليهودى المعتدل: «أبداً، فهذه مسألة مـن السهـل تدبيرها ... ما هى إلا مذابح معدودات ... ونتخلص منهم نهائيا»

وفعلا بدأت القوات السرية الصهيونية التى أصبحت فيما بعد الجيش

الاسرائيلى تظهر للعيان وتهاجم المدن والقرى العربية وتخليها من سكانها العرب.

ويقول المؤرخ البريطانى (ارنولد توينبى) إن الأعمال الآثيمة التى ارتكبها الصهيونيون ضد عرب فلسطين والتى عجلت بنزوح السكان العرب وما تبع ذلك من طرد بشرى لكل من لم تفزعه هذه الاعمال كان الغرض منها ثلاثة أمور:

١ - خلق مشكلة لاجئين للدول العربية يترتب عليها أن تتدبرها.

٢ - تأمين اليهود فى فلسطين من خطر بقاء السكان العرب بينهم.

٣ - الاستيلاء على ما يتركون من ممتلكات منقولة وغير منقولة.

ولقد أسهمت هذه الممتلكات العربية فى حل مشكلة المهاجرين الجدد إلى إسرائيل.

كيف نشأت مشكلة اللاجئين

عندما قررت بريطانيا إنهاء الانتداب على فلسطين وتسليمها لليهود بدأت بالانسحاب أولا من المناطق اليهودية ليتولى الصهاينة أنفسهم أداة الحكم ويستولوا على المطارات والمرافق العسكرية. فأخذ الصهاينة فى تنفيذ مخططهم الخاص باجلاء العرب من فلسطين والتى تتلخص فى:

١ - الإرهاب والعنف:

فقد ارتكبوا المجازر والفظائع فى كثير من القرى والمدن التى يسكنها العرب العزل ولعل أفظع هذه المجازر وهى كثيرة.

(أ) مجزرة دير ياسين (ابريل ١٩٤٨) فقد كانت دير ياسين قرية آمنة مطمئنة تعيش فى وسط محيط صهيونى فأغار عليها اليهود

بحملة مسلحة من عصابتى الأراجون وشبتيرن بالمدافع والقنابل وذبحوا أكثر من ٢٥٠ شخصا بين طفل ورضيع وشيخ وحامل ومثلوا بهم تمثيلا فظيعا من صلم للآذان إلى تقطيع للأطراف إلى بقر لبطون الحوامل والقوا كل ذلك فى بئر القرية. وقد جرى كل ذلك تحت سمع السلطات البريطانية وبصرها حيث أنه حتى ذلك الوقت كان الانتداب قائما.

إن مذبحة ديرياسين كانت مجزرة بشعة تنم عن وحشية متعمدة لا مبرر لها على الاطلاق سوى الزهو بالقتل والتنكيل بالعرب الآمنين.

أثر مذبحة دير ياسين:

قال الجنرال جلوب البريطانى قائد الجيش الأردنى السابق وأحد أبطال كارثة فلسطين التى أدت إلى تشريد اللاجئين فى كتابه « جندى مع العرب» والذى نشر عام ١٩٥٨.

« لقد سمعت بأذنى رجال الهاجاناه اليهود يعلنون بمكبرات الصوت فى مدينة القدس بعد مذبحة دير ياسين وكان طريق (أريحا) لايزال مفتوحا ....أيها العرب اختاروا بين هذا الطريق أو مصير دير ياسين»

كما أيدت المصادر الموالية للصهيونية الأثر الذى أحدثته مذبحة دير ياسين فقد نشر الكاتب اليهودى « لبرمان هال» فى مجلة كومترى مقالا قال فيه « إن خوف الأهالى العرب من تكرار مذبحة دير ياسين يعتبر أحد الأسباب التى أدت إلى إسراع العرب بالهروب حتى أنه عندما نفذ قرار التقسيم فى منتصف مايو سنة ١٩٤٨ كان قد ترك فلسطين أعداد كبيرة منهم» وفى كتاب الثورة الذى وضعه « مناحم بيجين» تفاخر قائد الجيش الإسرائيلى غير النظامى بأن القصص البشعة التى دارت حول وحشية أرجون تزفاى (وهى منظمة ارهابية) قد سرت سريانا سريعا بعد مذبحة دير ياسين

من عربى إلى عربى وتسببت فى فرار ٦٣٥ الف عربى بطريقة جنونية مذعورة وأخذ العرب يولون الأدبار مرددين دير ياسين.. ديرياسين....ولم يبق فى صفد بشمال فلسطين مثلا شخص واحد من الأربعة عشر الفا من العرب بعد ست ساعات من بدء الهجرة.

ويذكر (مناحم بيجين) بوصفه قائد مذبحة دير ياسين والذى أشرف عليها فى كتابه «تاريخ الأراجون» طبعة عام ١٩٥١ بنيويورك أن مذبحة دير ياسين كان لها أثر بالغ فى نفوس العرب يساوى ستة أفواج من الجنود. وإن قرية قالونية العربية التى كانت قد صدت كل هجوم شنته عليها قوات الهجاناه قد احتلت فى ليلة واحدة. وقد ساعدتنا مذبحة دير ياسين على إنقاذ طبرية وحيفا بصورة خاصة ولم يبق من العرب الذين كانوا يقطنون فلسطين- التى أصبحت اسرائيل - وعددهم ٨٠٠ الف سوى ١٦٥ الف عربى فقط.

(ب) وكذلك مجزرة كفر قاسم فقد أعلن اليهود ميعاد منع التجول ربع ساعة قبل الميعاد المعتاد ثم وقفوا عند مداخل القرية وحصدوا بمدافعهم الرشاشة كل الرجال الذين كانوا خارج القرية والذين فوجئوا بهذه المجزرة دون سابق إنذار. وقد تكررت هذه المجازر فى عشرات القرى.

٢ - الإجلاء بالقوة :

كذلك عمد اليهود إلى إجلاء العرب بالقوة عن بعض المدن الكبيرة بعد أن ارتكبوا فيها الفظائع وعمدوا فيها للقتل ثم سلبوا البقية الباقية من جميع مايملكه العرب من حلى وأموال وساعات وطردوهم وأخذوا يلاحقونهم برصاص مدافعهم.

٣ - إشاعة الذعر بين السكان :

وكثيرا ما كان اليهود يضربون المدن بالمدافع الكبيرة ليثيروا الذعر

فى نفوس السكان حتى يجبرونهم على ترك القرية والالتجاء إلى البلاد العربية المجاورة. فهم يحاصرون القرية بشكل حدوة حصان من كل جهة ويتركون فتحة الحدوة ليهرب منها العرب ويلهبون ظهور الهاربين بالرصاص الذى يمنعهم الالتفات إلى الخلف.

٤ – حرمان العرب من جميع حقوقهم :

لقد اتبعت اسرائيل سياسة خاصة نحو العــرب المقيمين بها بغــرض القضاء عليهم إما بالهجرة أو الفناء. وقد سبق ان أوضحنا ذلك عند الحديث عن سياسة اسرائيل نحو العرب المقيمين بها.

وقد نتج من هذه المخططات الإرهابية وحرب فلسطين وخدعة العرب فى الهدنة الأولى والتى مكنت اسرائيل من التسلح والاستعداد – أن طرد آلاف العرب من ديارهم وأملاكهم وشردوا ليحل محلهم قوم غرباء جىء بهم من مختلف بقاع العالم . ويعانى العرب من الفقر وهم يعيشون فى خيام لا تقى من حر أو برد واجتماعهم بهذا الشكل أدى إلى انتشار الاوبئة بينهم.

توزع اللاجئين العرب فى الوطن العربى :

لقد تم توزيع اللاجئين الفلسطينيين فى البلاد العربية المضيفة وحسب احصاءات وتقارير (١٩٦٥)فقد أصبح عدد الشعب الفسلطينى يزيد عن (٢,٤٢٥,٠٠٠) موزعين كما يلى:

العدد التقريبى	اسم المكـان
١,١٢٥,٠٠٠	الأردن
٠,٤٢٥,٠٠٠	قطاع غزة
٠,٣٠٠,٠٠٠	المنطقة الفلسطينية المحتلة (داخل اسرائيل)
٠,١٦٥,٠٠٠	لبنـــان
٠,١٥٠,٠٠٠	سوريا

٠,٠٣٥,٠٠٠	الكويت
٠,٠٢٠,٠٠٠	السعودية
٨,٠٠٠	الجمهورية العربية المتحدة
٨,٠٠٠	الجمهورية العراقية
١٠,٠٠٠	قطر والبحرين وعدن وسائر مناطق الخليج العربى
٥٠,٠٠٠	ليبيا وتونس والجزائر والمغرب والسودان والمهاجر الامريكية.
٢,٢٩٦,٠٠٠	

وقد جاء فى بيان إحصائى صادر عن وكالة الغوث الدولية إن مجموع اللاجئين الفلسطينيين المسجلين فى الوكالة والذين تصرف لهم الإعانات حتى نهاية ديسمبر ١٩٦٥ يبلغ (١,٣٠٠,١١٧) شخصا موزعين على الاقطار العربية الآتية:

القطر	مجموع اللاجئين المسجلين
الاردن	٦٩٧,٦٥٨
قطاع غزة	٣٠١,٨٧٩
لبنان	١٦٢,٤٩٩
سوريا	١٣٨,٠٨١
المجموع =	١,٣٠٠,١١٧

هيئة الامم ومشكلة اللاجئين

اتجهت هيئة الأمم فى علاجها لمشكلة اللاجئين اتجاهين واضحين الأول سياسى– والآخر اقتصادى. ومنذ أن طلب برنادوت (وسيط الأمم

المتحدة فى فلسطين والذى قتله اليهود لعدم رضائهم عن اقتراحه الخاص بالتقسيم) أدرجت مشكلة اللاجئين فى أجندة الأمم المتحدة منذ ١٩٤٨ فلم تخل دورة واحدة من بحثها. هناك أربع هيئات تعمل بصفة مستمرة لإيجاد حل لهذا التوتر. وهى لجنة التوفيق – ولجنة الهدنة – ووكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين والتى عرفت بـ (الانروا) وهو اختصار لاسمها باللغة الانجليزية (Unrwa) – والبوليس الدولي. ومنذ ظهور هذه المشكلة أصبح ينظر إلى الشرق الأوسط على اعتبار أنه مركز توتر سياسى .

وعندما تناقش هيئة الأمم مشكلة اللاجئين تواجهها أربعة تيارات

التيار الأول: يأتى من الدول المعادية للشيوعية والتى لها مصالح فى الشرق الأوسط وهذه الدول يعنيها إنهاء المشكلة على وجه للسرعة.

التيار الثانى: يأتى من اللاجئين أنفسهم وهؤلاء مصممون على العودة.

التيار الثالث: اسرائيل وهى متفقة مع الغرب فى ضرورة إقرار سلم سريع على شرط ألا يؤثر على مصالحها.

التيار الرابع : من الدول الشيوعية المعادية للمعسكر الغربى وهذه تستفيد من مشكلة اللاجئين لضرب المعسكر الغربى فى الشرق الأوسط.

لقد ثبت للجنة التوفيق منذ البداية أن أكبر صخرة اصطدمت بها فى محادثاتها إنما هى مشكلة اللاجئين من حيث عودتهم وإسكانهم برغم أنها أصدرت قرارا صريحا فى ذلك فى الدورة الثالثة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ يقول القرار:

(تقرر ضرورة السماح لمن يرغب فى ذلك من اللاجئين فى العودة إلى بيوتهم فى أقرب وقت ممكن والعيش بسلام مع جيرانهم ووجوب دفع تعويضات عن أموال الذين يقررون عدم العودة إلى بيوتهم) .

ولكى تنفذ هيئة الأمم قرارها أنشأت لجنة التوفيق من ثلاث دول هى الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا لتتخذ الخطوات التى تعاون الهيئات المعنية حتى تصل إلى حل للمشكلة. ولتحمى الأماكن المقدسة وتسهل عودة اللاجئين الراغبين فى العودة.

ومن أهم النقط التى حددتها هيئة الأمم لتوضيح رسالة لجنة التوفيق ما يأتى:

١ — تقوم لجنة التوفيق بتسهيل إعادة اللاجئين إلى وطنهم وإسكانهم من جديد. ودفع التعويضات .

٢ — العمل على نمو المنطقة اقتصاديا والتفاهم فى ذلك مع الدول المعنية.

٣ — العمل على إنشاء نظام دولى دائم للأراضى المقدسة وتقديم ضمانات كافية لحماية الأماكن المقدسة والوصول اليها.

وقد عقدت الهيئة ثلاثة مؤتمرات هامة بقصد تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فى بيروت ولوزان (بتركيا) وباريس وكل ذلك فى الفترة ما بين ٢١ مارس ١٩٤٩ و١٥ سبتمبر ١٩٤٩. وقد حددت لجنة التوفيق نقاط البحث فى أربع نقاط

(أ) عودة اللاجئين وتعويض من لا يرغب فى العودة منهم.

(ب) مشكلة الحدود والعمل على الوصول إلى حدود ثابتة بين الطرفين المتنازعين

(ج) بحث مشكلة تدويل القدس وضمان حماية الأماكن المقدسة

(د) العمل على تنمية الحياة الاقتصادية بالمنطقة.

وقد قدمت لجنة التوفيق خمسة تقارير تجمع فيها خلاصة مادار فى

هذه المؤتمرات ودورها الإيجابى فى علاج مشكلة اللاجئين. وقد أوضحت فى تقاريرها:

أولا: إن مشكلة اللاجئين مشكلة سياسية وليست مشكلة إنسانية وقد أشار العرب إلى ضرورة وضع الاعتبار الاول لمشكلة اللاجئين وإعطائها الاسبقية فى البحث عل أية نقطة أخرى . والتيقن من أن حكومة اسرائيل مستعدة لتنفيذ قرارات لجنة التوفيق.

كما أعلن العرب أن الأقلية العربية باسرائيل لا تنعم بالأمن ولا تتمتع بحقوق الأقليات التى نص عليها قانون التقسيم وأن اسرائيل قد جمدت أموال العرب وتصرفت فى أملاكهم كما قبل العرب فكرة تدويل القدس على شرط أن تتعهد هيئة الأمم بالمحافظة على دوام التدويل .

وعندما اتصلت اللجنة باسرائيل تستوضحها وجهة نظرها فى هذه المسائل:

قال بن غوريون (إن عودة اللاجئين مستحيلة لأنهم لن يعيشوا بسلام معنا) كما أوضح أن مشكلة اللاجئين لا يمكن بحثها منفصلة بل يجب أن تدخل ضمن محادثات السلم الخاصة بقضية فلسطين. أما بخصوص تدويل القدس فإن اسرائيل قبلت تدويل الا ماكن المقدسة فقط لا كل القدس.

وفى مؤتمر لوزان أعلنت لجنة التوفيق فشلها فى إيجاد محادثات مباشرة بين العرب واسرائيل ، لأن العرب يرون ان اسرائيل لا تطبق ولا تنفذ قرارات الأمم المتحدة.

ووضح أن مشكلة اللاجئين ارتبطت بمشكلة الحدود لأن اسرائيل استولت على الأراضى التى يملكها العرب. وبالطبع فإن اسرائيل استولت على أراض أكثر مما أعطاها التقسيم.

كذلك لم تستطع اللجنة الحصول على قرار من اسرائيل بعودة اللاجئين كما لم تستطع الحصول على قرار من العرب بإسكان اللاجئين وقال العرب لا عودة لا إسكان. كما أن مندوب اسرائيل قدم اقتراحا جديدا لتنفيذ العودة وهو طلب ضم غزه.

وفى مؤتمر باريس اقترحت اللجنة نزول كل من العرب واسرائيل عن قيمة ما لحق بكل منهما من خسائر نتيجة حرب فلسطين

وأن تقبل اسرائيل تعويض غير الراغبين فى العودة بناء على القيمة التى تحددها لجنة التوفيق. وأن تقبل اسرائيل عودة عدد محدود من اللاجئين وأن تعقد اتفاقية بين العرب واسرائيل للإفراج عن الأموال المجمدة فى بنوك اسرائيل لمصلحة العرب. واعلان انشاء البعثة الاقتصادية بقيادة «كلاب» وتقديم مسودة بتدويل القدس.

وقد أمكن إرجاع بعض اللاجئين العرب وذلك عن طريق إكمال الأسر العربية التى تسكن اسرائيل. كما أمكن الإفراج عن بعض أموال العرب المجمدة وسلمت لأصحابها اللاجئين.

وأرسلت بعثة (كلاب) إلى الشرق الاوسط لدراسة الأحوال الاقتصادية والعمل على تنميتها.

إلا أن اللجنة كشفت حقيقة سياسة إسرائيل فأوضحت أن اسرائيل تنكر مسئوليتها تماما فى إيجاد حل لمشكلة اللاجئين العرب وأن حل قضية اللاجئين إنما هو بإسكانهم فى أى مكان غير اسرائيل وأن اسرائيل مستعدة لتعويض جميع اللاجئين على ألا يعود منهم أحد وفيما عدا ذلك لم توفق اللجنة فى تحقيق أى نجاح فى مباحثاتها فهى:

(أ) لم تستطع إرجاع اللاجئين إلى أوطانهم.

(ب) ولا تعويض لمن لا يرغب فى العودة منهم.

(ج) كما أن مساعيها فى تدويل القدس لم تكلل بالنجاح لأن العرب قبلوا تدويل القدس فى حين لم تقبل إسرائيل غير تدويل الأماكن المقدسة.

كما أن مشكلة الحدود بقيت كما هى بكل ما تثيره من اضطرابات فى الأمـــن .

هذا الفشل شجع بعض الدول على طلب إلغاء لجنة التوفيق وقد تزعمت هذا الاتجاه روسيا وبعض الدول الشرقية ويتلخص الرأى فى أن اللجنة أنشئت على اقتراح الولايات المتحدة لتنفيذ تعليماتها بدليل أنها (اى اللجنة) ساهمت فى زيادة التوتر كما أن اللجنة قررت إرسال لجنة (كلاب) دون استشارة الأطراف المعنية. وطالبوا بحل اللجنة.

وبالطبع عارضت امريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها هذا الاتجاه وبينوا أن هيئة الأمم لا تستطيع أن تقوم بدورها فى فلسطين إلا إذا كانت هناك لجنة تمثلها هى لجنة التوفيق. وإن اللجنة قد شكت من عدم تعاون الدول العربية واسرائيل معها وقد اتهم العرب لجنةالتوفيق بانحيازها لاسرائيل خصوصا وإن من بين أعضائها الولايات المتحدة خالقة اسرائيل.

ولما فشلت هيئة الأمم فى علاج المشكلة سياسيا اتجهت اتجاهـــا كاملا للناحية الاقتصادية. فأنشأت وكالة الغوث (وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئـــين الفلسطينيين) لتقـــديم المشروعات الاقتصادية لرفـــع المستوى الاقتصادى للدول العربية .

ثانيا ــ علاج مشكلة اللاجئين من الناحية الاقتصادية ، وقد أُنشئت الوكالة بغرض عمـــل مشروعات اقتصادية بجانب الإغاثة على أن تقـــل

الإغاثة كلما تحقق التقدم الاقتصادى. وقد أوضح المندوبون العرب أن هذه الحلول الاقتصادية ليست هى الأساس فى علاج مشكلة اللاجئين وإنما الحل الصحيح هو عودتهم وتعويض غير الراغبين فى العودة.

كذلك اشترط المندوبون العرب أن المشروعات التى تنوى وكالة الإغاثة القيام بها يجب ألا تحرم اللاجئين حقوقهم التى أقرتها هيئة الأمم، كما يجب أن تحقق لهم الإسكان فى وطنهم الأصلى فلسطين.

وأما بخصوص إدماج اللاجئين العرب فى اقتصاديات البلاد العربية فإن المندوبين العرب يرون أنه ليست هناك مشروعات تستوعب هذا العدد الكبير فى غزة ولبنان والأردن وأن فكرة إدماج لن تتحقق إلا إذا خير اللاجئون بين العودة والتعويض على حسب قرار الأمم المتحدة.

والواقع أن القضية الكبرى فى عودتهم هى خوف اسرائيل من عودتهم فهى تقول: إنه ليس هناك ضمان فى أنهم لن يستخدموا للقضاء على الدولة اليهودية من الداخل. وما لم يعقد سلام بين اسرائيل والعرب فلن تتمكن إسرائيل من قبولهم.

هكذا ظلت مشكلة اللاجئين معلقة فى جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة وقد فشلت فيها كل حلول الاسكان وكل المشروعات الاستعمارية التى هدفت إلى إسكانهم خارج فلسطين — ذلك لأن مشكلة اللاجئين لن يحلها سوى عودة اللاجئين إلى بلادهم المغتصبة — فلسطين.

الحرب الفلسطينية الثانية لسنة ١٩٥٦
او العدوان الثلاثى على مصر

يمكن أن نعود بالأزمة التى أدت إلى الحرب العربية الاسرائيلية الثانية إلى ما قبل شهر يوليو سنة ١٩٥٦ . ففى تلك الفترة كان البنك الدولى قد وعد مصر بتمويل مشروع السد العالى لكن فى العشرين من يوليو سنة ١٩٥٦ انسحبت كل من بريطانيا والولايات المتحدة من عرضها لتمويل المشروع عن طريق البنك الدولى. وكان رد الفعل فى مصر أن أعلن رئيسها بانه سيبنى السد من عائدات قناة السويس التى أعلن فى نفس اللحظة تأميمها.

أحدث نبأ تأميم القناة هزة عنيفة فى الأوساط الغربية وأعلنت كل من بريطانيا وفرنسا أن تأميم القناة يشكل خطرا على الملاحة الحرة لذلك أرسلتا مزيدا من قواتهما إلى منطقة شرقى البحر الابيض المتوسط وهذا بلا شك تهديد بالتدخل العسكرى. ولكن المستر دلس وزير خارجية الولايات المتحدة حاول أن يكون الحل عن طريق الدبلوماسية فأرجأت الدولتان موضوع التدخل بعض الوقت.

وفى ١٦ أغسطس اجتمع مؤتمر دولى فى لندن للنظر فيما أسموه بأزمة السويس ودعيت مصر للاشتراك فيه ولكنها رفضت واشتركت فى المؤتمر اثنتان وعشرون دولة. وتقدم جون فوستر دلس لهذه الدول بمشروع يقضى بتدويل القناة ووافقت عليه ثمانى عشرة دولة من الدول المجتمعة. وقرر المؤتمرون عرض هذا المشروع على الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة لجنة يرأسها المستر منزيس رئيس وزراء استراليا. ولكن اجتماع الوزير الاسترالى مع عبد الناصر كان فاشلا وأعلن الرئيس المصرى رفضه لمشروع تدويل القناة فى التاسع من سبتمبر سنة ١٩٥٦.

وفي يوم ١٢ سبتمبر أعلن المستر إيدن رئيس وزراء بريطانيا أن حكومته باتفاق مع حكومة فرنسا وحكومة الولايات المتحدة اتفقت على قيام «هيئة» تعمل على تمكن الدول التي تستعمل القنال من ممارسة حقها في استعمال هذا المجرى الدولي.

وبعد يومين من اعلان المستر إيدن هذا انسحب جميع المرشدين الأجانب العاملين فى قناة السويس وكان الهدف أن يحدث هذا الانسحاب الفجائى انهياراً فى تصريف الملاحة عبر القناة ولكن هذا التصرف مكن المصريين من تولى إرشاد السفن بأنفسهم.

وفي الفترة ما بين ١٩ سبتمبر إلى ٢١ منه اجتمعت الهيئة التى عرفت بهيئة المنتفعين بقناة السويس فى لندن واشتركت فى هذا الاجتماع ثمانى عشرة دولة وافقت ست عشرة دولة منها على الانضمام إلى هيئة المنتفعين وعرض على هذه الهيئة مشروع جون فوستر دلس ووافقت عليه.

بعد ذلك عرض مشروع دلس هذا على مجلس الأمن ووافق الاتحاد السوفيتى على الجزء الأول منه ورفض الجزء الثانى فى المشروع الخاص بتدويل القناة مستعملا حق الفيتو. وهكذا عجزت كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا فى أن تجد سندا من مجلس الأمن لتدويل القناة.

أخذت بريطانيا وفرنسا تفكر فى اللجوء إلى الأسلوب العسكرى ويبدو أن دلس فى تلك الظروف كان لا يريد أن تظهر أمريكا سافرة كدولة استعمارية بالاشتراك فى عمل عسكرى ضد مصر.

اما مستر إيدن فكان قد نوه بانه قد يلجأ إلى استعمال القوة وهذه فى رأيه فرصة تمكن بريطانيا استعادة مركزها فى منطقة الشرق الأوسط.

وقد وجد اتجاه إيدن هذا تجاوبا من جى موليه الوزير الفرنسى الذى كان يرى فى القضاء على عبد الناصر مساندة لفرنسا فى حربها ضد الجزائر.

واستخدمت كل من بريطانيا وفرنسا إسرائيل لتكون البادية بالعدوان ويتبع ذلك تدخل الدولتين الكبيرتين.

ففى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ نفذت إسرائيل اتفاقها السرى مع بريطانيا وفرنسا وغزت مصر.

وفى ٣٠ اكتوبر أعلن الإنذار البريطانى الفرنسى لكل من مصر واسرائيل القاضى بمطالبتهما الانسحاب مسافة عشرة أميال من جانبى القناة وطلب الإنذار أيضا من مصر السماح لكل من بريطانيا وفرنسا احتلال كل من بورسعيد والاسماعيلية والسويس احتلالا مؤقتا. وكان طبيعيا أن تقبل اسرائيل هذا الإنذار أما مصر فقد رفضته.

وفى أروقة الأمم المتحدة تقدمت أمريكا بمشروع يقضى بانسحاب اسرائيل لما وراء خطوط الهدنة مع وقف إطلاق النار وأيدت هذا القرار روسيا ولكن استعملت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو لرفض القرار.

وفى ٣١ اكتوبر وبعد أن انتهت مدة الإنذار أخذ السلاح الجوى البريطانى والفرنسى يقصف مصر وبدأت القوات البريطانية والفرنسية تشترك فى العمليات العسكرية ضد مصر ونزلت فرق منها فى شمال القناة.

انتقلت الأزمة بعد ذلك إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم بعد أن فشل مجلس الأمن فطلبت الجمعية وقف إطلاق النار وقررت إرسال قوات طوارىء كندية لتباشر وقف اطلاق النار.

وفى هذه الظروف التى وقف فيها العالم كله ضد العدوان الثلاثى وبعد أن أعلن الاتحاد السوفيتى إنذاره لبريطانيا وفرنسا أعلن المستر إيدن فى السادس من نوفمبر ١٩٥٦ أنه بما أن إسرائيل ومصر قد قبلتا وقف إطلاق النار غير المشروط فإن التدخل العسكرى البريطانى سيتوقف فى منتصف الليل.

وفي ١٥ نوفمبر وصلت قوات الطوارىء الدولية لمصر وتم انسحاب كل من بريطانيا وفرنسا فى ديسمبر وابتدأ العمل فى إزالة العوائق من القناة لفتحها.

هذا وكانت القوات الاسرائيلية لا تزال مرابطة فى قطاع غزة وفى مدخل خليج العقبة وكانت باحتلالها لقطاع غزة تريد أن تمنع مصر من استعمال منطقة غزة كقاعدة للغارات على اسرائيل. أما احتلال اسرائيل لشرم الشيخ فكانت ترمى من ورائه ضمان الملاحة الاسرائيلية فى حرية فى ميناء إيلات الاسرائيلية. وحتّى اول مارس سنة ١٩٥٧ كانت اسرائيل مصممة على عدم الانسحاب ولكن مصر أعلنت انها ستوقف العمل فى فتح القناة ان لم تنسحب اسرائيل وأخيرا أجبرت اسرائيل على الانسحاب وأعيدت المنطقتان إلى مصر.

وفى ١٩ فبراير سنة ١٩٥٧ كانت كل من بريطانيا وفرنسا وامريكا قد تقدمت بمشروع يقضى بأن تتولى مصر إدارة القناة ولكن تتولى ادارة دخلها هيئة خارجية لكن مصر رفضت هذا المشروع شكلا وموضوعا وأعلنت فى ١٨ مارس سنة ١٩٥٧ للعالم شروطها لإدارة قناة السويس وهى تقوم على اتفاقية اسطنبول لسنة ١٨٨٨ القائلة بان تكون القناة مفتوحة للملاحة الحرة دون تمييز وأعلنت مصر أن أى خلافات تظهر يمكن أن تسوى حسب ميثاق الأمم المتحدة أو ترفع إلى محكمة العدل الدولية.

وهكذا انتهت أزمة السويس بإثبات حق مصر فى إدارة قناة السويس والاستفادة من عائداتها لمصلحة الشعب المصرى.

تقييم حرب السويس :

كانت الحرب العربية الاسرائيلية الثانية أو حرب السويس لسنة ١٩٥٦ نقطة تحول فى تاريخ الاستعمار القديم والحديث على السواء وكانت المتنفس

الوحيد للنيات الاستعمارية إزاء شعوب العالم العربى بصورة خاصة والشعوب الإفريقية الآسيوية بصورة عامة. كما أنها أعطت الدليل القاطع لدور إسرائيل كقاعدة عدوانية استعمارية تنفذ خطط الاستعمار العدوانية لضرب الشعوب واستغلالها.

إن الاسرائيليين استهدفوا من هجومهم على سيناء فى ٢٩ اكتوبر١٩٥٦ لغاية بعيدة هى الاستيلاء على شبه الجزيرة كلها وتأمين الوصول عن طريق التدخل الانجليزى ـ الفرنسى فى وقت معين إلى حـــدود عربية جديـــدة لاسرائيل تقف منسجمة ومتجاورة مع منطقة قناة السويس التى سيتم تدويلها (حسب الخطة المتفق عليها) وكان أدنى ما طمعت فيه اسرائيل إحراز نصر مستقل فينشر أمره فى جميع ربوع الشرق الأوسط وجميع أرجاء العالم.

ويبدو أن اسرائيل وقد عجزت عن تحقيق هدفها الأقصى أرادت إقناع العالم بأنها نجحت فى تحقيق هدفها الأدنى فراحت تعمل على إصدار تصريحات وأقوال مؤداها «أن حملة سيناء كانت حملة مستقلة خاضها الاسرائيليون وحدهم وقد حاربوا فيها دون أى ارتباط بالقوات البريطانية أو الفرنسية ودون أى عون منها» ويتاح لهذه الدعوى أوسع انتشار فى الصحافة الغربية.

١ـ الواقع أن هذه الحرب كانت منذ البداية حربا ذات طابع دولى كامل منذ استهلالها فى التاسع والعشرين من اكتوبر (وقبل هذا التاريخ منذ كان فى وسع واضعى الخطط العسكرية الاسرائيلية استغلال العوامل الدولية)

٢ـ وكان ثمة عامل آخر أكثر أهمية يجعل هذه الحملة بعيدة عن أن تكون حملة اسرائيلية. فقد دخل الجنرال ديان معركة سيناء معتمدا على العون الفعلى المباشر من جانب فرنسا المتمثل فى قاذفات سلاحها

الجوى (المقاتلة النفاثة) وفى البحرية الفرنسية.

٣- وهناك عامل مهم آخر من عوامل المساعـــدة الخارجيـــة التى تلقتها اسرائيل فى التاسع والعشرين من اكتوبر (ومن الواجب أن نذكره) فلقد ظلت اسرائيل طيلة أكثر من ثلاثة اشهر قبل الهجوم تقوم بعملية تظاهر مدروسة ومحكمة فى خلق التوتر مع الأردن وهدفها اقناع القاهرة وإقناع العالم أيضا بأنـــه إذا كان ثمة من خطر لحرب حول فلسطين فإن هذا الخطر قائم على الحدود الأردنية لا فى سيناء. كل ما ظهر فى تلك الفترة بالطبع سلســـلة من الاتهامات توجهها اسرائيل إلى الأردن بتهمة خلـــق حوادث وسرعان ما تتبع هـــذه الاتهامات غارات انتقامية عـــلى قرى حدود الأردن كالغارة التى وقعت على قلقيلية مثلا فى العاشر من اكتوبر.

وقد اعترف الاسرائيليون بعد انتهاء حرب سيناء بأن كل ما وقـــع من نشاط على حدود الاردن لم يكن أكثر من مجرد ستار أو غطاء تخفى به خطتها التى وضعتها لسيناء.

بريطانيا وفرنسا تشتركان فى التضليل :

وسمعنا السير انطونى إيدن فور حادث الاعتداء على قلقيلية يحذر اسرائيل علنا من مهاجمة الأردن. وكان التفسير الرسمى الذى صدر للعالم عن ذلك الاجتماع الخطير الذى عقد فى باريس فى السادس عشر من اكتوبر أن الدولتين الكبيرتين أى بريطانيا وفرنسا وجدتا ضرورة للبحث فى «الوضع الأردنى» وتعنى هذه الحقائق باختصار أن بريطانيا وفرنسا وقد كانتا تعرفان حق المعرفة حقيقة نيات اسرائيل واتجاهها فقد تعاونتا معا فى حملة تضليلها وخداعها وساعدتا على إبعاد العالم عن رؤية الاتجاه الحقيقى للخطر.

ويقال: إن القاهرة لم تكن تعرف فى التاسع والعشرين من اكتوبر أن إسرائيل ستهاجم سيناء مما يشير إلى أن حملة « الخداع » التى قامت بها الدول الثلاث اسرائيل وبريطانيا وفرنسا قد حققت غايتها.

إن اشتراك بريطانيا وفرنسا لم يقتصر على المشاركة فى خداع مصر بل كان هنالك ترابط فى التوقيت بين الهجوم الاسرائيلى والحملة البريطانية الفرنسية. فقد كان بن جوريون وديان على ثقة بأن الدولتين المتواطئتين معهما ستدخلان بعد أربعة أيام على الأكثر.

وقد أثبت ذلك صدور الانذار الانجليزى الفرنسى فى الساعة السادسة مساء فى الثلاثين من اكتوبر وما حدث عندما بدأ السلاح الجوى البريطانى فى قصف مصر بصورة مستمرة فى الساعة السابعة والنصف من مساء الواحد والثلاثين من اكتوبر.

وحتى مساء الثلاثين من اكتوبر عندما صدر الإنذار البريطانى الفرنسى المشترك لم تحقق اسرائيل أى نصر: فالقتال بين مصر واسرائيل لم يكن عند صدور الإنذار يهدد القناة أى تهديد.

وأمام هذا التدخل الثلاثى قررت مصر سحب كل جندى وكل معدات ممكنة على التو وفى أقصى السرعة من شبه جزيرة سيناء كلها قبل أن يتمكن الغزو الانجليزى الفرنسى من قطعها وإيقاعها فى الشرك. هذا الانسحاب لم يكن تراجعا أمام الاسرائيليين أو تسليما لهم فلم يكن هنالك حتى هذه اللحظة وبرغم انقضاء يومين كاملين على بدء المعركة أى نجاح اسرائيلى ولكن الأمر جاء نتيجة قرار عسكرى حتمه الخوف من سقوط قوات سيناء كلها فى فخ تنصبه حركة كماشة اسرائيلية فرنسية انجليزية. وكان قصف مصر جوا على صعيد ما جاء فى الإنذار منبئاً بغزو انجليزى

فرنسى شامل لمنطقة قناة السويس كلها قاذفا « بخط من النار والفولاذ» تملؤه دولتان كبيرتان يقام عبر الممر الوحيد الذى ستنسحب منه القوات من سيناء.

ولم يكن فى وسع أى قائد عسكرى فى القاهرة سواء أكان مصريا أو غير مصرى أن يصل فى مثل هذا الوضع إلى غير النتيجة التى توصل اليها عبد الناصر فى ليلة الواحد والثلاثين من اكتوبر سنة ١٩٥٦. ويمكن القول أيضا بأن أى جيش فى الحروب الحديثة لم يواجه مثل هذا الموقف الذى واجهه جيش مصر أو مثل هذا القرار الحتمى الذى لم يكن ثمة مناص منه.

واعتبر الاسرائيليون هذا الانسحاب نصراً لهم فى سيناء ولكنه نصر على الورق ليس إلا فى حماقة الغرب وبرلماناته التى خلقت أسطورة النصر الاسرائيلى المستقل.

وختاما لم تكن حملة سيناء على مصر التى استخدمت فيها اسرائيل قاعدة عدوانية وليدة تفكير خاطف وإنما كانت لها جذور. هذه الجذور تمتد إلى فترة قصيرة إذا ما رجعنا إلى الفترة التى تم فيها تنفيذ المؤامرة الاستعمارية حين أعلن عبد الناصر فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ تأميم شركة قنال السويس. ولم تكد مصر تعلن على لسان رئيسها مباشرتها لحقها فى تأميم مرافق الملاحة فى القناة حتى كانت الطامة الكبرى.

ووجدت اسرائيل لنفسها مكانا فى هذا النزاع إذ أن طبيعة سياستها تقوم أساسا على استغلال التوتر الدولى والتسلل والقيام بالمؤامرات العدوانية.

وعلى ذلك عقد مجلس الأمن جلسته بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٦ للنظر فى الموقف الذى اتخذته الحكومة المصرية بإنهائها نظام الإدارة الدولية لقناة السويس والذى كان قد فرضه الاستعمار فى هذه المنطقة وجعل من من قناة السويس ذريعة لتحقيق أهدافه الاستعمارية فى المنطقة.

وبالرغم من أن حكومة القاهرة قد أبدت استعدادها لتقديم تعويض

عادل كامل لحملة الأسهم وأنشأت هيئة مستقلة للقناة وأكدت عزمها على مواصلة حرية المرور فى القناة وأن تصرف مصر لم يخرج قط عن حدود حقوق سيادتها وأن العمل الذى قامت به لا ينطوى على أى تعد على حقوق أية دولة — وبالرغم من أن الدول المختلفة لم تأت بدليل على أن مصر قد عاقت حرية الملاحة بأية صورة بالرغم من مؤامرة سحب المرشدين الذين كانوا يعملون فى القناة فجأة نرى بعد كل هذا الدول الاستعمارية وقد رأت أن تأميم قناة السويس ضربة قاضية على مصالحها فى الشرق الأوسط — نراها تدفع باسرائيل للعدوان على مصر لتجعل من هذا العدوان وسيلة لإعادة نفوذها القديم فى الشرق الأوسط.

والواقع أن هـذه ليست أول مؤامرة تقوم بها اسرائيل ضد مصر والبلدان العربية الاخرى، بل هى امتداد لسلسلة طويلة من المؤمرات دبرها الاستعمار ونفذتها اسرائيل ضد الشعب العربى.

واسرائيل التى أصبحت منذ يومها الأول قاعدة استعمارية فى منطقة الشرق الأوسط ما زالت تؤكد كل يوم ولاءها للذين أقاموها والذين يمدونها إلى اليوم بالمعونات والمساعدات ويتسابقون فى تسليحها وحمايتهم لها لتكون دائما مخلبا ينفث الاستعمار منه سمومه على البلدان العربية.

فلسطين وصراع القوى

إن موقع فلسطين من المواقع الجغرافية الممتازة فهى منطقة تربط بين قارتى آسيا وأفريقيا، كما أنها هى الطريق البرى الذى يوصل بين هاتين القارتين، ويجعل الاتصال البرى بين العالم العربى فى افريقيا وآسيا أمرا ممكنا.

ولذلك فإننا نجد أنه عند قيام اليهود بحرب عصاباتهم مع العرب وجدت الأحزاب اليهودية مناصرة لها من الدول الغربية وخاصة من الولايات المتحدة كما وجدت نفس المساعدات من الكتلة الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى

لقد كان هناك صراع قوى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى محاولة كسب اسرائيل بعد إقامتها وقدمت كل من الدولتين المساعدات المالية والعسكرية لليهود ضد العرب لإقامة وطن لهم. وكانت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يريد أن يكسب الدولة الجديدة اليه. وكان الاتحاد السوفيتى يشعر بأن منطقة الشرق الأوسط هى منطقة تدور فى فلك بريطانيا التى كانت صاحبة النفوذ الأعظم فى المنطقة بحكم أنها كانت تسيطر عليها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وكان الاتحاد السوفيتى ينظر إلى تقلص النفوذ الفرنسى والبريطانى فى المنطقة وهو يزداد تدريجياً. ولقد نالت بعض الأقطار مثل سوريا ولبنان استقلالهما ، كما أخذت مصر تطالب بجلاء الجيوش البريطانية من أراضيها وبدأت حركات التحرير فى كل البلاد العربية تنشط فى سبيل التخلص من الاستعمار الغربى.

وما أن انتهت الحرب الاسرائيلية العربية حتى أصبحت اسرائيل دولة تساندها الولايات المتحدة بكل قوتها بعد أن اعترفت بها وأصبحت تصل اليها المعونة من أمريكا ، وشعرت الدول العربية بالخطر المحدق بها من جراء وجود اسرائيل فى قلبها ، فأخذت تبحث عن طريق للخلاص من ذلك الخطر. كما أن الدول العربية مثل مصر والعراق والأردن رأت كيف أن اعتمادها على السلاح الانجليزى أصبح لايفى بالغرض لأن انجلترا منعت تصدير السلاح للدول العربية أثناء الحرب الفلسطينية ، الأمر الذى أوضح للعرب أن لابد من وجود بديل عن انجلترا لاستيراد السلاح إن كانت جد راغبة فى الدفاع عن نفسها ضد العدوان الاسرائيلى فى المستقبل.

وكانت مصر أول دولة عربية تحطم احتكار السلاح ولجأت إلى الكتلة الشرقية لاستيراده وذلك بعد سنة ١٩٥٣ – وأخذت الأسلحة الروسية والتشيكية تجد طريقها إلى يد الجندى المصرى. ومنذ ذلك التاريخ شعر العالم بأن هنالك كتلة جديدة فى العالم غير الكتلتين الشيوعية والغربية وكانت هذه

تنادى بالحياد وعدم الانحياز وأصبح زعماء كتلة الحياد هم ناصر ونهرو وتيتـــو.

رأت الولايات المتحدة أن نفوذ بريطانيا فى الشرق العربى أخذ يتضاءل عما كان عليه وإن الاتحاد السوفيتى – وإن لم يكن قد وجد سبيلا لنفوذه هنالك – إلا أن منطقة الشـــرق العربى سلكت طريقـــا فى الخلاص مـــن الاستعمار الغربى ونفوذه ، وأصبحت تسعى إلى التحرر وعدم الانحياز إلى أى جانب ، كما رأت تدفق السلاح من الكتلة الشرقية إلى مصر مما جعلها تشعر بخطورة ذلك على كيان اسرائيل التى ساعدت فى تكوينها والدفاع عنها. وأخفقت سياسة الولايات المتحدة بعد ذلك فى منع مصر من التسلح لمواجهة أى عـــدوان اسرائيلى فى المستقبل أو فى السعى لإعادة الـــلاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم السليب.

هكذا بدأ الصراع الدولى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط وزاد الأمر حدة قيام الثورة العراقية فى سنة ١٩٥٨ واتجاه العراق إلى الابتعاد عن الفلك الغربى، كما خطت سوريا خطوات متعددة نحو التحرر من كل ضغط غربى، وأصبحت كل من هذه الدول تشترى السلاح من الكتلة الشرقية. واهتمت الكتلة الغربية بذلك فأخذت هى أيضا ترسل السلاح إلى اسرائيل التى أصبحت تجد سندا قويا من الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا فيصلها السلاح منها ، كما أنها أعلنت فى البيان الثلاثى سياستها فى المحافظة على الحدود بحالتها الراهنة فى الشرق الأوسط أى أنها ستمنع أى توغل عربى داخل حدود فلسطين وأصبح السلاح الغربى والبيان الثلاثى خير ضمان لبقاء اسرائيل فى وسط الوطن العربى. وأصبحت المنطقة العربية تحاول الخلاص من الكتلة الغربية وسيطرتها دون الوقوع تحت سيطرة الكتلة الشرقية.

الحرب الفلسطينية الثالثة

٥ يونيو ١٩٦٧

فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ قامت إسرائيل بهجوم خاطف غادر على الجمهورية العربية المتحـــدة ، وكان لذلك الهجوم أسباب عـــديدة يصعب تحديدها الآن ولكن يمكن أن يعرف بعضها.

شعرت اسرائيل بأن الجمهورية العربية المتحدة قد أصبحت قوة حربية ضخمة تستطيع أن تعمل على إعادة فلسطين لأهلها. وكانت اسرائيل تشعر بشيء من عدم الطمأنينة بسبب تدفق الفدائيين العرب من سوريا وغيرها إلى داخل الأراضى التى تقيم فيها اسرائيل مما جعل الاسرائيليين يحسون بخطر الفدائيين وإشاعة جو عدم الأمن فى البلاد. لذلك فقد استقر رأى اسرائيل أن تهجم على سوريا وتتخلص من تلك المجابهة بل وتعمل على الإطاحة بالحكم القائم واستبداله بآخر يساير مقتضيات السياسة الاسرائيلية والامريكية.

وعلمت الجمهورية العربية بنوايا اسرائيل ، ولذلك فقد تم الاتفاق بينها وبين سوريا على إقامة حلف للدفاع المشترك بينهما ضـــد أى اعتـــداء اسرائيلى. هذا الحلف أثبت أن الدولتين العربيتين استطاعتا أن تتخليا عن خلافاتهما فى سبيل وضع حد لأى اعتداء اسرائيلى على أى منهما. ورأت اسرائيل أن خطتها فى الهجوم على سوريا لن تنجح بسهولة كما خططت نسبة للتحالف العربى ولذلك فقد اتجهت إلى الولايات المتحدة وانجلترا تطلب السند السياسى والعسكـــرى فى حالة هجومها على هاتين الـــدولتين العربيتين.

وكانت انجلترا تشعربأن مصر قد أسهمت كثيرا فى حركة التحرير

فى جنوب اليمن المحتل ، وأن المساعدات المصرية هناك حطمت شوكة الاستعمار البريطانى، وخشيت انجلترا أنها بعد خروجها من عدن والجنوب العربى وقد حددت لذلك أوائل سنة ١٩٦٨ أن يكون النفوذ المصرى خليفة لها هناك. وكان ذلك فى نظر انجلترا واسرائيل أيضا يعنى بقاء البحر الأحمر من عدن إلى السويس فى يد المصريين وأصدقائهم خاصة المدخل فى عدن وجزيرة بريم التى تتحكم فى مدخل البحر الاحمر من الجنوب، هذا بالإضافة إلى قناة السويس وشرم الشيخ فى خليج العقبة. وكان كل هذا يعنى أن اسرائيل لن تستطيع بعد ذلك استعمال البحر الاحمر للوصول إلى أسواقها فى شرق افريقيا من أقرب الطرق البحرية ولقد ظهر جليا للانجليز والاسرائيليين أن خطوط المواصلات البحرية التى كانت تسيطر عليها بريطانيا فى الماضى أصبحت تعود شيئا فشيئا إلى اصحابها العرب.

بالإضافة إلى ذلك فان الولايات المتحدة أخذت تتضايق من الشعور العربى نحو اسرائيل وسياسة عدم الاعتراف بها ، ورأت أن تأخذ بزمام المبادرة عن طريق اسرائيل وذلك بتحطيم القوى العسكرية العربية فى مصر وإجبار مصر وبقية الدول العربية على الاعتراف باسرائيل بعد ذلك . ومما هو جدير بالذكر أن الرئيس جونسون يحاول أن يجدد انتخابه للرئاسة وهو يعتمد اعتمادا كبيرا على أصوات اليهود فى مدينة نيويورك وبقية أنحاء الولايات المتحدة فى سبيل الفوز بالرئاسة. ومن المعلوم أن أصوات اليهود فى الولايات المتحدة لها أثر كبير فى الفوز بمعارك الانتخابات. وهذا هو السبب الذى يجعل كثيرا من الرؤساء الامريكيين يناصرون اسرائيل أعظم مناصرة ضد العرب.

أرادت الولايات المتحدة كذلك أن تفاجىء الاتحاد السوفيتى بكسر شوكة أصدقائه العرب عسكريا فى حركة فجائية لإقامة حكومات أقل

اهتماما بخطورة اسرائيل وبذلك يفقد الاتحاد السوفيتى أصدقاءه العرب الذين خرجوا فى الماضى عن موالاتهم للغرب، وأقاموا كتلة عدم الانحياز التى لم تكن الولايات المتحدة راضية عن قيامهـــا لأنها كانت منشطرة عن مناطق للنفوذ الغربى فى الماضى ماعدا يوغسلافيا. إن الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٥٦ كانت تؤمن بمشروعها لأيزنهاور الذى اعتبر الشرق العربى منطقة أصابها الفراغ السياسى بسبب طرد النفوذ البريطانى والفرنسى منها، وأشار إلى أن من واجب الولايات المتحدة مـــلء ذلك الفـــراغ لأنها القوة الغربية الكبرى التى تستطيع أن تفعل ذلك. ولما كانت مصر لا تؤمن بتلك السياسة والمبادىء فإن الولايات المتحدة لاشك فى أنها قررت أن تتولى ذلك عن طريق انتصار عسكرى لاسرائيل فى المنطقة ، والضغط على الجمهورية العربية المتحدة عسكريا وسياسيا واقتصاديا لكى تخضع لمخططات السياسة الامريكية.

بدأت الحرب الثالثة عندما وضعت اسرائيل خطتها السرية لتحطيم سوريا، وقد علمت بذلك الاستخبارات السوفيتية وتحققت منه الجمهورية العربية المتحدة ولذلك فإنها عقدت محالفة دفاع مشترك مع سوريا، وسرعان ماشترك العراق فى ذلك ، ثم الاردن لأن هذه الدول شعرت بالتحركـــات الصهيونية التى تهدف إلى القضاء عليها عسكريا بمساعدة الولايات المتحدة وانجلترا . وطلبت مصر من سكرتير الأمم المتحدة سحب المراقبين الدوليين من حدودها مع اسرائيل ، كما أنها وضعت جيوشها فى مضيق شرم الشيخ الذى تعبر منه البواخر لميناء إيلات الاسرائيلى فى البحر الأحمر. وبقيت البلاد العربية تتوقع الهجوم الاسرائيلى فى أية لحظة.

طلب الرئيس الامريكى جونسون من مصر عدم اللجوء إلى استعمال القوة مقدما ، كما طلب من الرئيس جمال عبد الناصر أن يوفد اليه ممثلين

له للتفاهم حول هذا الموضوع وحدد لذلك يوم ٧ يونيو لسفر السيد زكريا محى الدين والدكتور محمود فوزى للولايات المتحدة لمفاوضة الرئيس جونسون حول الوضع. وقابل سفير الاتحاد السوفيتى الرئيس جمال عبد الناصر وأبلغه أن حكومته تطلب من مصر ألا تكون البادية بالهجوم على اسرائيل ، وإتاحة الفرصة للعمل السياسى لحل هذه المشكلة.

أما اسرائيل فقد كانت على اتصال مستمر بالولايات المتحدة وانجلترا. وبينما كان العالم يتوقع ما سوف ينتج عن مقابلة زكريا محى الدين وفوزى والرئيس جونسون إذ بالعالم العربى يفاجأ بهجوم اسرائيلى على المطارات المصرية فى صبيحة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وأوقعت ضربة قاضية بالقوات الجوية المصرية وهى جاثمة على الارض، وتعذربعد ذلك مساندة القوات المصرية البرية فى حربها ضد الاسرائيليين الذينأ صبحوا متفوقين فى القوات الجوية بدرجة رهيبة.

اشتركت المخابرات الامريكية فى المعركة عن طريق سفنها وطائراتها – خاصة الباخرة لبرتى – التى عرفت بأنها باخرة تجسس كانت بالقرب من السواحل المصرية ، وساعدت فى ضعضعة القوات المصرية. واستماتت القوات الأردنية فى القتال . ولكن تفوق القوات الاسرائيلية أجلاها عن الضفة الغربية ، كما أن سوريا اشتركت فى القتال، وكذلك القوات الرمزية العراقية والكويتية والسودانية والجزائرية وأخذت كل من القوات السعودية والتونسية فى الاستعداد لمساعدة الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن كان ظاهرا أن إسرائيل دخلت المعركة بعد القضاء على سلاح الطيران المصرى الذى كان هو الدرع الواقى فى صد الطيران الاسرائيلى المتفوق فى العدد.

بعد ستة أيام من القتال ظهر أن العرب خسروا المعركة الأولى وتقدمت الجيوش الاسرائيلية حتى بلغت الضفة الشرقية من قناة السويس والضفة

الغربية من الاردن. والمرتفعات السورية على الحدود مع اسرائيل.

طلب مجلس الأمن من الدول المتحاربة وقف إطلاق النار، وطلبت اسرائيل أن تتفاوض مباشرة مع العرب بغرض إملاء صلح عليهم تحت حد السلاح وإجبارهم على اعتراف بها.

هنا وقفت جميع الدول العربية وقفة رجل واحـد وصممت عـلى الصمود بقوة ضد اسرائيل ومخططات الولايات المتحدة التى كانت تساند اسرائيل فى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وتصر على أن يعترف العرب باسرائيل وبحدودها بعد أن تجرى عليها تعديلات تهدف إلى توسيعها، وبأن تمنح اسرائيل الحق فى المرور عبر شرم الشيخ وقنال السويس، وأن يعقد صلح دائم بعد أن تتفاوض اسرائيل مع العرب. وقد ساندت بريطانيا السياسة الامريكية فى مجلس الامن. أما فرنسا فإن الجنرال ديجول رئيس فرنسا أعلن بأنه يعتبر اسرائيل دولة معتدية، وإنه يجب عليها الانسحاب مـن الأراضى التى احتلتها، كما منع تصدير السلاح اليها، وبذلك وقفت فرنسا موقفا مشرفا دوليا، وابتعدت عن سياستها التقليدية فى الوقوف مع الولايات المتحدة فى مساندة اسرائيل وهذه نتيجة للسياسة المستقلة التى انتهجها الرئيس ديجول منذ أن أصبح رئيسا لفرنسا.

وقف الاتحاد السوفيتى فى جانب العرب بعد انتهاء الحرب وإعلان الهدنة، وكان يهـدف إلى الوصول إلى حـل سياسى لموضوع المشكلـة الفلسطينية رغم أنه معترف باسرائيل. وظهرت له السياسة العدوانية التى تنتهجها الولايات المتحدة نحـو أصدقائه من الدول العربية، وها هو يطلب من صديقته مصر ألا تكون المبتدئة بالعدوان، بينما تتآمر الولايات المتحدة مع ربيبتها اسرائيل فى أن تبدأ هى بالقتال لتسيطر على الموقف بمساندتها. ولما شعر الاتحاد السوفيتى بالتآمر الغربى وبأنه أخطأ فى تقدير ذلك التآمر

وذلك حين طلب من مصر عدم المبادرة بالهجوم ، أخذ يرسل السلاح لمصر حتى تتمكن من مواجهة أى هجوم اسرائيلى جديد. وطالب الاتحاد السوفيتى فى مجلس الأمن وفى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة إدانة اسرائيل، ويطلب انسحاب قواتها من كل الأراضى العربية التى احتلتها ، ودفع تعويضات عن الاضرار التى سببتها. بيد أن الولايات المتحدة عارضت كل المقترحات السوفيتية ومارست ضغطا عظيما على الدول الاعضاء خاصة اللاتينية والأوربية الغربية حتى تم لها سقوط المقترحات السوفيتية. إنما المهم فى الأمر أن مصر حصلت على السلاح مرة أخرى وعوضت خساراتها فى المعركة الاولى كما أنها حققت نصرا عظيما أثناء انعقاد الهدنة وذلك بإغراق المدمرة الاسرائيلية إيلات بالصواريخ وهى تدخل فى المياه الاقليمية المصرية.

شعر العرب بأن قوتهم تتركز فى وحدتهم، ولذلك فقد بادر السودان باقتراح يقضى باجتماع قمة للأقطاب العرب على أن يعقد ذلك الاجتماع فى الخرطوم. وبالفعل فقد عقد الاجتماع التاريخى فى الخرطوم حيث تم الاتفاق بين الملوك ورؤساء الجمهوريات العرب على أنه لن تكون هناك مفاوضات مع اسرائيل، ولا صلح معها ، مع وجوب إزالة آثار العدوان وإخراجها من كل الأراضى العربية التى احتلتها ، وألا مساومة فى حق شعب فلسطين فى وطنه.

وتمكن الرؤساء العرب من أن يوفقوا بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وذلك حين أعلنت مصر استعدادها لسحب جيوشها من اليمن، وترك اليمنيين يقررون وحدهم مصير بلادهم، وبذلك زالت أسباب الجفوة بين القطرين الشقيقين.

لقد دخل العرب حرب فلسطين الثالثة وهم مختلفون أشد الاختلاف

ولكنهم خرجوا من المعركة الأولى وهم متضامنون حكومات وشعوبا أقوى التضامـــن.

إن العرب قرروا فى مؤتمر القمة بالخرطوم حق شعب فلسطين فى وطنه وأن ذلك الحق فوق المساومات السياسية ، وعلى هيئة الأمم المتحدة أن تجد حلا عادلا لهذه القضية وخاصة لقضية المليون لاجىء فلسطينى الذين طردوا بالقوة من ديارهم منذ عشرين عاما تقريبا. كما أصبح واضحا للعرب عامة نوايا اسرائيل العدوانية ، ووقوف الولايات المتحدة موقف المناصر لها فى سياستها تجاه الدول العربية ، وهكذا فقد أصبح العرب الآن يعملون بيد واحدة فى موقف متضامن لمواجهة الأخطار المحدقة بهم.

دروس من القضية الفلسطينية

لقد كانت اسرائيل وليـــدة مرحلة مـــن مراحـــل الاستعمار فى العالم عندما كانت الدول الكبرى تهدف إلى إقامة فاصل بين بلدان الشرق الأوسط يمنع الحركات التحررية فيها ويكون « رأس جسر» على المصالح الامبريالية فى المنطقة.

ولكن التغيرات التى طرأت ولازالت تطرأ على العالم ستجعل اسرائيل تفقد المبرر الأساسى لوجودها بسبب ضعف النفوذ الغربى واحتضار الاستعمار فى الشرق الأوسط.

لقد تغيرت العلاقات الدولية واتجهت أغلبيتها لصالح القضايا العربية وأبرز مثال على هذا هو اعتراف الاتحاد السوفيتى بشرعية الحق العربى فى فلسطين ومساندته للشعب المصرى فى حرب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦. وماتبع ذلك من مساندة وتأييد غالبية الدول الاشتراكية للعرب فى نضالهم ضد اسرائيل واسترداد الحق المسلوب. يضاف إلى ذلك أن جميع دول العالم الثالث أصبحت اليوم تنادى بطرد الاستعمار الاسرائيلى عن الأراضى العربية.

لقد أظهرت الأزمة الأخيرة أن شعوبا كثيرة صديقة تدمغ إسرائيل بالعدوان وتؤيد أخوياً نضال الشعوب العربية من أجل التحرر والاستقلال

إن هذا التأييد من شعوب العالم يضاعف مسئولية المثقفين العرب إزاء شرح القضية بأصولها التاريخية والفكرية والواقعية والمادية والاجتماعية. فالسلام الحقيقى للمنطقة ليس هــو الاعتراف بالأمر الواقــع كما تنادى به اسرائيل وحليفاتها وإنما هو إقرار الأمر الحق.... هو زوال إسرائيل قاعدة العدوان ومنطلق الاستعمار الجديد.... علينا أن ندعو الناس فى كافة الدول إلى تفهم قضية فلسطين على حقيقتها . فقضية فلسطين ليست نزاعا بين دولتين انتصرت إحداهما عــلى الأخرى. كمــا أنها ليست قضية شعب ثــار ضد مستعمريه وانتصرعليهم فى النهاية وهزمهم واستقل بأمره !! ان قضية فلسطين ليست شيئا من هذا أو ذاك وإنما هى قضية شعب أصيل تألبت عليه قوى الطغيان وأخرجته من موطنه واستباحت أراضيه ودنست مقدساتــه واغتصبت ممتلكاته.... فهل يرضى بذلك أى شعب من شعوب الارض؟

من الغريب حقا أن تكثر الحلول لهذه القضية وتتعقد مع أن القضية واضحة لكل ذى لب كالشمس فى وضح النهار. وهى من السهولة واليسر بمكان وليس لها إلا حل واحد هو إرجاع الحق إلى أهله وأصحابه... ولكن متى ناصر الاستعمار الحق.

لقد حاولنا فى كل ما عرضناه فى هذا الكتاب أن نسبر أغوار العقل الصهيونى ومخططاته التوسعية فى الوطن العربى. ولسنا بحاجة إلى التأكيد من جديد بأن الصهيونية خطر دائم يهدد مصير الأمة العربية. فإسرائيل بحدودها الحالية ليست ســوى خطوة فى طريق الصهيونية نحو تحقيق أغراضها العدوانية وإن فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وفى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ أكبر الأدلة على هذه السياسة. إن حقيقة الخطر الصهيونى

ودلالاته المادية ماثلة للعيان فى التاريخ والمخططات والأعمال فى أقوال الصهاينة وأفعالهم وهى كلها تتحدى الحق والعدل.

لقد جرحت كارثة فلسطين وهولها قلب كل عربى من رؤساء وساسة وحكام وشعوب جرحا أليما. وجعلت كل عربى يعتقد أنه لا أمان ولا حياة ولا كرامة لأمته وبلاده إلا بزوال هذا الجسم الغريب وأنه لا يمكن أن يزول إلا بالقوة العربية.

وإن واجب العرب أن يستعدوا لهذا كل الاستعداد وأن يجعلوا من كارثة النكسة الأخيرة عبرة لهم ليتجنبوا ما كان منهم من إهمال وتقصير وارتجال واعتبارات شخصية وإقليمية وانصياع للايحاء الاستعمارى. وأن يغسلوا العار الذى لحق بهم ويستردوا الوطن المقدس الذى سلب منهم.